كتابي

حلمي مراد

عدد ممتاز

(لمناسبة دخول "كتابي" عامه الخامس)

١٠ قروش

حسناء .. في الحمّام
(للرسام الفرنسي ناتييه)

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار « كتابى »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثامن والأربعون (السنة الخامسة) : مارس ١٩٥٦
الاشتراكات ومجموعة الأعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
رأيت وسمعت لك فى باريس : مشاهدات وتعليقات للمحرر	١١
راعية الأحلام : قصة مصرية بقلم **يوسف جوهر** ..	٣٩
العدالة : قصة تمثيلية كبرى للروائى الانجليزى **جون جالسـورثى**	٥٣
اليهـودى التائه : القصــة الخالدة للروائى الفرنسى **أوجين سـو**	٦٥
شوبنهاور (عدو الحب) : للمؤرخة العالمية **دانا لى** ..	٨٧
محمد عبده (رائد الفكر المصرى) : للمـؤرخ المصرى الدكتور **عثمان أمين**	١٠٣
كاثرين مانسفيلد (الفنانة التى كانت ترسم بالكلمات والحـروف) : للكاتب الفرنسى الكبير **هنرى بوردو**	١٢٣
ازاحة النقاب : قصة للكاتبة الانجليزية **كاثرين مانسفيلد**	١٤٠
دنيا الحب والسـعادة : للكاتب الألمانى الأشهر **اميل لـودفيج**	١٤٧
زوجات الفنانين : للكاتب الفرنسى الكبير **ألفونس دوديه**	١٦٧
مذكرات كازانوفا : الكتاب الكلاسيكى الخـالد فى أدب العشق والمغـامرة	١٧٩
أساطير القـدماء	١٩١
تاريخ العالم : للمؤرخ الفرنسى **رينيه سيدييلو**	١٩٦

الشمعات الأربع !

عزيزى القارىء ..

◆ الليلة ، قبل ان اخط اليك هذه الكلمات بقليل ، احتفلت واياك بعيد ميلاد كتابى .. وكتابك ! .. العيد الرابع لهذا المولود العزيز – على كلينا – الذى سهرنا سويا على رعايته ، منذ ولد (فى اول مارس سنة ١٩٥٢) حتى اليوم ..

احتفلت بهذا العيد كما يحتفل كل الآباء بفلذات اكبادهم ، ودمائهم ، واعصابهم .. فجلبت للمولود « كعكة العيد » ، وغرست فيها اربع شمعات ، ثم طالبته بان يطفئها بانفاسه .. دفعة واحدة ، بنفس واحد قوى ! .. فتحت صفحاته حتى آخرها ، ثم تركتها تغلق من تلقاء نفسها ، فاطفات هذه « النفخة » الشمعات الأربع .. وعندئذ صفقنا للمولود الذى اشتد ساعده وقويت انفاسه !.. وتمنينا له اعواما طويلة تالية ..

صفقنا : انا ، وهو .. وانت ! .. فلئن لم تكن معى بجسمك فى هذا الاحتفال الصغير بالمناسبة السعيدة ، فانى احسست بانك كنت معى ، بروحك .. وقلبك .. وانفاسك !

كنت معى وانت فى بيتك ، فى غرفة مكتبك او فى مخدعك ، تقرانى .. وتتحدث معى .. واتحدث اليك ! .. كنت معى وانت فى بلدك ، حيثما كنت : فى مصر ، او العراق ، او سوريا ، او لبنان ، او الاردن ، او المملكة السعودية ، او الكويت ، او السودان ، او تونس ، او مراكش ، او الجزائر .. او عدن ، او البحرين !

لقد احتفلنا سويا بعيد ميلاد « كتابنا » الحبيب .. فتبادلنا عبارات التهنئة ، وجددنا العهد . جددت لك العهد على ان اواصل الكفاح فى سبيل اهدافنا المشتركة ، ورسالتنا الواحدة ، وان اسير فى نفس الطريق الذى سلكته معك فى اعوامنا التى مضت ..

جددت لك العهد .. وسمعتك تجدد لى العهد من جانبك ، على ان تتقبل منى – بصدر رحب – ما لا يرضيك ، قبل ما يرضيك .. سيئاتى ، قبل حسناتى .. تقصيرى ، قبل ادائى لواجبى ، نحوك . حسبك ان تعلم اننى لم – ولن – اقصر يوما ، عامدا ، فى حق مولودنا الحبيب ! .. واننى عودت نفسى ان اسبقك دائما الى لوم نفسى ، قبل ان تلومنى ، كلما احسست ان قد وقع ما يستحق اللوم ! .. وجريا على هذا المبدا قضيت فى الاسبوعين الماضيين اياما تعسة ، اهيىء نفسى لتلقى سيل من رسائل اللوم والتقريع ، منك ! واشفق كلما فضضت

رسالة ، خشية ان تنطوى على حملة ·· ظالمة !

اقول « ظالمة » ، لأنى لم تكن لى يد البتة فى اى من الأمرين اللذين توقعت منك ان تلومنى بسببهما ·· بل لقد كنت انا فيهما الضحية ، اكثر منك !

اما الأمر الاول فهو هذا التاخير الذى شاب مواعيد صدور الاعداد الاربعة الاخيرة من كتابى ، ومطبوعاته ! ·· واما الأمر الثانى فهو ما اصاب العدد الاخير من « المطبوعات » من عيوب فى الطباعة ، جعلته دون المستوى الذى عودتك اياه ، والذى ارتضيته لك ولنفسى !

لكنى اثمت والحق يقال حين أسات بك الظن ، فتوقعت منك ما توقعت ! ·· فلقد كنت حليما معى ، وصبورا ، صبرا جميلا ·· وكريما !·· فلم اتلق منك كلمة لوم ، او حتى كلمة عتاب واحدة ، حتى الآن ! ·· الأمر الذى زادنى خجلا من نفسى ، ومنك ، فجعلنى أبادر الى ايضاح الأمر لك ، قبل ان تستوضحنى اياه ··

نعم ، كنت حليما وصبورا ، فتسامحت ·· او لعلك قدرت ما كنت اعتقد انك - بحكم بعدك عن ميدان المعركة - لن تتنبه اليه ! ·· قدرت ان عيوب الطباعة ، وتاخر المطابع فى انجاز الكتاب فى موعده ، أمران مردهما الى سبب واحد : هو ان « كتابى » - دون جميع المجلات والكتب الاخرى - لا يملك مطبعة تخصه ·· وانما يطبع بالأجر - الفادح - فى مطابع غيره !·· وان من الطبيعى والحالة هذه ان تحرص هذه المطابع على انجاز كتبها ، قبل كتب سواها مهما يكن الأمر !

قد تقول : وما الجديد فى ذلك ، وكتابى منذ صدر يطبع فى مطابع غيره ؟·· والجواب ، ان انجاز كتاب فى الشهر ، ليس مثل انجاز كتابين ·· وهل نسيت مولودنا الجديد : « المطبوعات » ؟

وعلى ذكر هذا المولود الجديد ، اسمعه الآن يرفع عقيرته بالصياح ، فى طلب الغذاء ·· له ، وللمطبعة !

فمعذرة اذا تركتك هنا ، قبل ان نتم حديثنا ، كى البى طلب الطفل الوليد ·· واتعهده - واياك - بالرعاية ، والحدب ، والغذاء ·· حتى يشتد ساعده وانفاسه ، فيقوى على اطفاء شمعات عيد ميلاده ، مثل شقيقه الاكبر ، سواء بسواء ! وختاما ، طاب مساؤك ·· والى اللقاء

حلمى مراد

كتابى

اعداد نفدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع « **صنم تحطم** » ، والعاشر « **حديقة الله** » ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » ، والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **ايهـا الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيطان على الأرض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الأرملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمـر الخيام** » ، والحادى والعشرون « **حياة بتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون «**فتاة لها ماض**» ، والسابع والعشرون « **ترويض النمرة** » ، والثامن والعشرون « **فن الحب** » ، والتاسع والعشرون « **الجريمة والعقاب** » ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **اميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الأعذار** » ، والثالث والثلاثون « **افروديت** » ، والرابع والثلاثون « **اقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

◆ **وتطلب** من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ما عدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا ٠٠ وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة،ولا تقبل العملة الأجنبية او أذون البريد الخارجية. وتحرر الأذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين	٢ ـ ذات الثوب الأبيض
٣ ـ الخالدون	٤ ـ الخاطئة
٥ ـ حياة امرأة (الجزء الأول)	٦ ـ حياة امرأة (الجزء الثانى)
٧ ـ الخطيئة الأولى وفتاة من الأقاليم	٨ ـ أوديب
٩ ـ مدام بوفارى (الجزء الأول)	١٠ ـ مدام بوفارى (الجزء الثانى)

وثمن كل من الأول والرابع والسابع ، عشرون قرشا خالصا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادها) ، والثانى والثامن والتاسع والعاشر ١٢ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش

« كتابى » يشترى الأعداد الستة الأولى من القــراء

نظـرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الأعـداد الستة الأولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعـد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الأعداد المذكورة .. فقد رات ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء اى عدد من نسخ الأعداد الستة الأولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الأعداد المـذكورة من اقتنائها بعـد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشان ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا او بالبريد المسجل .

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الأعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل . وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية Money Order عن طـريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٤٠ قرشا (عن سنة) و٧٥ قرشا (عن نصف سـنة) . وفى الكويت وعـدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسـا والمانيا واستراليا الخ . قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) و٨٥ قرشا (عن نصف سنة) خالصة أجر البريد المسجل، بخلاف أجر البريد الجوى

نافذة «كتابي» تطل على العالم:
رأيت وسمعت لك
في أوربا
للمحرر

تعال معى الى « الشانزليزيه » وبرج « ايفل »

◆ فى الأعداد الخمسة السابقة زرنا من معالم باريس ، على التوالى : الفولى برجير ، كهوف الوجوديين ، ميدان بيجال ، قصر العدالة ، سجن الكونسيرجيرى ، سانت شابيل ، كاتدرائية نوتردام ، الانفاليد ، حديقة وقصر اللوكسمبرج ، الحى اللاتينى ، جامعة السوربون ، مقبرة العظماء (البانثيون) ، متحف اللوفر ، غابة بولونيا ، حديقة النباتات ، جامع باريس ، حى « اوتوى » ، حى « باسى » ..

واليوم نواصل جولتنا فى أنحاء « مدينة النور » فنزور المزيد من معالمها الخالدة ذات الشباب الدائم ، والسحر الخلاب :

حيث مات « موباسان » .. وعسكرت « جان دارك » ؟

◆ قبل أن نغادر حى «باسى» ، تعال نعرج على شارع «برتون» ، حيث كان يقع - فى المبنى رقم ١٧ - مستشفى الدكتوره بلانش للأمراض العقلية، الذى مات فيه القصاص الفرنسى الخالد « موباسان » ، بعد نوبات رهيبة .. (وقد رويت لك فى عدد سابق من « كتابى » قصة حياة العبقرى التعس ، ووصف أيامه الأخيرة فى تلك المصحة العقلية)

فاذا غادرنا حى « باسى » ، فتعال نتجه الى حى آخر من الأحياء التى يقطنها المترفون ، هو حى (لامويت) ، الذى كان فى أيام « مدام دى بومبادور » و « مارى انطوانيت » ضاحية مشهورة يمارس فيها الملوك وحاشياتهم رياضة الصيد .. وتنتج مزارعها الغنية مستحضرات الألبان ، ويصنع من كرومها الخصبة أجود النبيذ! أما الآن فقد تغيرت معالم الحى تغيرا كاملا عن ذلك العصر : **فاختفى القصر الملكى ، وأزيلت الأشجار السامقة ، وحلت محلها « فيللات » ومساكن عصرية ، وترف حديث .. وهكذا لم يبق من آثار الماضى غير ذكريات، فى بطون الكتب ! .. ذكريات تتحدث عن السلام والسكينة**

لوحة خالدة معبرة من معروضات متحف اللوفر ، تمثل «وجبة الفلاحين»

اللذين ظلا يرفرفان على الضاحية على مر العصور ، فلم تفح خلالهما رائحة البارود الا حين عسكرت البطلة « جان دارك » بجيشها فيها ، فحولت القرية الوادعة الى انقاض وخرائب !

ميدان « الكونكورد »

• والآن ، تعال ننتقل الى حى آخر من أشهر أحياء باريس ، بل الى مجموعة من الاحياء ينتظمها مربع هائل شاسع المساحة ، هو الذى يضم : ميدان « الكونكورد » ، الشانزليزيه ، ميدان «الاتوال» ، قصر شايو ، برج ايفل .. الخ

٠٠ ولنبدأ جولتنا من « ميدان الكونكورد » ، الـذى يعتبر ـ وبحق ـ من أكـبر وأجمل ميادين العالم !

وتبدأ « قصـة » هذا الميدان المشهور عندما أراد أفراد حاشية الملك لويس الخامس عشر أن يتملقوا مولاهم ، فقرروا اقامة تمثال « للملك المحبوب » وهو ممتط جوادا ٠ وعهدوا بنحت التمثال المـذكور الى الفنـان « بوشاردون » ، ثم أعلنوا عن مسـابقة لتجميل المكان الذى تتقرر صـلاحيته ليقيموا فيه التمثال ٠ وتقدم للمسابقة ١٩ مهندسا معمـاريا ، فاز منهم بالمناقصـة المهندس المـدعو « جبرييل »

وأفتى جبرييل باقامة التمثال على قطعـة أرض فضاء مهملة ، تقع بين الشـانزليزيه وقصر التوييلليرى ٠٠ ووضـع تصميم ميدان ، « ثمانى » الاضلاع ، يحيط به خنـدق كبـير ، يتوسطه تمثال الملك ، كما تنتشر ثمانية تماثيل أخرى فى اركانه الثمانية ٠ ثم يقام مبنيان كبيران على جانبيه ، (شغلت وزارة البحرية احدهما على أثر نشوب الثورة) ٠٠ على أن يحف بالبنـايتين الكبيرتين قصران فاخـران للسكنى ، (قطن فى أحدهما بعد حين وزير نابليون الداهية « تاليران » ، وتشـغل الثانى الآن سـفارة الولايات

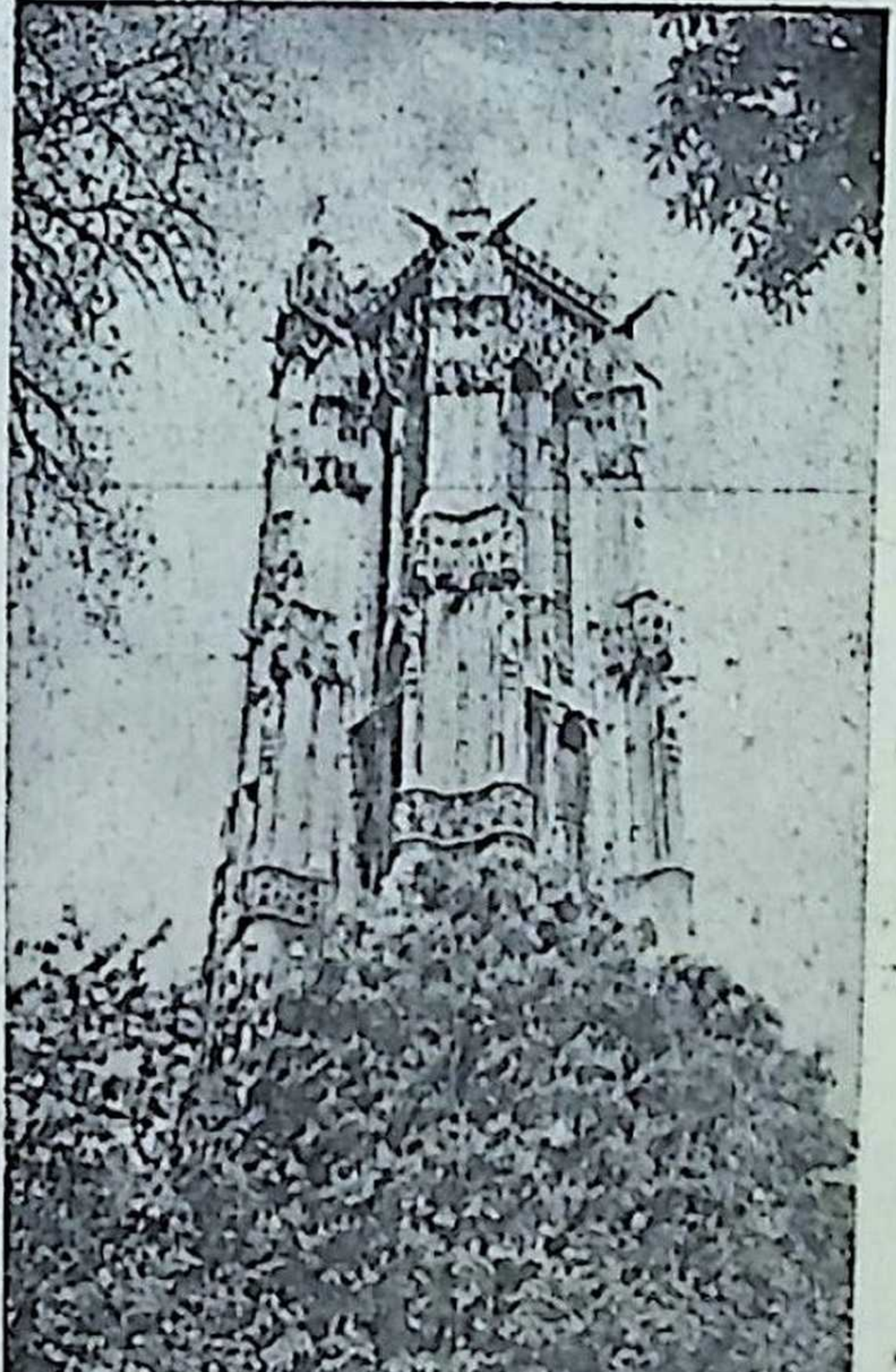

« برج سان جاك » : أثر فنى يبهر البصر ، من أجمل نماذج فن المعمار فى باريس

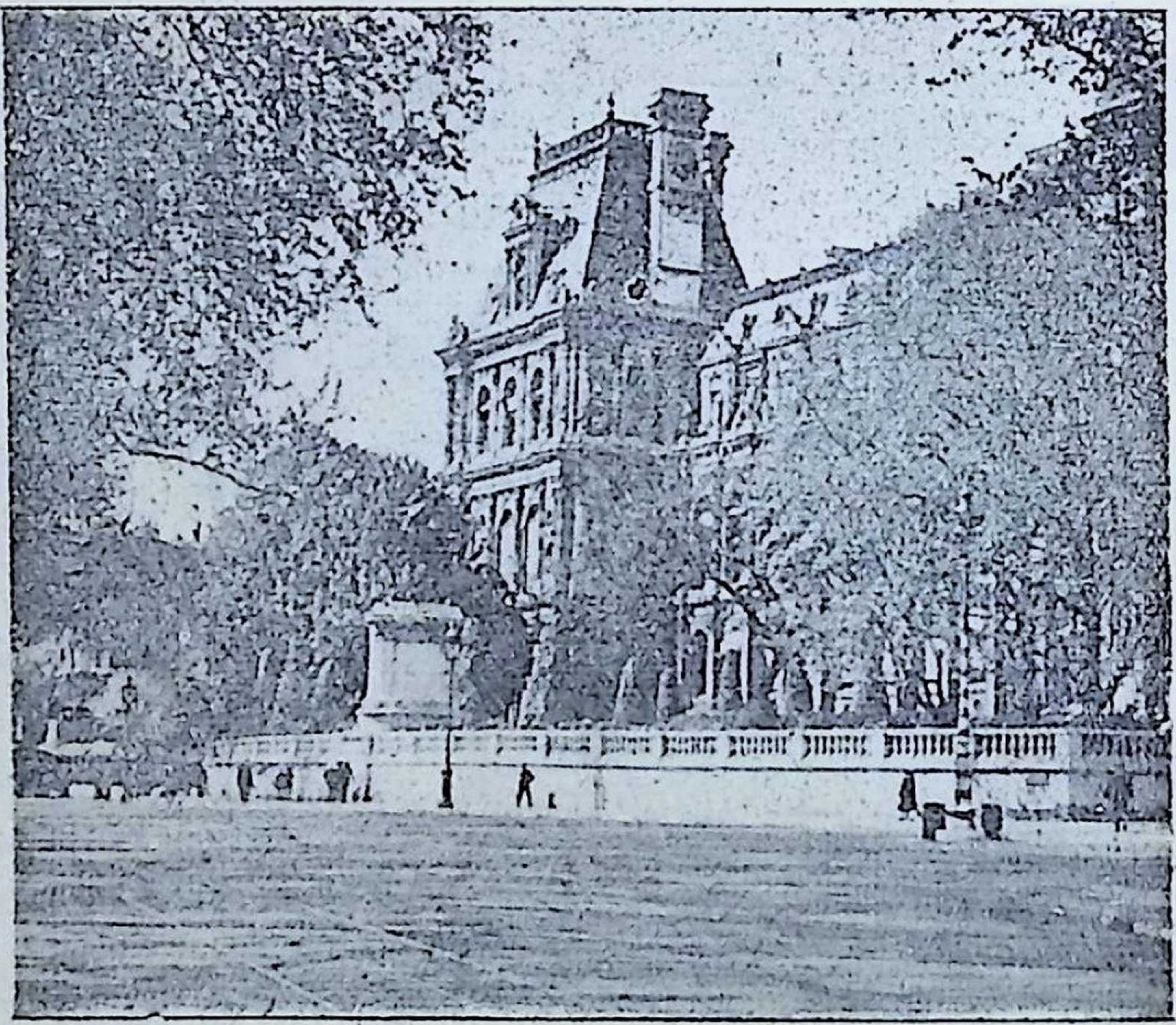

مبنى « أوتيل دى فيل » : تحفة من تحف فن المعمار فى باريس

المتحدة الامريكية)

وانشىء الميدان البديع على هذا النسق الذى وضع تصميمه المهندس « جابرييل » ، وأطلق عليه « ميدان لويس الخامس عشر » .. فلما نشبت الثورة أزيل منه تمثال الملك وصار يدعى « ميدان الثورة » . ثم أقيمت فيه المقصلة - فى احدى فترات عهد الارهاب - فسقط فيه نحو ١٣ ألف رأس من رؤوس النبلاء ، فى مقدمتها رأسا الملك لويس السادس عشر وزوجته الملكة « مارى انطوانيت » .. وحين أجهزت

«السيدة المقصلة» ـ أو « مدام لا جيلوتين » كما كانوا يدعونها ! ـ على آخر ضحاياها، فى عام ١٧٩٥ ، أطلق على الميدان اسمه الحالى الذى ينطوى على التفاؤل : « ميدان الكونكورد » ـ ومعناه بالفرنسية « ميدان الوفاق » !

مسلة الاقصر .. تشمخ برأسها!

◆ وفى عهد الاصلاح ، أكملت زينة الميدان ، فأقيمت فى زوايا أضلاعه الثمانية تماثيل ترمز الى ثمانى مدن فرنسية كبرى ، هى : ليون ، مارسيليا، بوردو ، روان ، ستراسبورج ، برست ، ليل ، نانت .. **ولم يشأ الملك لويس فيليب أن يعيد الى الميدان تمثال لويس الخامس عشر ، وانما أمر بأن يقام فى وسطه أثر لا يحمل معنى سياسيا ، هو «مسلة الاقصر» ، التى كان والى مصر « محمد على » قد أهداها الى فرنسا ، والتى**

تمثال بديع لجواد نافر ، يحاول الصياد ترويضه ، وهو جزء من صرح فنى ضخم بميدان الكونكورد ، وقد نحته المثال « كوستو »

منزل عصرى بشارع (ماليه ستيفنس) بباريس ، حيث تندر المبانى المشيدة على الطراز الحديث

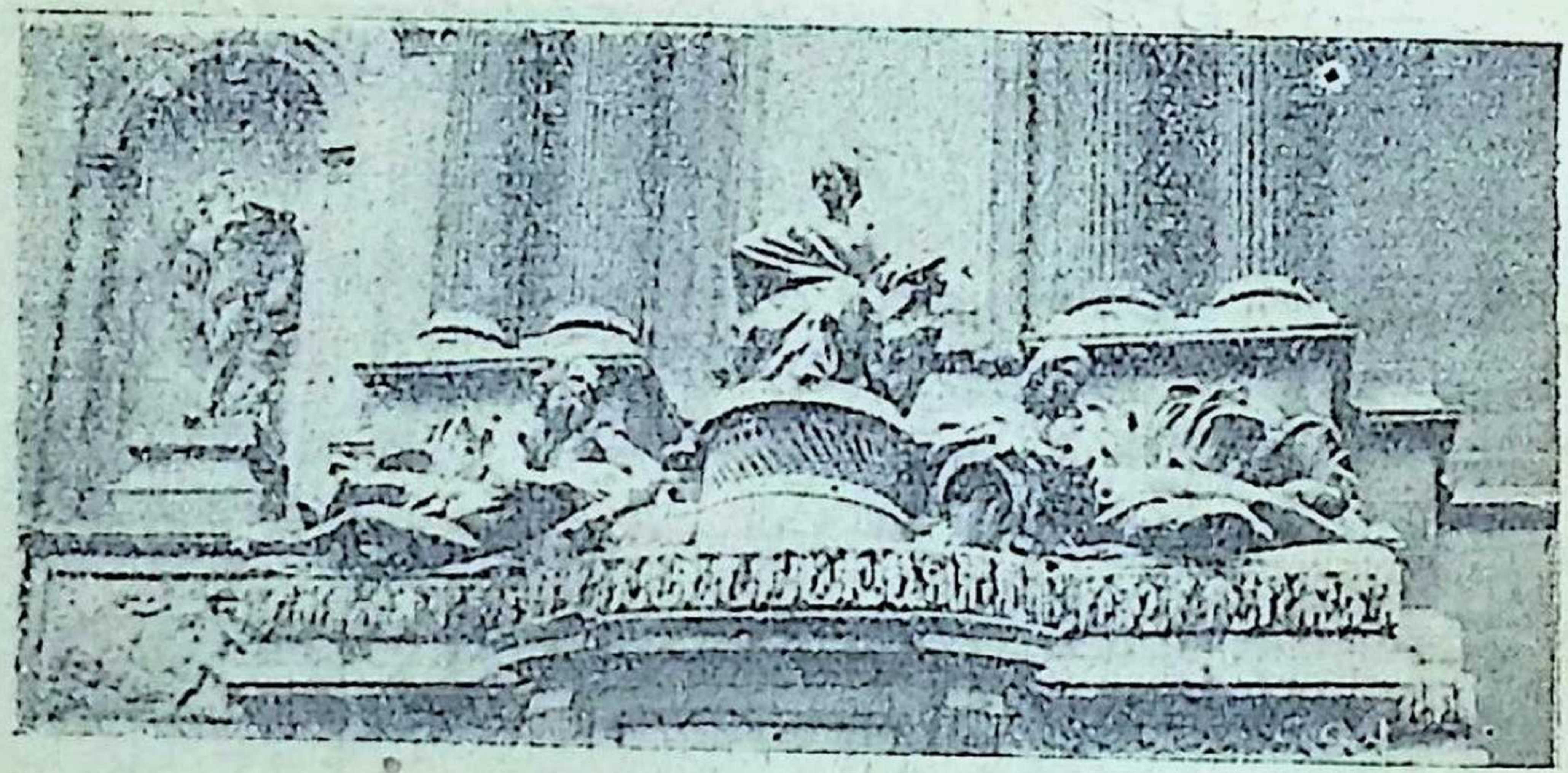

في شارع « دى جرينيل » بالعاصمة الفرنسية ، ترى هذه النافورة البديعة التى أطلق عليها ناحتها المثال « بوشا ردون » اسم « نافورة الفصول الاربعة » ، وهى من نوع النافورات التى تكثر فى شوارع روما

تعتبر من أعظم المسلات المصرية وأضخمها ، وأقدمها ، اذ يبلغ « عمرها » ٣٣٠٠ سنة ،وارتفاعها ٧٠ قدما ، ووزنها ٢٣٠ طنا . ومنذ ذلك التاريخ تطلعت الى المسلة المصرية الجبارة - فى اعجاب - عيون ملايين الملايين من السائحين الأجانب من كافة بلاد العالم ، فضلا عن الأجيال المتعاقبة من الفرنسيين .. بل لقد صار للمسلة معنى دولى طريف ، ففى يوم ٤ يوليو من كل عام - وهو يوم عيد استقلال الولايات المتحدة الامريكية - يقع ظل المسلة ساعة الظهر تماما على بوابة سفارة الولايات المتحدة ، التى تحتل كما أسلفت أحد القصور المشرفة على الميدان !

والى جانب المسلة ، أقيمت فى الميدان نافورتان خلابتان - وليس أربع نافورات ، كما رسم جابرييل فى تصميمه - ومهما أسهب فى الوصف ،فيستحيل أن أنقل الى خيالك ولو قدرا ضئيلا من روعة النافورتين والمسلة حين تسلط

عليها الاضواء الكاشفة كل مساء ٠٠ بل روعة الميدان كله وهو يموج بالضياء !

التمثال الحزين !

◆ ومن الأمور ذات المغزى الوطنى النبيل ، انه حين انتزع من فرنسا اقليم الألزاس واللورين على اثر هزيمتها فى عام ١٨٧١ ، **طرح نقاب الحداد الأسود على وجه التمثال الرخامى الجميل لمدام (ستراسبورج) ـ عاصمة الاقليم**

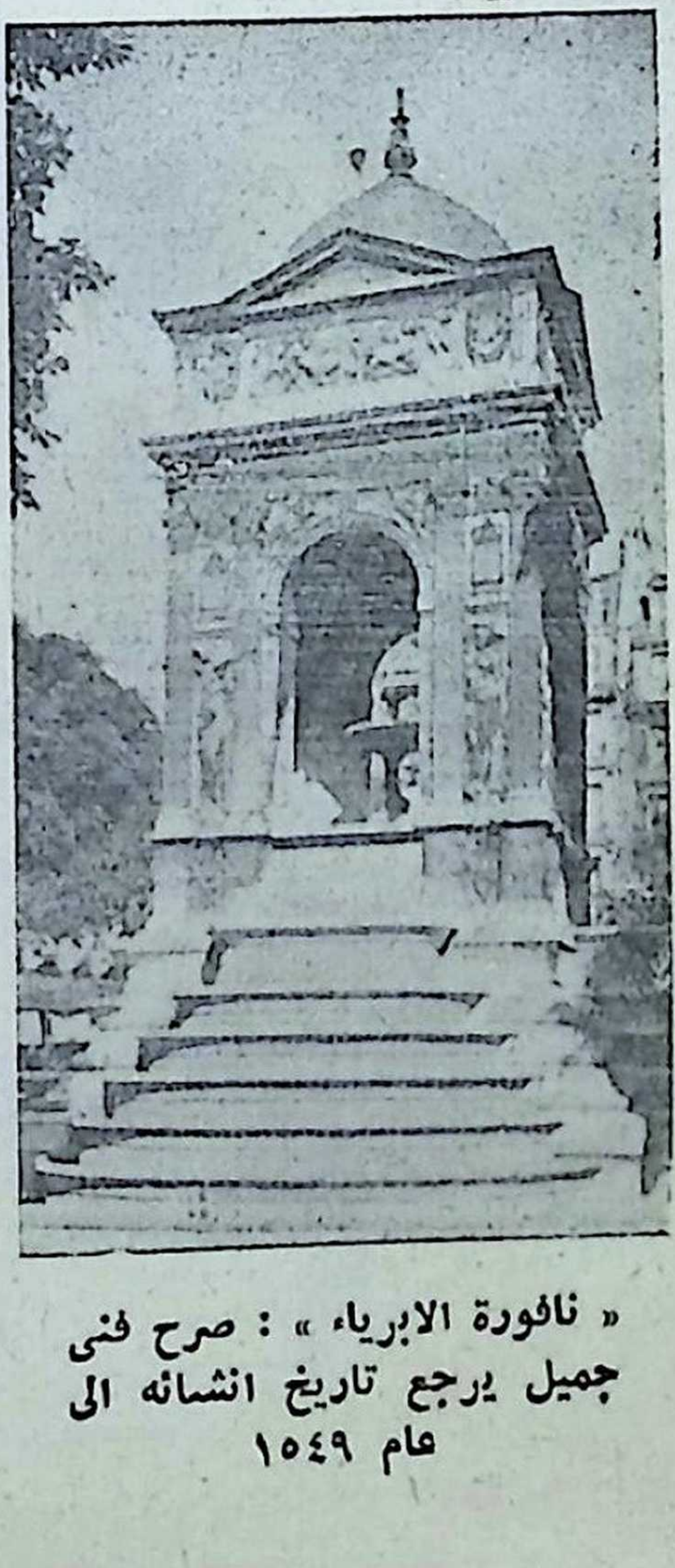

« نافورة الابرياء » : صرح فنى جميل يرجع تاريخ انشائه الى عام ١٥٤٩

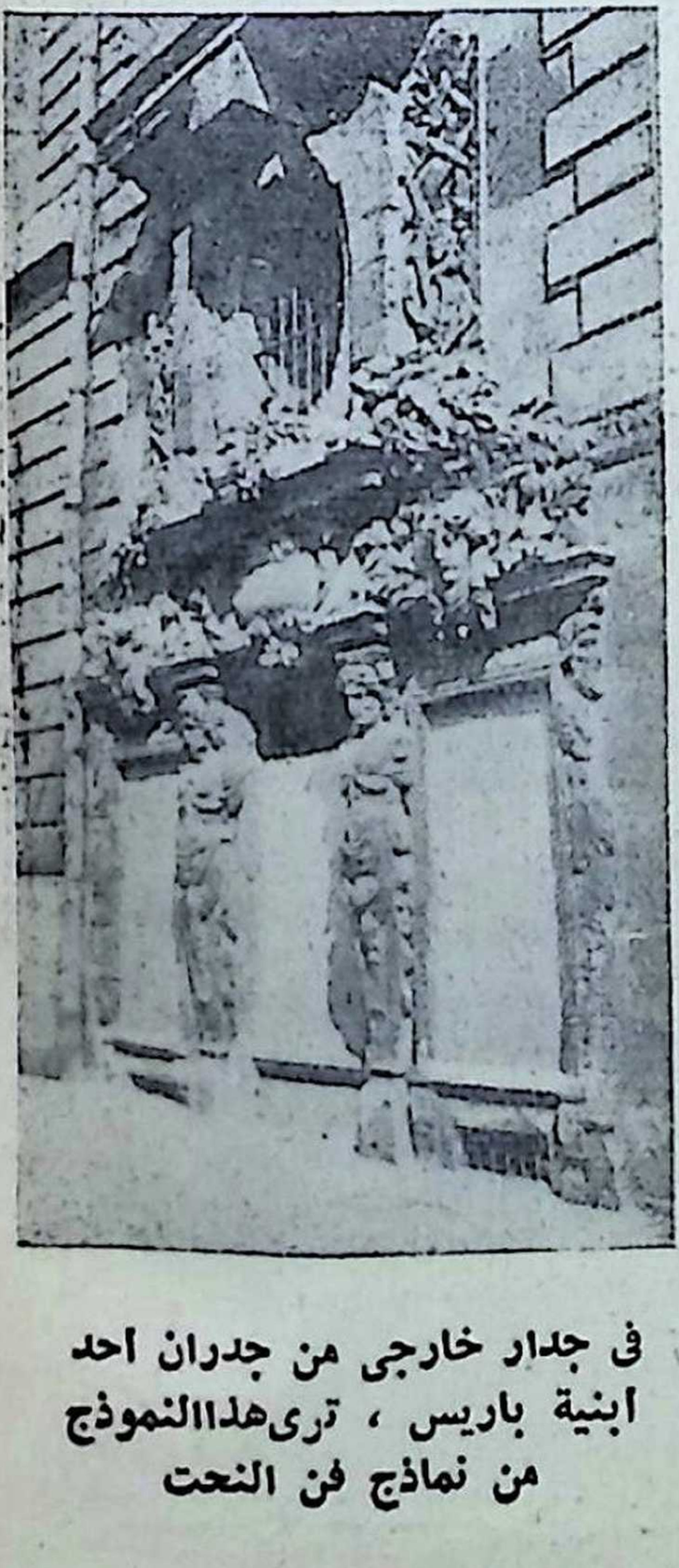

فى جدار خارجى من جدران احد ابنية باريس ، ترى هذا النموذج من نماذج فن النحت

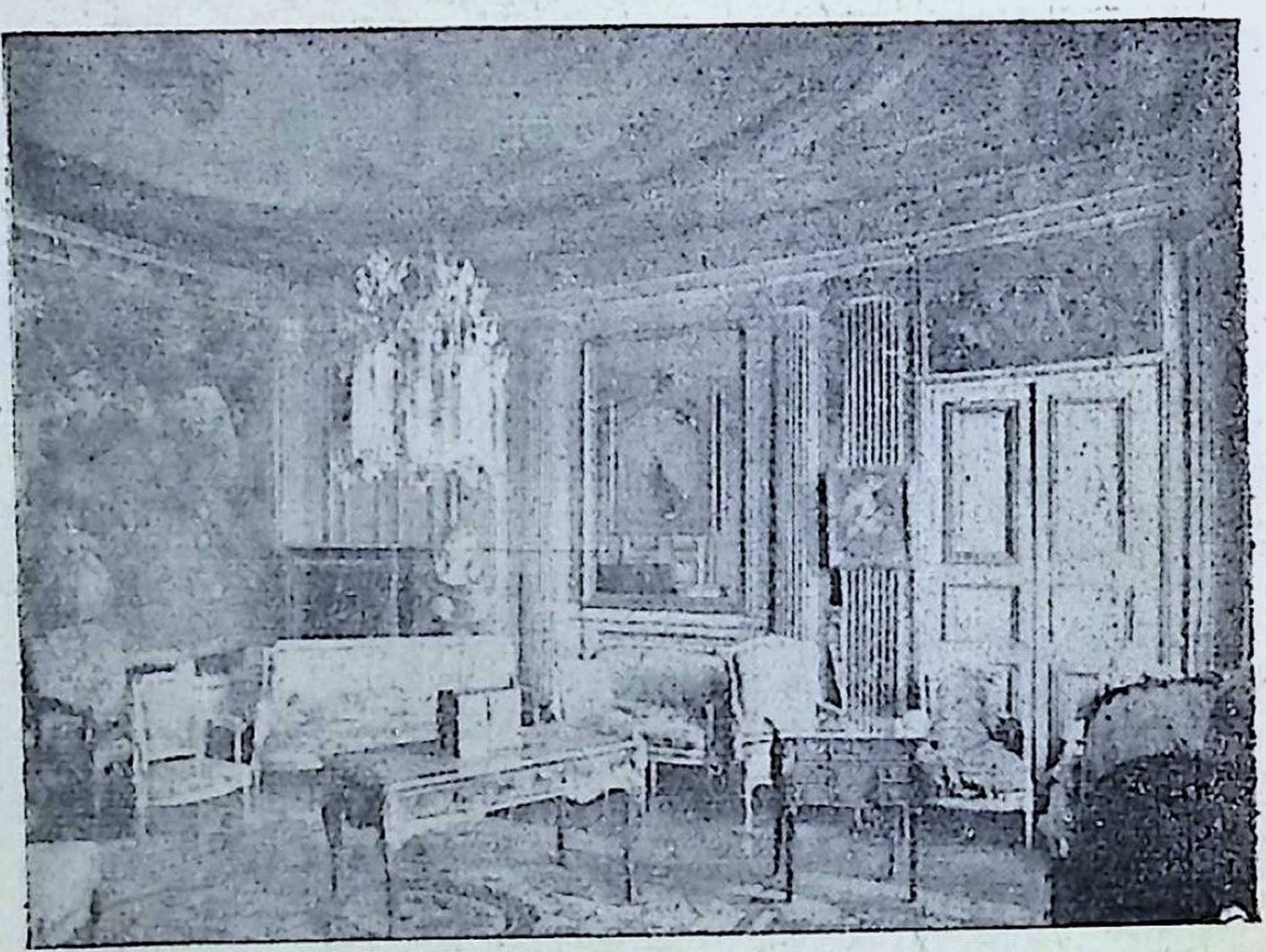

صالون بقصر « المركيز دى فيبيت » ، الذى مات « فولتير » فى ضيافته

المفقود - وهو أحد التماثيل الثمانية المقامة فى الميدان كما أشرت - ولم يرفع النقاب الأسود عن التمثال الا بعد نحو خمسين عاما ، حين استردت فرنسا (الألزاس واللورين) فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، عام ١٩١٨ :

كما حدث خلال معركة التحرير - أثناء احتلال الالمان لباريس فى الحرب الأخيرة - أن ألقى أحد الوطنيين الفرنسيين قذيفة على مقر القيادة الألمانية العليا ، التى كانت تحتل احدى البنايتين الكبيرتين المشرفتين على الميدان ، فتخلخل أحد الأعمدة فى واجهة البناية الضخمة ، ثم سقط من مكانه .. وكم طرب الفرنسيون حين تنبهوا الى ان العامود الذى سقط هو العامود

« الخامس » من أعمدة الواجهة ،وفى اللغتين الفرنسية والانجليزية يعبر عن العامودوعن الطابور أو الفرقة من الجيش ، بلفظ واحد ٠٠ ومن ثم تندر أهل باريس يومئذ بأن « الطابور الخامس » قد سقط !

الشانزليزيه ٠٠ أعرض وأجمل شوارع العالم !

• **والآن** تعال نغادر ميدان« الكونكورد » الخلاب ، من أوسع منافذه ، وهو شارع« الشانزليزيه » ، الذى يبدأ منه وينتهى فى ميدان «الاتوال»- أو بالعكس ٠ **ومن التجنى أن يوصف طريق الشانزليزيه بأنه « شارع » ، فهو فى الواقع «ستة شوارع» متوازية ، يزيد عرضها على المائة متر ! ٠٠ ٣ شوارع للذهاب ، ومثلها للاياب : ومن هذه الشوارع الثلاثة واحد للمشاة ، وآخر للسيارات ، وثالث لوقوف السيارات والعربات ، بمحاذاة الرصيف الكبير ، أى بمثابة رصيف ثان لشتى صنوف المركبات ، (ومن بينها بضع عربات «حنطور» ، ارستقراطية) ٠٠ وتتخلل هذه الشوارع الستة المتوازية، ارصفة أخرى، وجزر ، ومتنزهات ٠٠ الخ**

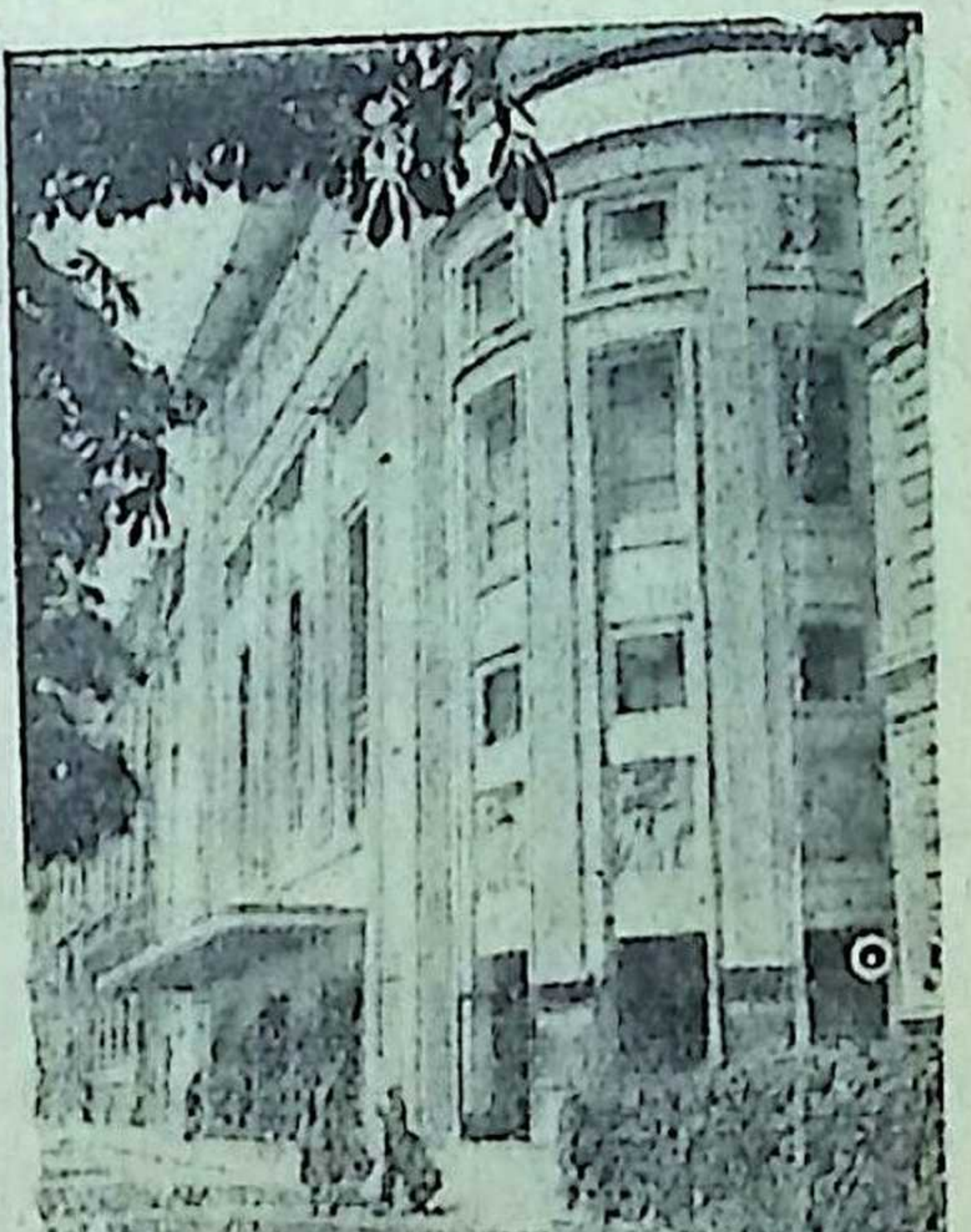

واجهة « مسرح الشانزليزيه » وقد زينت بلوحات بارزة من نحت الفنان « بورديل » ٠ وهى تعطيك فكرة عن فخامة مبانى طريق الشانزليزيه ، ومقدار اتساع ارصفته

وطريق الشانزليزيه - أعرض وأشهر طريق مستقيم فى العالم - ينقسم الى قسمين : قسم تنفسح على جانبيه الغابات

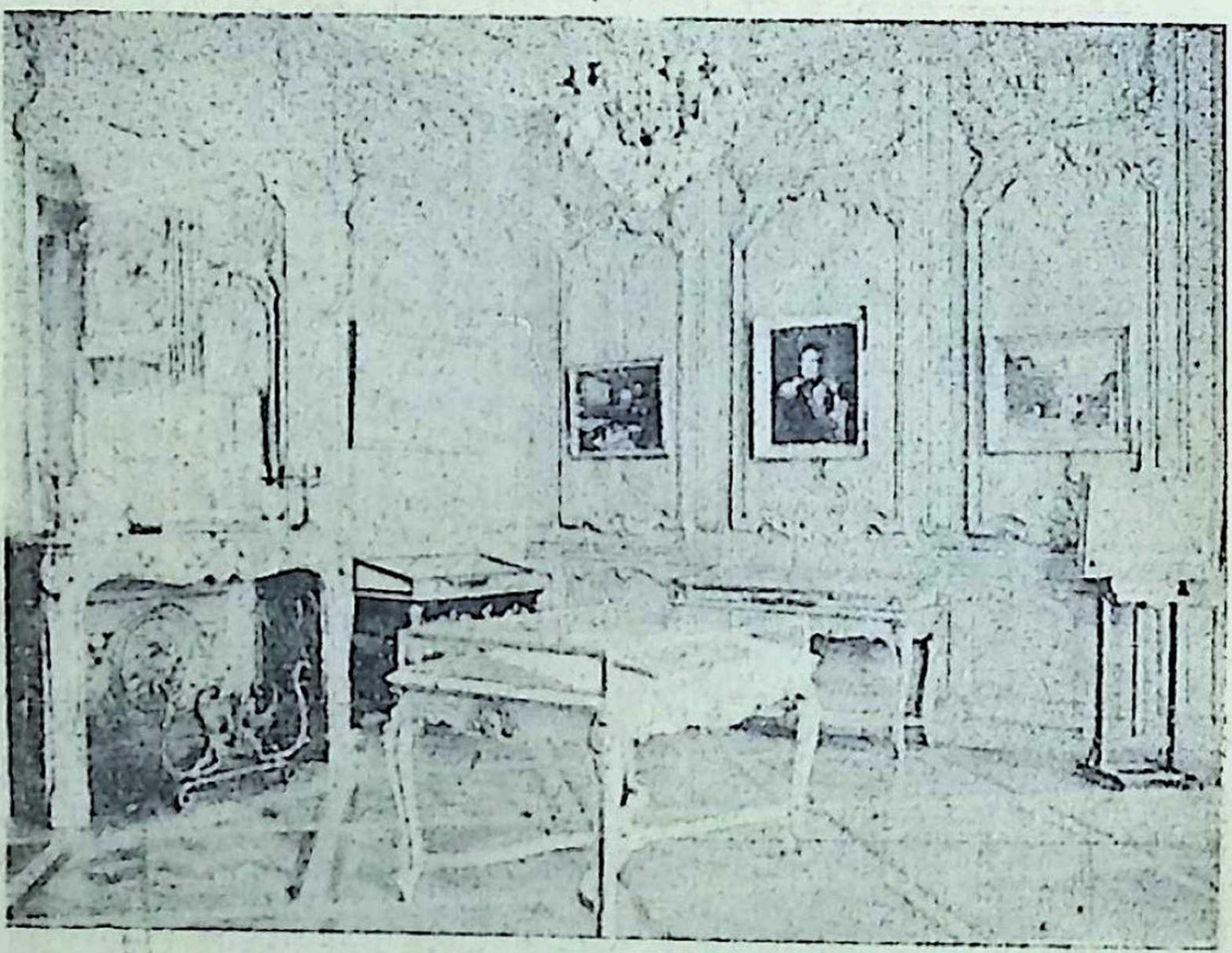

احدى قاعات « متحف كارنافاليه » بباريس ، ويضم تحفا من القرن الثامن عشر

والحدائق العامرة بالتماثيل ،والممرات الشاعرية ، وتنتشر فى قلبها بضعة مطاعم ومقاه أنيقة ‥ أما القسم الثانى من « الشانزليزيه » فهو الذى يضج بالعمران ، وتحف بجانبيه المبانى الشاهقة الضخمة ــ وان كانت ظلالها لا تكاد تصل الى منتصف عرض الطريق ! ــ ومن هذه العمائر الفاخرة ما يقطنه المترفون والاثرياء ، ومنها ماتشغله مكاتب رجال الاعمال ــ كما هى الحال فى شارعى سليمان (باشا) وفؤاد الاول (سابقا) ، مضروبين فى ستة أمثالهما ! ــ وان كان الاختلاف بين هذين الشارعين وبين « الشانزليزيه » ، من جميع

النواحى الأخرى ، شاسعا بعيد المدى .. فان اتساع الأخير ، الذى يزيد على ضعف ارتفاع مبانيه ، والاشجار الكثيرة التى تظلل ارصفته ومتنزهاته ، تجعل السائر فيه يحس بانه فى ضاحية خلوية ، وليس فى حى آهل بالعمران ، والحركة التجارية ، ودور السينما ، والمقاهى الارستقراطية ذات الشهرة العالمية ، التى تعتبر معرضا للجمال والاناقة والازياء!

.. أما السيارات المتراصة فى موقفها المخصص لها على جانبى الطريق ، فلا أعدو الحقيقة اذا قدرت عددها بالآلاف ! .. بخلاف الآلاف الأخرى التى تنطلق فى الطريق دون انقطاع ، ذاهبة وآيبة .. وبالاختصار ، اذا أردت أن تكون فى خيالك فكرة – مصغرة – عن طريق الشانزليزيه ، فلك أن تتصور

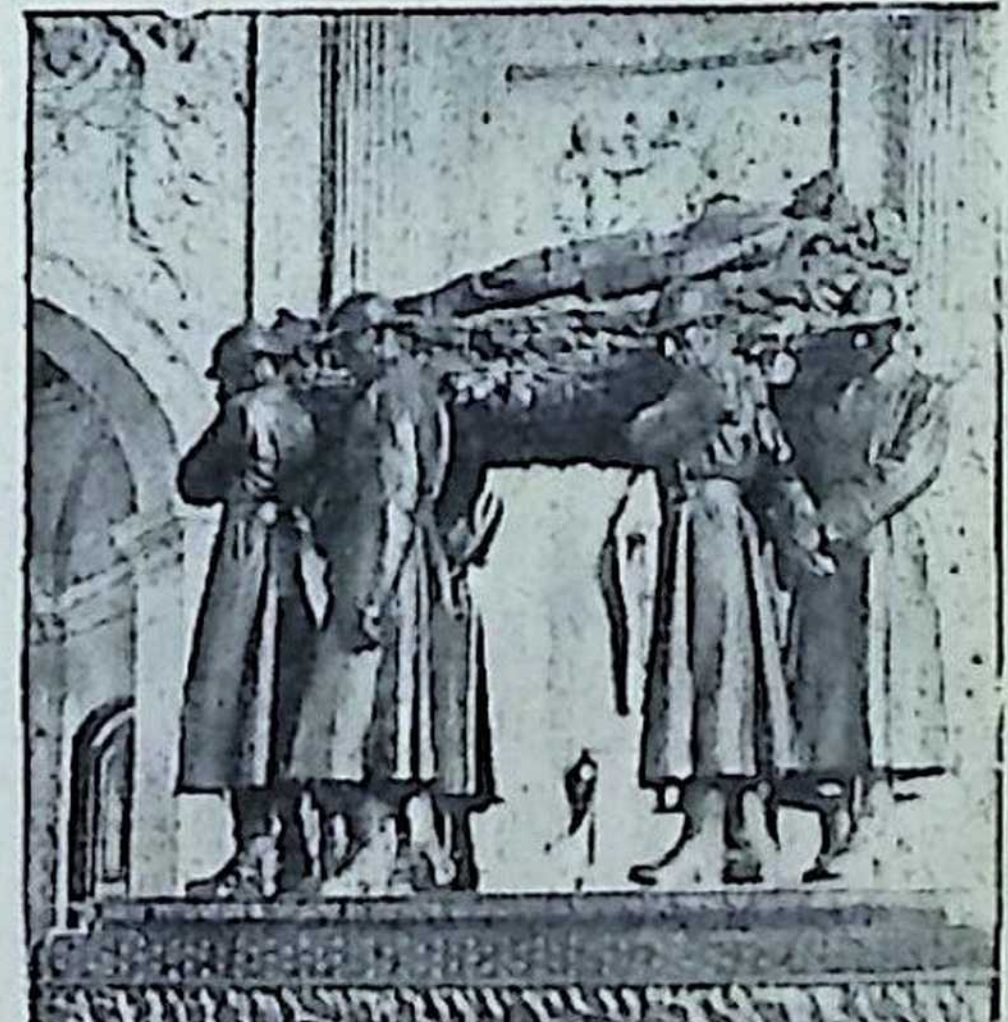

ضريح « الماريشال فوش » ، وهو من صنع الفنان « لاندوفسكى » ، وموضوع فى احدى قاعات « الانفاليد » حيث يثوى « نابليون »

حدائق « كلونى » الجميلة ، وتكثر فيها التماثيل الفنية الرائعة

«لوحة» بارزة من عشرات مثلها تزين دار أوبرا باريس من الخارج

الطريق الممتد بين منشية البكرى والعباسية (فى القاهرة) مثلا ، ثم تضرب عرضه فى اثنين، ثم تنقل الى جانبيه على طول ٣ أميال على الاقل – وهو الجزء المزدحم بالعمران منه – مبانى شارع سليمان (باشا) ، مضروبة فى اثنين أيضا ، سواء من حيث الضخامة أو الرواء ٠٠ وترص بمحاذاة أرصفته الفسيحة عددا لا نهاية له من السيارات، صفوفا متراصة – بالعرض – ثم تطلق فى الشارعين الاوسطين من الطريق طوابير متلاحقة من السيارات ، تنهب الارض ذهابا وايابا ٠٠ وأخيرا تملأ الأرصفة بأرقى أنواع الحوانيت والمقاهى والمشارب ، و « أنظف » عينات البشر ! ٠٠ **لكنك حتى لو فعلت هذا ، فمن أين لك ذلك « الجو الخاص » ٠٠ والسحر الخاص ٠٠ والعطر الخاص ، الذى لا يتوافر الا فى «الشانزليزيه» بالذات ، سيما فى فترة بعد الظهر السابقة للغروب ؟!**

أعياد الشانزليزيه !

◆ **واسم** « الشانزليزيه » بالفرنسية مكون من كلمتين ، معناهما « رياض الجنة » ، (والى الشطر الثانى من الاسم ينسب قصر « الاليزيه » ، المقر الرسمى لرئيس الجمهورية الفرنسية) ٠ ولا تزال مسافة من الطريق تحف بها الحقول أو الحدائق والغابات كما أسلفت ٠ والظاهرة التى تبهر النظر فى

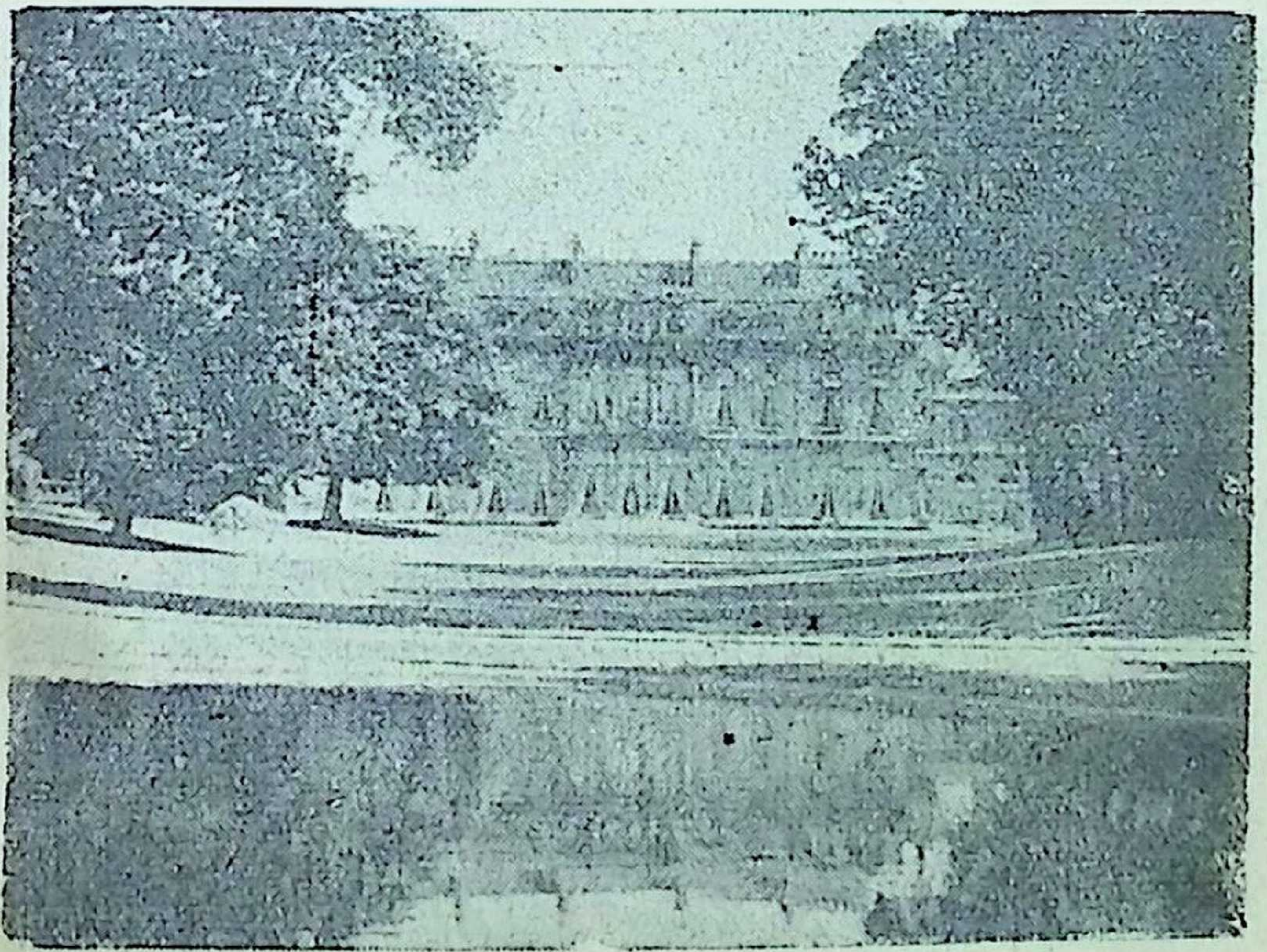

واجهة قصر «الاليزيه» ، مقر رئيس الجمهورية الفرنسية ، وتطل على بحيرة صناعية جميلة

طريق « الشانزليزيه » أنه مستقيم استقامة مطلقة ، كالمسطرة ، طيلة مسافة الاربعة أميال التى يبلغها طوله الكامل، بين ميدانى « الكونكورد » و « الاتوال » ٠٠ ويرجع الفضل فى انشائه الى الملكة « مارى دى مدسيس » التى أنشأت قصر التويللرى وحدائقه ثم أمرت بشق الجزء الاول من الطريق ، الذى يبدأ من ميدان الكونكورد، الملاصق لحدائق القصر ٠ وجاء بعدها الوزير « لوتوتر » فمد الطريق مسافة أخرى ، وزرع الاشجار الباسقة الوارفة الظلال على جانبيه وفى وسطه ٠ وبعد خمسة عشر عاما عمد مدير حدائق القصور الملكية الى اكمال الطريق حتى المكان الذى صار فيما بعد ميدان « الاتوال » ،

وهو نهايته الحالية • وفى مستهل القرن التاسع عشر أنشئت النافورات والبرك الصناعية فى أجزاء متفرقة منه ، ورصف الطريق كله بالاسفلت • ومنذذلك التاريخ احتل مكانته الرفيعة وأصبح من أجمل معالم باريس • وفى الايام التى كانت ما تزال تحيط به الحدائق ،طيلة امتداده ، اشتهر بالحفلات والاعياد التى كانت تقام فيه ،فى الهواء الطلق •• فكانت الجماهير الراقية تحتشد لتصفق اعجابا بالمهرجين والبهلوانات الذين يعرضون ألعابهم فى تلك الاعياد •• فكانت تصف مقاعد خشبية تتسع لنحو ثلاثة آلاف متفرج ، تحت الاشجار وبمحاذاة ممرات الحدائق التى يفوح منها شذى الورود وعطر الازهار •

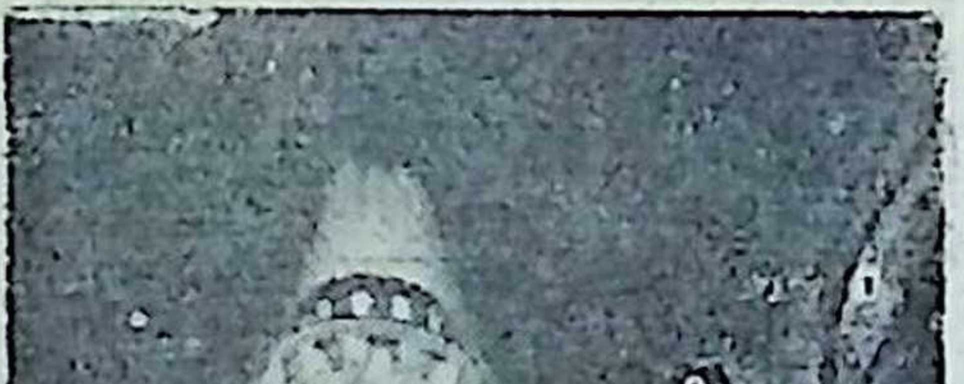

نافورتان مضيئتان تتجلى فى نحتهما وفى اضاءتهماروعة الفن ، وقداقيمتابجهة (بوابةسان كلو)

واليوم ، يقام فى «الشانزليزيه» كل عام مهرجان كبير يضم « عمد » جميع أنحاء فرنسا ، ويلتقى فيه برئيس الجمهورية ممثلو الهيئات والنقابات جميعا• وقد أوقف هذا المهرجان خلال الحرب الاخيرة من سنة ١٩٤٠ الى سنة ١٩٥٠ ثم استؤنف من جديد •

أحسبك قد اكتفيت بهذا الوصف للشانزليزيه ، فتعال نتابع سيرنا فيه الى نهايته فى «ميدان الاتوال» :

قوس النصر الذى شهد الهزيمة

◆ فى نهاية القرن الثامن عشر كان الميدان الذى يعرف اليوم باسم

نموذج واحد من مئات اللوحات البارزة المنحوتة على جدران قوس النصر المشهور بميدان « الاتوال »

ميدان «الاتوال» - ومعناه ميدان «النجمة» - ساحة على شكل نجمة، ولكن كانت تتفرع منها خمسة شوارع فقط ، ويتوسطها مرج أخضر على شكل مدرج ٠ فلما أحرز نابليون انتصاراته الحربية المتوالية ، أصدر أمره الى «شالجران» بتشييد قوس نصر ضخم ، تخليدا لأمجاد الجيوش الفرنسية ٠ وقد بدأ العمل فى القوس بالفعل فى عام ١٨٠٨ - بوحى من قوس نصر الامبراطور «قسطنطين» الموجود فى روما - فلما أفل نجم نابليون بعد سبعة أعوام ، توقف العمل فيه ٠٠ ثم استؤنف مرة أخرى بعد ذلك ، الى أن انتهى أخيرا فى عام ١٨٣٦ ، **فجاء تحفة عالمية لانظير لها ، سواء من حيث ضخامته (اذ يبلغ ارتفاعه خمسين مترا - اى مثل ارتفاع عمارة الإيموبيليا بالقاهرة مثلا ! - كما يبلغ عرضه خمسة واربعين مترا) ٠٠ أو من حيث المشاهد الرائعة المنحوتة على جدرانه على شكل تماثيل بارزة، والتى يمثل كل منها موقفا من المواقف التاريخية المأثورة أو المعارك الحربية المعروفة التى انتصر فيها نابليون٠٠** وهذه المشاهد التى لاأجد تعبيرا أصدق فى وصفها من أنها « لوحات » بارزة ، تغطى مساحة آلاف الامتار المربعة التى تتألف منها واجهات القوس الخارجية وعشرات الاضلاع الداخلية لكل «قدم» من أقدامه المرتكزة على الارض !٠٠ بل ان فوق قمة القوس افريزا يبلغ ارتفاعه مترين ، يتألف من

عشرات التماثيل - بالحجم الطبيعي - لجنود يتأهبون للذهاب الى ميدان المعركة ، ثم يعودون منها ظافرين ٠٠ وفي قلب احدى «اقدام» القوس يوجد مصعد ينقل الزوار والسائحين الى السطح الأعلى للقوس ، حيث يشرف المرء على منظر - للميدان ، ولجزء كبير من باريس - لاسبيل الى وصف روعته أو نسيان ذكراه ! ٠٠ **كيف لا وانت ترى تحت ناظريك ميدانا فسيحا هائلا لايدرك البصر مداه ، يتفرع منه - على شكل نجمة - ١٢ شارعا عريضا خلا بالطبع «الشانزليزيه» الا واحدا فقط منها ! ذلك ان البارون « هوسمان » (بغدادي باريس في عهد نابليون الثالث) أضاف الى الشوارع الخمسة التي كانت تتفرع عن الميدان من قبل سبعة شوارع أخرى ، أتمت أضلاع النجمة الهائلة ٠٠ كما** انه أزال الابنية التي كانت على نواصي الشوارع المشرفة على الميدان ، وأنشأ في مكانها ابنية رائعة متشابهة كلها في الطراز !

الشعلة التي تتقد منذ ٣٨ عاما!

• وعلى أثر انتصار فرنسا في الحرب العالمية الاولى ، وضعت أشلاء «الجندي المجهول» في قبر تذكاري حفر في باطن الارض في المركز الاوسط للممر الذي تحت القوس ٠٠ ولا يبدو من القبر فوق سطح الارض غير لوحة رخامية بمحاذاة هذا السطح ،

تمثال الملك « هنري الرابع » بباريس ، وهو من صنع الفنان «ليمو» (١٨١٨)

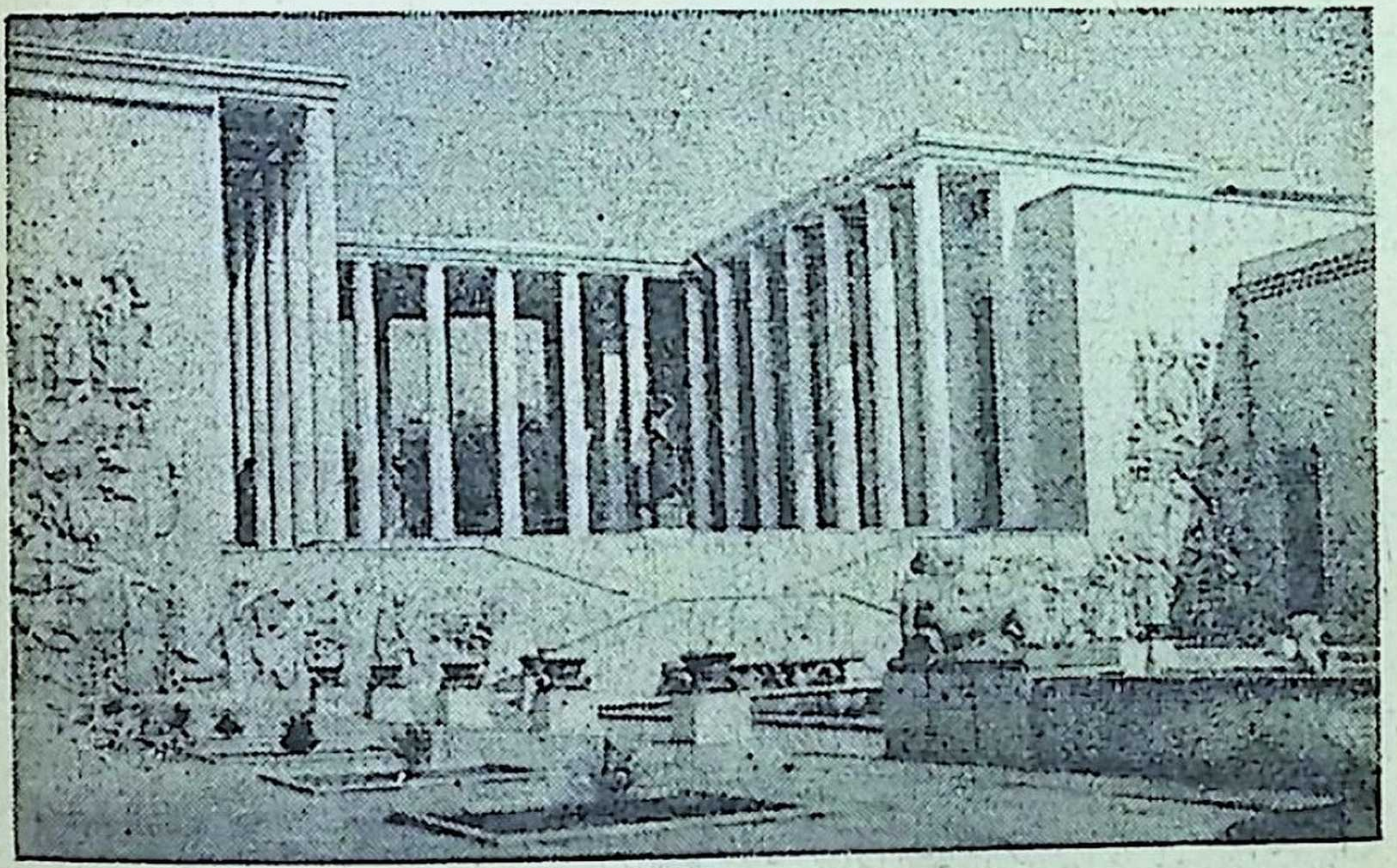

متحف الفن الحديث ، وهو جزء من مبنى قصر شايو بباريس ، حيث تعقد دورة الامم المتحدة احيانا

سجلت عليها قصة بطولة الجندى المجهول ، وتتوسطها فتحة يبرز منها لسان صغير من اللهب أشعل فى يوم الهدنة (١١ نوفمبر سنة ١٩١٨) وما تزال شعلته الخالدة تتقد منذ ذلك التاريخ حتى اليوم، طيلة ٣٨ عاما! (اذ يرفع الغطاء كل حين فتتغذى الشعلة بالوقود قبل ان ينفد)

وفى كل الاستعراضات والاحتفالات العسكرية الهامة ، يتخذ قوس النصر المذكور مركزا يبدأ منه الاستعراض ..

.. استعراض النصر ، واستعراض الهزيمة ، او بتعبير أصح : استعرض المنتصر أيا كان ! **فعند دخول الألمان باريس فى عام ١٩٤٠ كان من أقسى المناظر وطأة واذلالا للفرنسيين ، منظر الاستعراض العسكرى النازى الذى قام به الألمان تحت قوس النصر، احتفالا بنصرهم -هم! - سيما حين ساروا اثناءه يختالون بخطوة الأوزة!..** وليست هذه أول مرة تنقلب فيها الآية فيتخذ

قوس النصر رمزا للهزيمة المريرة، فقد سبق ان تجرعت فرنسا كأس المذلة بعد تشييده، حين هزمتها ألمانيا فى الحرب السبعينية وانتزعت منها (الألزاس واللورين) .. بل لقد هزمت فرنسا هزيمتها الكبرى فى (واترلو) والعمل مايزال جاريا فى القوس الذى يرمز للنصر ،ومات نابليون مهزوما ممرور النفس ، قبل ان تكتحل عينه برؤية قوس انتصاراته تاما شامخا !

وثمة ظاهرة عجيبة تشبه ظاهرة انعكاس ظل مسلة الاقصر على باب السفارة الامريكية فى ميدان الكونكورد ساعة الظهيرة تماما، يوم عيد استقلال الولايات المتحدة .. والظاهرة الاخرى

لوحة من معروضات متحف الفن الحديث ، وهى للفنان « فلامينك » ، وتمثل ثورة الطبيعة القاسية فى جهة نائية عن العمران

التى أعنيها هى أنه فى يوم ٥ مايو من كل عـــام ـ وهو يوم ذكرى وفاة نابليـــون ـ تغرب الشمس وتختفى وراء الافق فى اللحظة التى تبلغ فيها أشعتهـا مركز الوسط تماما تحت قوس النصر !

تعال نغادر الآن ميدان الاتوال، كى نزور صرحا آخر من معالم باريس لا يقل عنه شهرة وأهمية ٠٠ فلئن كان قوس النصر رمزا لمجد فرنسا الحربى، فان «برج ايفل» رمز لمجدها العلمى والهندسى !

البرج الذى يزن ٧ آلاف طن !

◆ **فى سنة** ١٨٨٤ ، خطرت للمهندس الفرنسى الشاب «ايفل» فكرة تشييد برج من المعـــدن وحده ، لا يدخل فى بنائه حجر واحد ـ بعكس كل ما سارت عليه النظريات الهندسية منـذ بدء الخليقة حتى ذلك الحين !٠٠ وبعد كفاح شاق ، أفلح الشاب فى اقناع رؤسائه بتنفيذ فكرته ، فعهدوا اليه بالمشروع الذى خلقه واحتضنه وتبناه!٠٠ وبدأ العمل فى البرج فى عام ١٨٨٧، وتم بعد عامين فقط! **ويبلغ ارتفـاع البرج نحو ٣٢٠ مترا، وزنتـه سبعة آلاف من الاطنان ، وهو يتألف من مليونين ونصف مليون قطعة من الحديد ٠٠ وقد بلغت نفقات تشييده سـبعة ملايين ونصف مليون فرنك !**

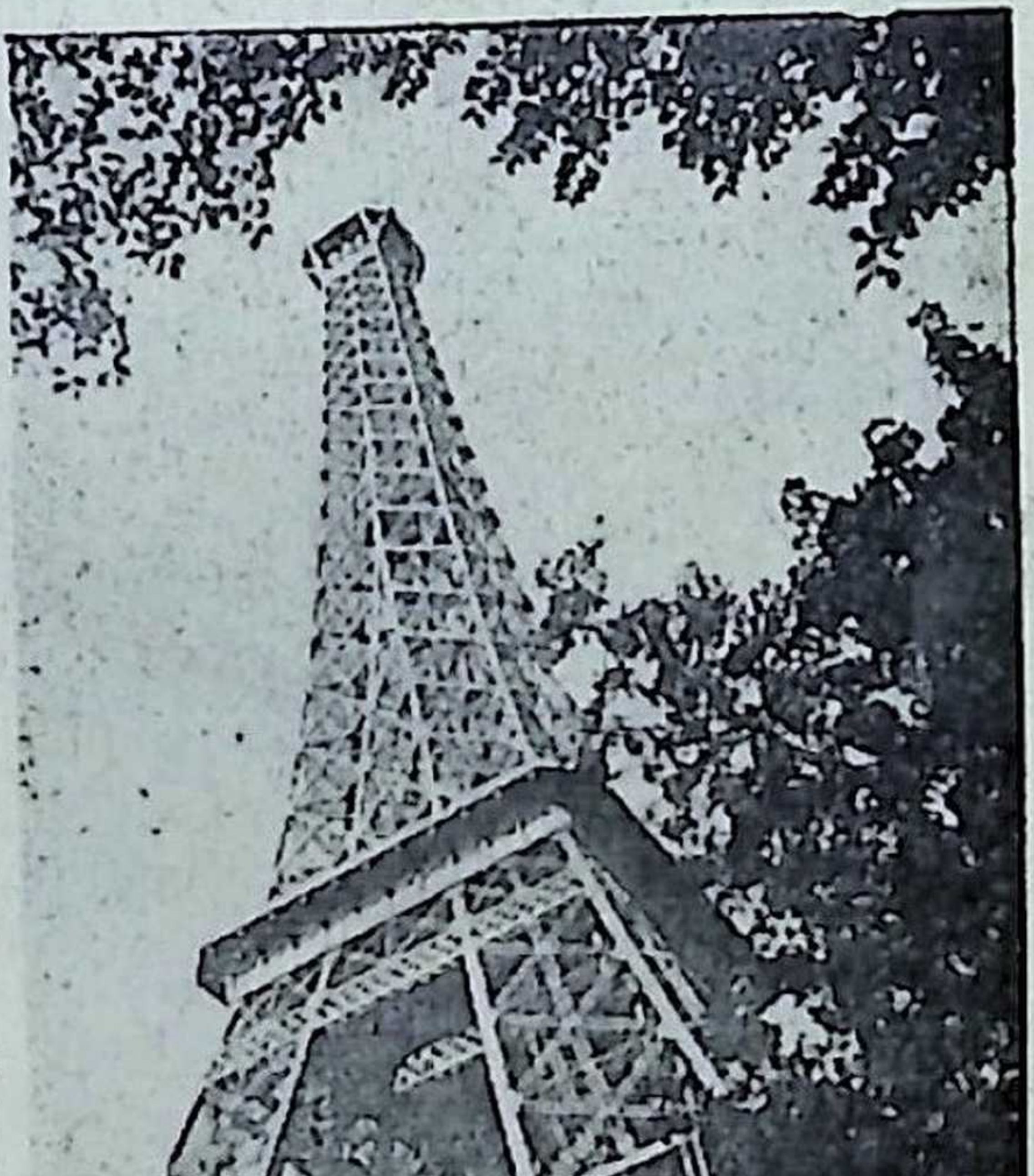

صورة فوتوغرافية رائعة لبرج ايفل التقطت من وضع فنى

ورغم فداحة ثقل البرج، فان قمته العليا تتارجح عنداشتداد

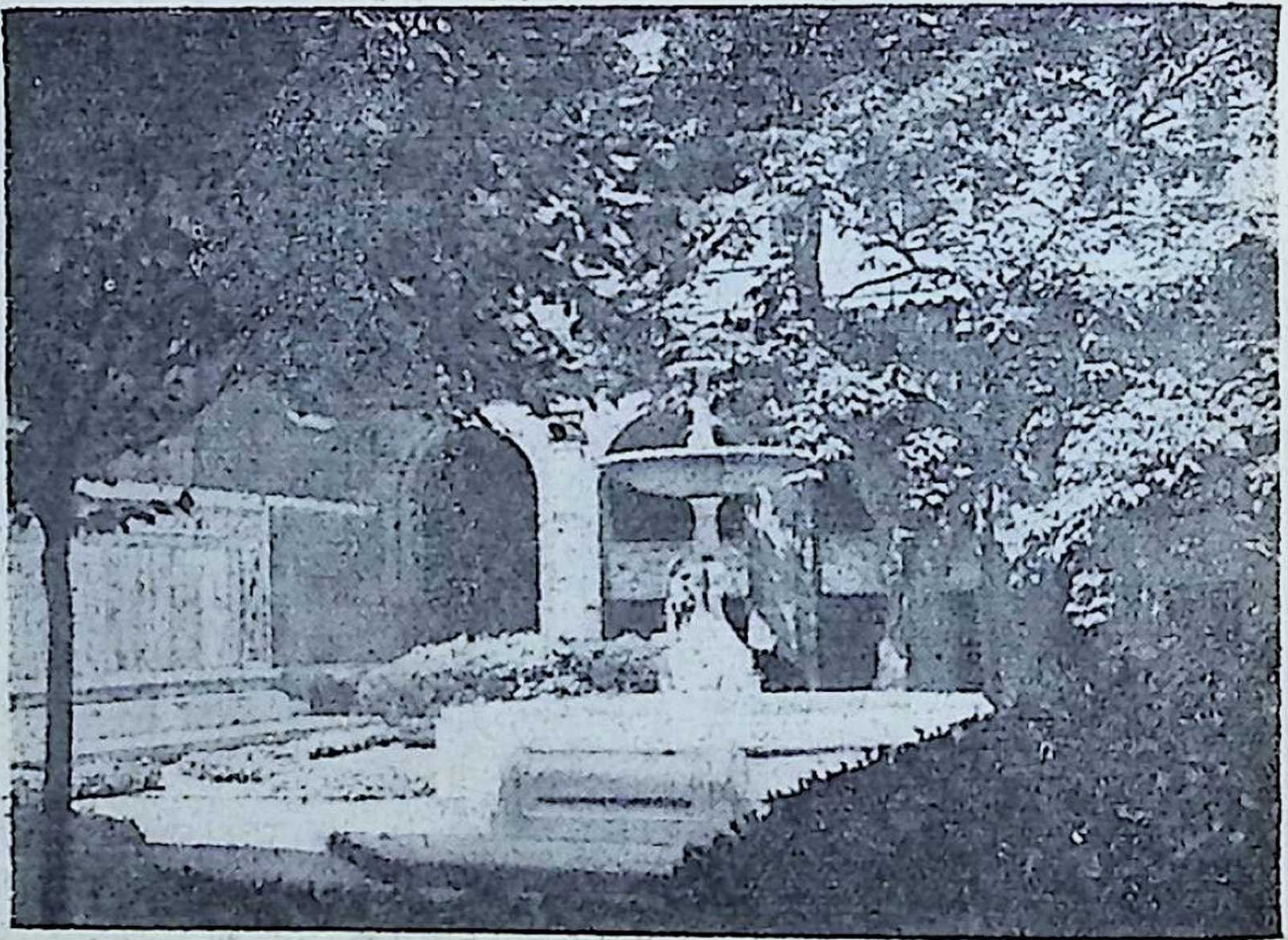

فناء بديع التنسيق بمدرسة الفنون الجميلة بباريس

الريح ـ بحكم ارتفاعه ـ تأرجحا خفيفا لايزيد على عشرة سنتيمترات .. كما يتفاوت ارتفاعه ـ بحكم تمدد المعدن أو تقلصه ، تبعا للتقلبات الجوية ـ فى حدوده ١٥ سنتيمترا !

وبالبرج ثلاثة طوابق ، يصعد اليها الزائرون بمصعد كبير يتسع لأكثر من خمسين راكبا . وأعجب مافى الأمر ان المصعد لايصعد عموديا ، وانما بزاوية مائلة ، فهو يسير مخترقا قلب احدى سيقان البرج الاربع المنفرجة ، فتراه يبدأ صعوده من الارض من طرف تلك الساق المنفرجة ، ويقترب خلال رحلته من السيقان الثلاث الاخرى .. حتى تتحد السيقان الأربع فى قمة واحدة !

والطابق الأول للبرج يرتفع عن الأرض ستين مترا ، وهو أوسع الطوابق وأكثرها ازدحاما بالمتفرجين ، ففيه شرفة دائرية تحيط بالبرج من كل ناحية ٠ وفى أحد جوانب الشرفة مطعم أنيق يتناول الكثيرون فيه طعام الغداء ٠٠ وفى جانب آخر منه مقهى يستريحون فيه ويتناولون المشروبات ٠ كما أن به حوانيت يبتاعون منها التذكارات (من تماثيل ومنافض سجاير نحاسية على صورة البرج ٠٠ الخ) ٠٠ ولا يفوتهم أن يحصلوا على مجموعة من الصور الملونة للبرج أو لباريس عامة ، فضلا عن بطاقات البريد التى يكتبونها لذويهم ويرسلونها من البرج ذاته (اذ أن فيه مكتب بريد خاصا لهذا الغرض !)

فاذا ما انتهينا من تفقد الطابق الأول ، ومن التقاط بضع صور

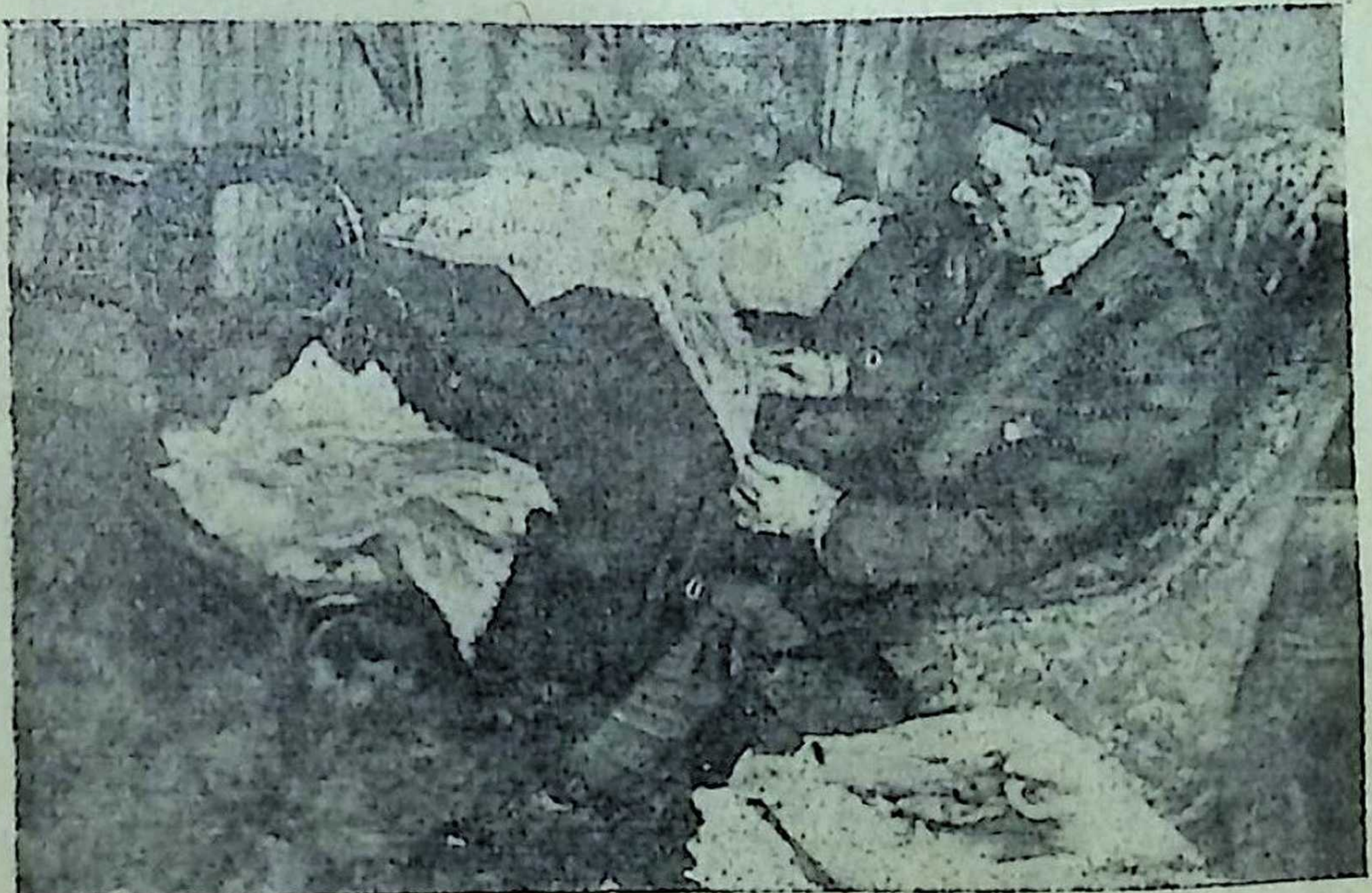

« فى حجرة المكتب » : لوحة جميلة من معروضات متحف الفن الحديث بباريس

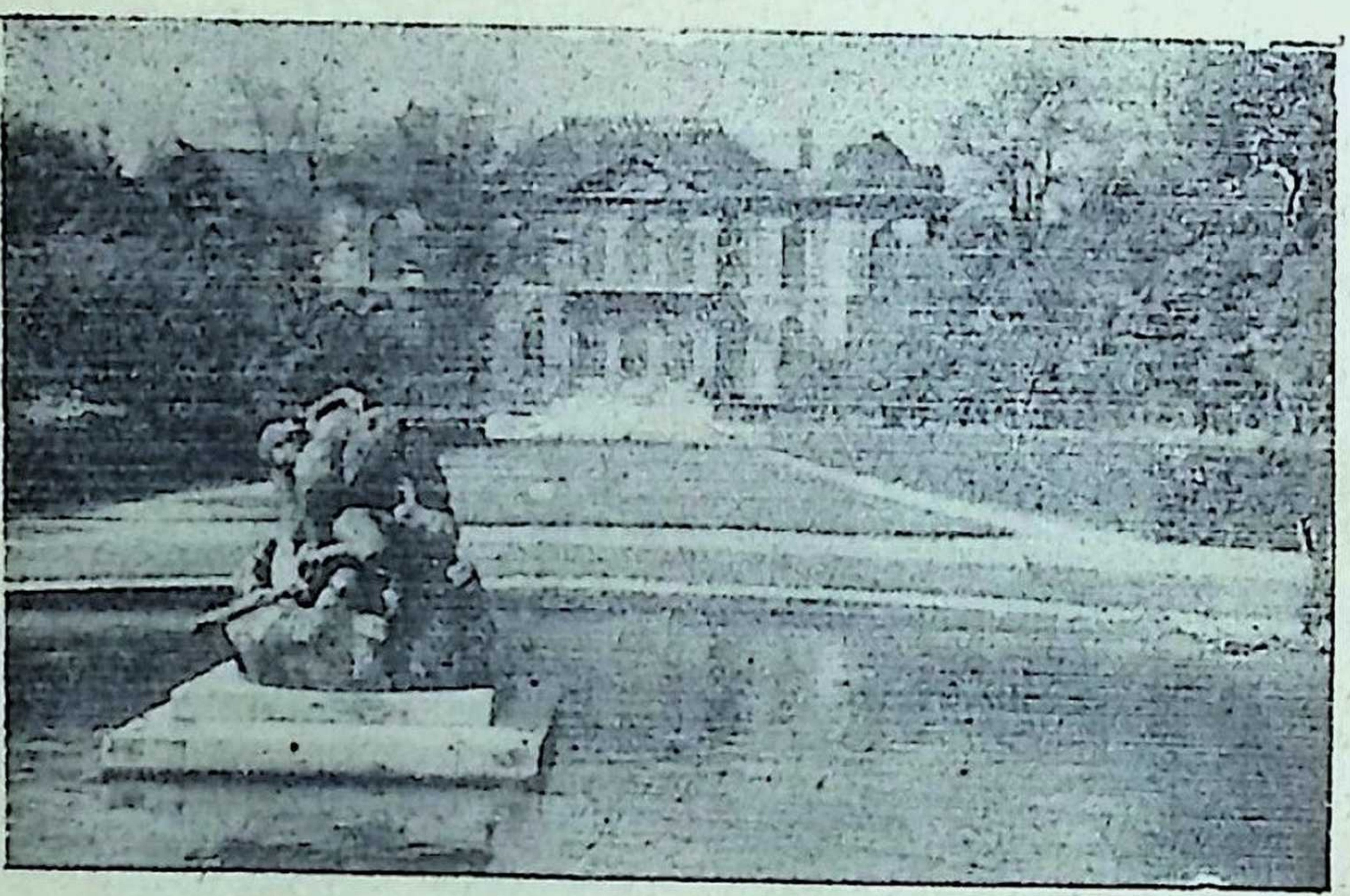

متحف المثال « رودان » بباريس ، وامامه بحيرة صناعية يتوسطها تمثال للفنان

فوتوغرافية لباريس من شرفته، فتعال نغادره الى الطابق الثانى، الذى يرتفع عن سطح الارض نحو مائة وثلاثين مترا ٠ وهذا الطابق أضيق وأصغر فى المساحة من سابقه. فكلما ارتفعنا نحو القمة ضاق محيط البرج الخارجى - حتى اذا بلغنا الطابق الثالث، (ويبلغ ارتفاعه ٢٠٠ متر)، ألفيناه بدوره أضيق بكثير من سابقه ٠ وهنا ينتهى دور المصعد ولا تبقى بيننا وبين القمة المدببة غير بضع درجات من سلم حديدية حلزونية يصعدها على قدميه من لايصيبه الدوار ٠٠

يدر على فرنسا «ثروة» كل عام!

• **ويعتبر** برج ايفل اليوم من أهم موارد باريس السياحية، فهو يدر على الدولة كل عام ملايين الجنيهات (بالعملة المصرية)، اذ

يتردد عليه كل «يوم» آلاف السائحين، فيدفع كل منهم أجرا للصعود الى شرفاته أربعمائة فرنك (أى أربعين قرشا مصريا) ..

وتستطيع بعملية حسابية بسيطة أن تقدر المبلغ الذى يدره على الدولة فى العام - وحبذا لو أقمنا فى مصر مصعدا الى قمة الهرم! - وأنت تخرج من هذه الحسبة بأن كل ما أنفق على

تحفة من الخشب بمتحف « جيميه » ، تتجلى فيها روعة الفن الصينى

تحفة من البرونز بمتحف «جيميه» ، تمثل الرؤوس الخمسة لالهة (التبت) « افالو كيتسفارا »

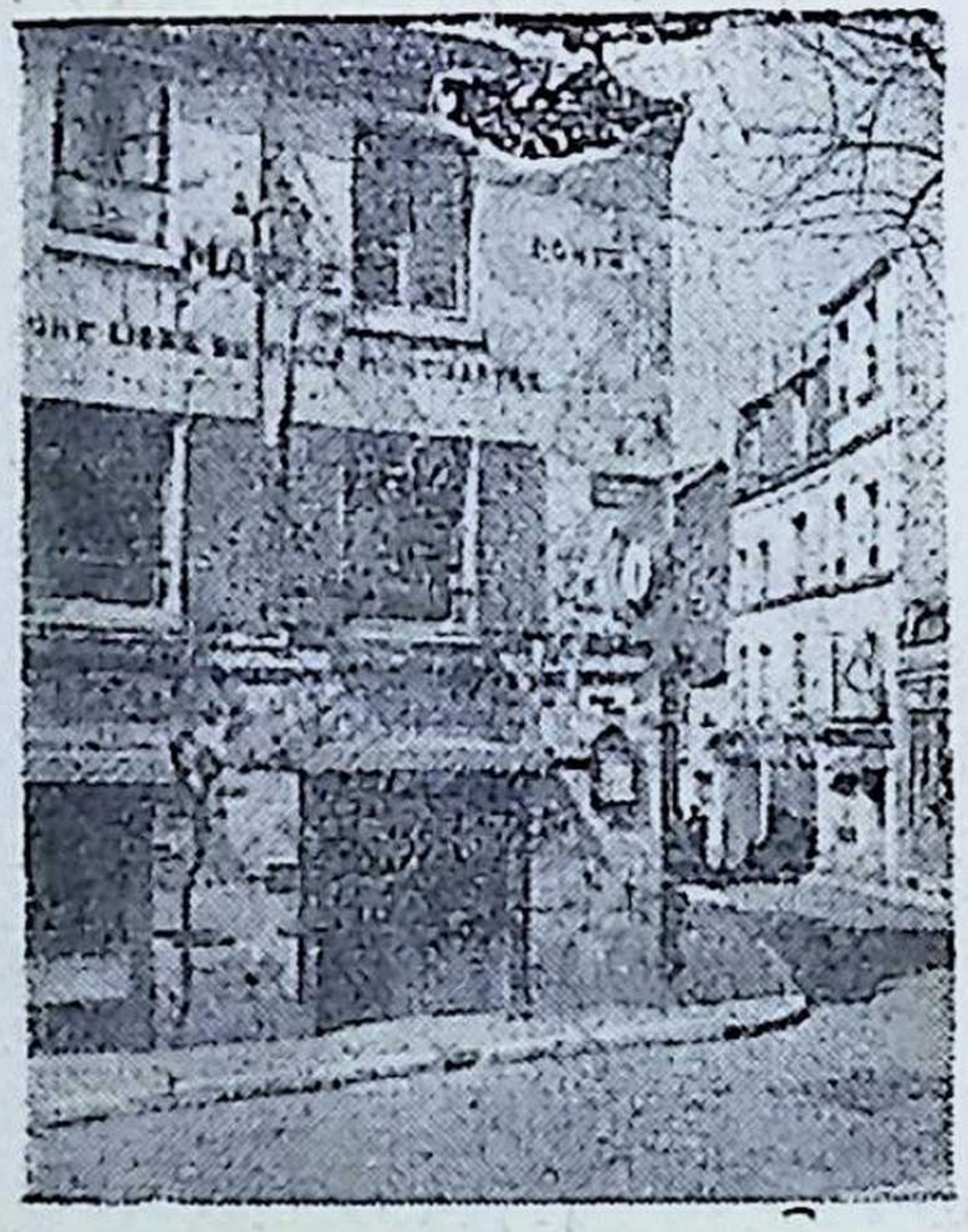

مكتب «العمدة» ، بشارع عتيق
من شوارع حى (مونمارتر) القديم

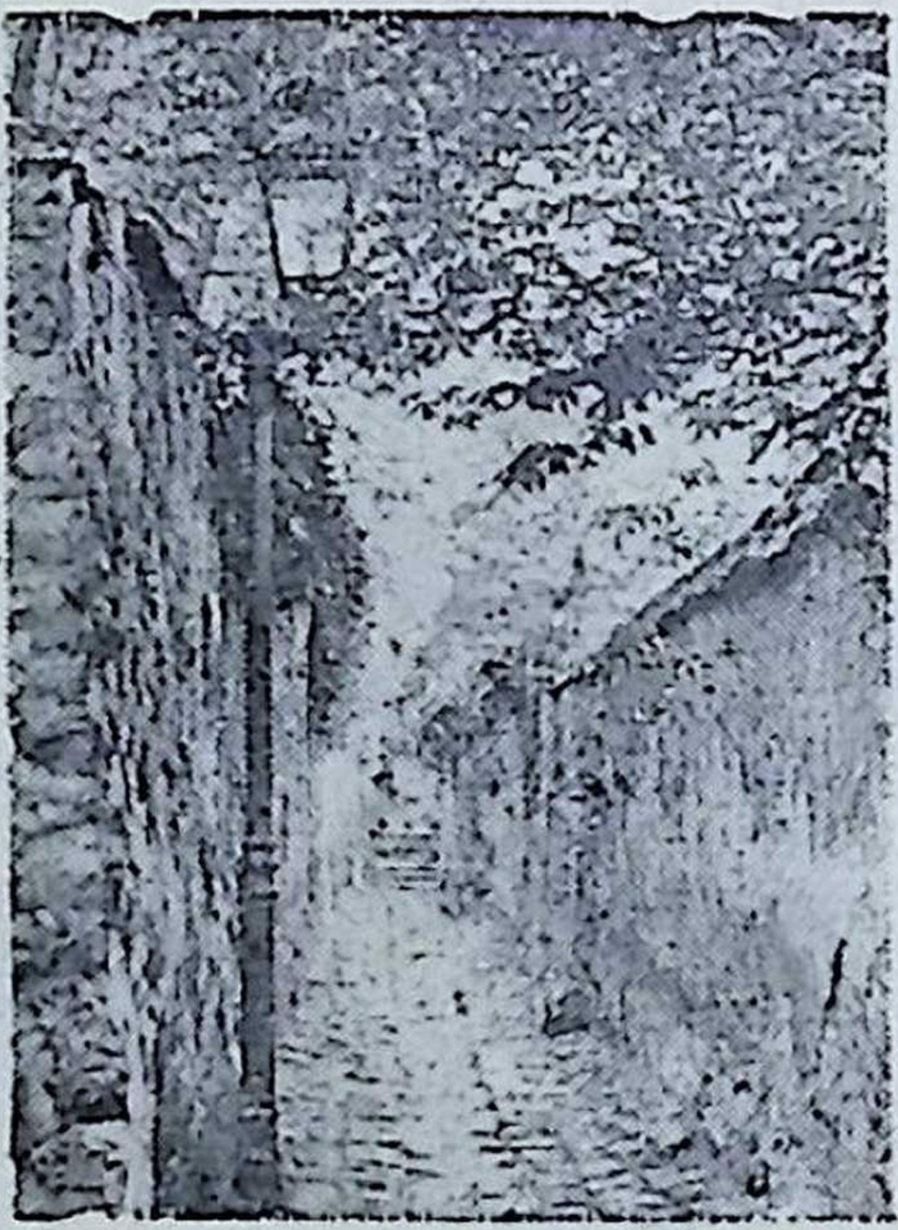

منظر تقليدى لشارع (برتون)
العتيق بضاحية (باسى) بباريس

تشييد البرج قد استرد وعوض عنه أضعافا مضاعفة منذ عشرات السنين .. بل ان البرج قد بات يؤدى للدولة خدمة أخرى لا تقدر بمال – ولم تدر فى حسبان مشيده يوم فكر فى انشائه – فهو يستخدم اليوم « صاريا » لمحطات الارسال ، بالراديو واللاسلكى والتلفزيون، من أقوى الصوارى المماثلة فى العالم . (اذ لا يفوقه فى الارتفاع غير مبنى ناطحة السحاب: «امباير ستيت» بنيويورك ، التى يبلغ ارتفاعها ٤٠٠ متر، وناطحة سحاب شركة «كرايزلر» بنفس المدينة ،ويبلغ ارتفاعها ٣٤٠ مترا) . بل لقد أرسلت أول اذاعة لاسلكية عبر الاطلنطى ، فى عام ١٩١٦ ، من فوق قمة برج ايفل !.. وقد كان لهذه الميزة اللاسلكية فضل انقاذ البرج من الهدم فى عام ١٩٠٩، حين انتهت مدة امتياز استغلال الارض التى أنشىء عليها! (فمن العجيب أن البرج شيد فى البداية

ليبقى سنوات محدودة ، يؤدى فيها مهمـــة الدعاية للعبقرية الفرنسية فى الهندسة ، سيما فى معرض باريس الدولى عام ١٩٠٠ ، ثم يزال بعد ذلك من الوجود ! »

وقد كان أول زائر صعد الى البرج ، فى يونيه سنة ١٨٩٩ ، هو ولى عهد انجلترا يومئذ «البرنس أوف ويلز» - الملك ادوارد السابع بعد ذلك - وبصحبته أسرته . وما تزال توقيعاتهم محفوظة فى سجلات البرج ، الى جانب غيرهم من الشخصيات العالمية البارزة التى زارت البرج خلال نصف القرن المنصرم . ومن الطريف ان البرج ظل سنوات بعد انشائه ، مثارا لانتقادات الكثيرين من الفرنسيين ، وسخريتهم ، بدعوى « منافاته للجمال » ! .. من ذلك ان الشاعر «فيرلين» كان يحرص على تجنب رؤية « ذلك الشىء المرعب ! » .. كما أطلق عليه « هسيمون » وصف « الشمعدان الابله ! » .. لكن نظرة الناس الى البرج تغيرت بالتدريج ، حتى صار موضع فخار الشعب بأسره ، باعتباره صرحا قوميا ! أما فى المجال العلمى فتزداد أهميته كل يوم : فالى جانب استخدامه فى اللاسلكى ، يتخذ البرج فى الليل بمثابة «فنار» ترسل منه الاشارات الضوئية للطائرات .. كما تستغل قمته كمرصد ترسل منه اشارات ضبط الوقت .. الخ

• وفى العدد القادم نختم جولتنا فى باريس بزيارة : حى مونمارتر ، وحى مونبارناس ، وقصر شايو ، وأوبرا باريس ، وميدان الباستيل .. الخ

حسناء يابانيـــة وخادمتها لوحة من روائع الفن الياباني ،
للفنان « اوتامارو »

راقصـــة على المسرح لوحة عالمية بالقلم « الباستيل » تقدر بمئات الالوف من الجنيهات ،للفنان المشهور « ديجا » . وهى تمثل راقصة « باليه » تنفلت برشاقة اخاذة من الظـلال الى الاضـواء

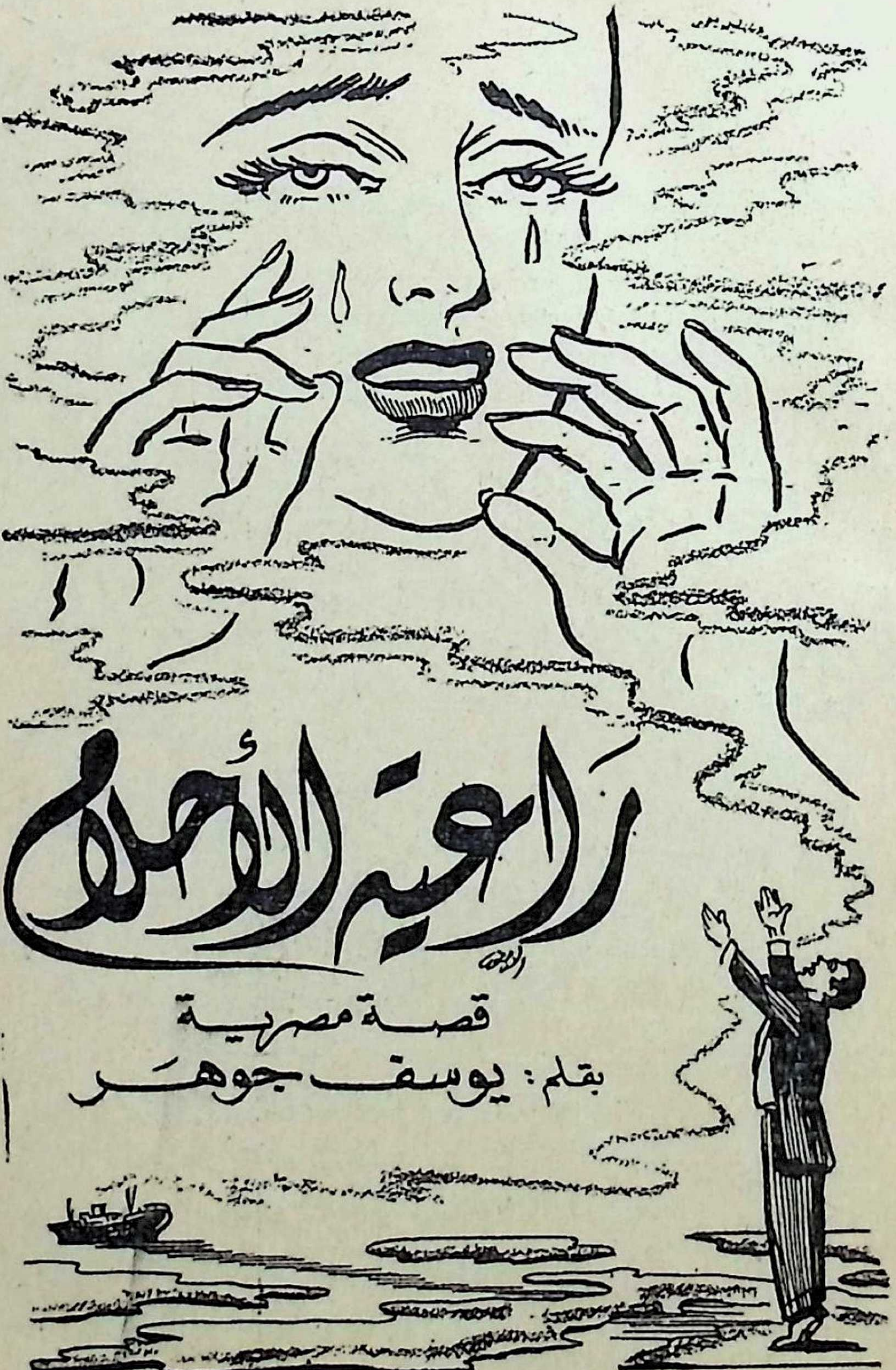
راعية الأحلام
قصة مصرية
بقلم: يوسف جوهر

◆ أيها السر الحبيس الحزين .. لقد آن لك أن تبرح صدرى .. أن تنطلق .. هيا .. انك لم تعد بعد سرا . لست الآن الا حادثة .. الا قصة . كنت بالأمس الحقيقة التى ينبغى أن تكتم عنه ، عنه وحده ، لكنه ذهب .. وأصبحت بذهابه ذلك القناع الزائف الذى تنكر له القدر مرة وهو يلعب احدى مساخره ، القناع الذى يجب أن يمزق !

كنت واقفا أودعه . وكان يطل من نافذة القطار الذاهب الى الاسكندرية . انه راحل بعد أيام فى بعثة طويلة الى الخارج .

رأيت الحزن ينهمر من عينيه . لم يكن ذلك عجيبا . سيغادر القاهرة التى عاش فيها ، قلب الوطن الحبيب ، وسيفارق والده الشيخ الذى يضع قدما فى القبر ويعرج بقدمه الأخرى فى حياة مترعة بالسقام والمرض

لكن الكآبة المخيمة على قسمات وجهه كانت كثيفة . لم تكن ظلا يطارده الفوز الباهر والمستقبل المضىء المنتظر ، بل كانت ظلمة معتمة موجعة ! .. وكنت أعلم السبب .. لو أنها جاءت لتودعه لاستطاع أن يحتمل الشجن . لكنها لم تأت ! .. لم تأت ، رغم أنه أنبأها بميعاد سفره ..

كان يحبها ذلك الحب العنيف العميق الأعمى . وكانا متغاضبين .. وكنت أعلم سر غضبها !

قال وهو يتململ : «ليتك توافق على أن أعطيها فرصة أخيرة . بودى لو أعدل عن السفر هذا المساء أيضا . وأنتظرها . لعلها تأتى ، ونتصافى قبل أن أمضى ؟ »

أجبته مؤنبا : « يا أمين ، كن رجلا . انك صممت أن تسافر

على هـذا القطار • وأنذرتها بذلك • وأقسمت • ما هـذا الضعف ؟ دعك منها • ستجد خيرا منها فى بلاد السحر والفن والجمال • لا تنس إنك ذاهب الى باريس ! »

خفض رأسه فى يأس • كان يريد أن يتجنب نظراتى • لكننى استطعت أن أقرأ أفكاره فى عينيه : كانت عيناه مزدحمتين بأسئلة ، وبهواجس كثيرة : **ما سر حماسى فى أن أبعده عن القاهرة عاجلا ؟ لماذا أغريه بأن يغادر القطر فى أقرب فرصة ؟! لماذا أزهده فيها ؟ لماذا أذكى بينهما القطيعة ! ما مصلحتى فى ذلك ؟ هل أريدها لنفسى ؟!**

مزقت الريبة الطاغية – فى مقلتى صديقى – قلبى •• وتحرك القطار ، فتهالك أمين فى مقعده • لم يستطع أن يقف ويلوح لى بمنديله • كان فى حاجة الى البكاء ••

ورأيت نفسى أبكى فى الطريق !

كنت أعتقد أن نجاحى فى حمله على السفر فى ذلك المساء ، هو خير خدمة أديتها ، وأكبر مجهود صنعته فى حياتى لرفيق صباى وزميل دراستى

لماذا بكيت ؟! •• حقا لقد بكيت لفراقه • وبكيت لشكه فى • لكني بكيت أكثر لأن آخر كلمة سكبها في أذني وهو يصافحني

مودعا لم تكن الا رجاء حارا أن أسـعى بينها وبينه بالصلح ، وأجعلها تكتب اليه ٠ ولأنى وعدته بذلك وأنا أعـلم أننى لن أصنع ، ولن أستطيع أن أصنع شيئا !

★ ★ ★

لماذا تنكرت « وداد » له فى الشهور الأخيرة ؟

كان مولعا بها ولعا شديدا ٠ كان يخرج من عمله ، وينطلق بسيارته كالقذيفة الى البيت الذى نعيش فيه سويا ، ليتناول وجبة الغداء فى سرعة موجعة ، ثم يصطنع النوم ربع أو نصف ساعة ، ثم يقفز من السرير فجأة ويميل على أذنى ليهمس وهو يبتسم : « انها يا أخى بين الجفن والمقلة ٠ انها فى حدقة العين الخبيثة ٠ كيف أنام ؟! »

وفى برهة قصيرة يكون قد غسل وجهه ، وارتدى ملابسه ، وقفز فى سيارته لينطلق بها ، كالقذيفة أيضا ، الى حيث تنتظره ليحملها ويمضى بها ، الى مكان لا تراهما فيه العيون !٠٠ **ليحدق فى وجهها، ويغطى يديها وأهدابها بالقبلات ، ويضعها بين يديه على خطوة منه، ليغمرها بالنظرات التى يغمر بهـا الوثنى تمثاله المعبود ٠٠ والوقت يمر وهو لا يشعـر ٠٠ وتتوسل اليه أن**

يتركها،لتمضي الى أهلها قبل أن يلعب بضمائرهم القلق والشك ٠٠ فيتوسل اليها أن تبقى معه أيضا ، برهة صغيرة فقط ٠٠ ويظل يخدعها عن الوقت ويعبث بعقارب الساعة ، ولا يدعها تفلت منه الا حين يراها قد أوشكت حقا أن تنفذ تهديدها بأن تصرخ وتستنجد !

كان أديبا موهوبا ، لكنه ترك كتبه ، وخاصم قلمه ، وأصبح من هواة جمع الصور فقط ٠ وأى صور ٠ صورها وحدها ٠٠ صارت حجرته تحفل بمجموعة هائلة لها ، يقلبها بين يديه ، حينما لا يكون معها ٠ فلما أحاول أن أصرفه عن ذلك وأغريه بقراءة كتاب جديد ، يقول لى وهو يشير الى صورها : « يا غبى ! هذه هى مطالعاتى المفضلة ٠ ان فى هذا الجبين ، فى هذه الابتسامة ، فى هاتين العينين كل جمال السطور التى كتبت فيما مضى والتى ستكتب فيما بعد ٠٠ » !

★ ★ ★

ورشحته الوزارة لبعثة قررت أن يسبقها امتحان يدخله مع خمسة زملاء له لتختار منهم أثنين فقط ٠

وجاءت «وداد» حين علمت ذلك تقول لى : «انه لن يذاكر شيئا ونحن على صفاء ٠ أعرف انه لن ينصرف عنى الى واجبه بالحسنى ٠ فلأغاضبه لكى يتفرغ لدروسه ٠ ان أمنيتى أن ينجح وأن يأخذنى معه الى الخارج زوجة له ٠٠ »

وبدأت تعكر الماء ٠٠ وصارت تبدى له الفتور والزهد والصد ٠٠ ثم كتبت له أنها منطلقة من القاهرة الى أخت لها فى الريف لكي تمضي بعض الوقت ، دون أن تذكر له أين تقيم تلك الأخت!

وشق عليه الأمر • واستنصحنى فنصحته بأن يغضى عنها كما تغضى عنه ، وأن يجابه الجفاء بالجفاء ، ان كان يريد أن يؤجج حبها له من جديد !

وأصغى للنصح بعد جهد•وراض نفسه على الصبر • وأصبح يفنى فى الدراسة الوقت الذى كان يفنيه معها فى رياض القاهرة وضواحيها ••

غير أنه تعرض لنكسة شديدة عندما رآها ذات ليلة خارجة من السينما فى صحبة شاب • كان يعتقد أنها فى الريف ، فدخل فى نفسه أنها تخدعه وتخونه ، وعبثا حاولت أن أقنعه بأن هذا الفتى الذى يصفه ليس الا ابن أختها الكبرى ••

وخشيت أن تطير هذه الصدمة صبره وجلده ، لكنه استمد من مرارة المفاجأة عزيمة عجيبة على الكفاح والطموح لمستقبل أوسع !

وحمدت لوداد فى نفسى فكرتها ، فقد صار « أمين » يفر من خيبته الى دراسته ، وأكبرت فى الفتاة قسوتها على نفسها ، واحتمالها أن تبدو فى عينيه فى ثوب الغادرة ، وهى التى تحمل له فى نفسها أصدق الحب وأصفاه ! •• **كانت تستفسرنى دائما فى التليفون عن أحواله : هل يأكل ؟ هل يذاكر ؟ هل ينام ؟ هل هو سعيد ؟ هل يسعى الى هدفه بحماس ؟ ••كنت أستشف من حديثها أنها مشوقة اليه ، وأنها تعانى ألما فوق طاقتها ، وقلقا ! •• كانت تقول وهى تضحك ضحكة يهزها حنانها : «ان النوم لا يزور جفنى • كأنى أنا التى أذاكر وأدخل الامتحان ! اننى أظل مفتوحة العينين ، ساهرة أرعى أحلامى بفوزه ومجده •• » !**

* * *

كان أبوها من كبار موظفى الوزارة التى يعمل بهـــا أمين ٠ لذلك لم أعجب حينما خاطبتنى ذات صباح فى التليفون بصوت يسقيه الفرح ويملأه قوة وعصبية ، قائلة : « لدى أخبار سارة لك ٠ لقد فاز أمين ٠ كان الأول فى الامتحان ٠ تحـــدث أبى بالأمس على مائدة العشاء عن شاب أسمه « أمين فوزى » أدهش ممتحنيه بذكائه والمامه بفنه ٠ انه لا يعلم من هو أمين فـــوزى بالنسبة لى ! لقد أذهلنى الفــــرح وانطلقت أســــتقصيه حتى أضجرته ، حتى كدت أنكشف ٠ كم كانت صدفة سعيدة ! لقد كان عشاء الأمس أشهى عشاء فى حياتى ٠ لا تقل لأمين ٠ انى أدخر له المفاجأة ٠ ستكون هديتى له بعد هذا الجفاء الطويل ٠ سأكتب اليه أن ينتظرنى كالعادة فى ميدان « التحرير »

٠٠ فى المساء جاءنى وفى يده كتابها ، والدنيا لا تسعه من الفرح ! ٠٠ قلت له وأنا أتكلف الدهشة :

ـ أأنت ذاهب الى لقائها ؟!

قال : « طبعا ٠٠ »

ـ هل نسيت هجرها ؟!

ـ ان كتابها مملوء حماسا وحبا ٠ ثم انها تقول انها بريئة ٠ حقا اننى غاضب منها ، لكن ٠٠ لماذا أكتمك ؟ ان يدها وحدها هى التى تستطيع أن تمسح الغضب أو الضجر من صـــدرى فى لحظة ٠ كأنها ساحرة ٠ كأنه مسطور على لوح من الاردواز ! ٠٠ لقد فرغت من الامتحان ولست أدرى الآن ما أصنع بوقتى ، فلأذهب اليها ٠٠

★ ★ ★

كانت قد ضربت ميعادا له فى الساعة السادسة من مساء اليوم التالى . رأيته قبل الميعاد بساعتين ينبعث من سريره كالملسوع بعد أن اصطنع النعاس قليلا ، وسرعان ما غسل وجهه وارتدى ملابسه وركب سيارته وانطلق بها كالقذيفة !

وعاد فى الساعة الثامنة كئيبا محزونا !

سألته : « ما وراءك ؟ »

قال : « لقد سخرت اللعينة منى ، لقد انتظرتها حتى كلت قدماى ، لكنها لم تأت ! .. كل ما ظفرت به من وقوفى أننى رأيت حادثا مؤلما . لقد صدم الترام امرأة فى الناحية الأخرى من الميدان ، وتجمهر الناس محاولين أن يقدموا لها يد المساعدة، وكنت أنا « الحيوان » الوحيد الذى ظل جامدا فى مكانه . كنت لا أنقل بصرى عن الناحية الأخرى من الطريق ، التى اعتادت « المعبودة » أن تقبل منها ، حتى لا تخطئها عينى ، وحتى أجنبها أن ترى ما يوجعها ويؤثر على أعصابها .. »

وألقى أمين بنفسه فى سريره ، كأنه يريد أن يهرب من العالم .. ومن نفسه !

★ ★ ★

فى الصباح دق جرس التليفون فى مكتبى ، وطلب منى المتكلم أن أحضر فى الحال الى المستشفى الاسرائيلى !

ذهبت مسرعا وقد لعب بى القلق ، وأدخلت احدى الحجرات، **فاذا بوداد راقدة فى أحد الاسرة تحيط برأسها ووجها اللفائف والأربطة ! .. ونهض والدها من جوارها ليقول لى : « معذرة. لقد ألحت فى أن تراك . وأصرت .. »**

انها هى التى صدمها الترام بالأمس ، فى الناحية الأخرى

من الميدان الذى كان واقفا فيه ، وهى قادمة لتلقاه ، لتهنئه · هى التى سقطت تحت العجلات وتجمهر الناس ليقدموا لها يد المساعدة ، وكان هو « الحيـوان » الوحيد الذى ظل جامدا فى مكانه لا يحول عينيه عن الناحية التى عودته أن تقبل منها ، حتى لا تخطئها عينه ، وحتى يجنبها أن ترى ما يوجعها ويؤثر على أعصابها !!

هكذا أراد القدر أن يسخر !

كانت متنبهة تماما · مدت لى يدها · لماذا عفت العجلات عن يدها وشجت رأسها فى غير ما رحمة ! ·· لماذا يا قدر !

قالت بصوت واه خافت كأنه آت من بعيد : « **سيعتقد أمين أننى هزأت به · واننى لم أحضر لموافاته · دعه يعتقد ذلك · أتوسل اليك أن تخفى عنه الحقيقة ، فقد أموت ، ولن يعيش سعيدا ان علم أننى مت وأنا فى طريقى اليه ، بل ربما لا يعيش على الاطلاق ، ربما يكره الحياة ، اننى أعرف قلبه ·· عدنى ··** »

أجبتها : « يا وداد ، بماذا أعدك ؟ هل يموت من يتكلم بهذا المنطق وهذه الذلاقة ! انك بخير ! »

تشبثت يدها بيدى وقالت فى عصبية باكية : « عدنى »

قلت لها : « اننى أعدك ·· أعدك ·· »

تنهدت بارتياح ، واستسلمت للنعاس ، كأنها كانت حريصة على أن تستيقظ من أجل ذلك فقط ·· فقط !

ورفعت عينى الى وجـه الطبيب مستفسرا ؟ ·· فابتسم ابتسامة أسيفة وهز رأسه البيضاء هزة فهمت معناها ··

واستيقظت هى أخيرا ، وألقت يدا بين راحتى أمها ويدا بين راحتى أبيها ·· يا للوالدين التعيسين ! لقد تقدم بهما العمر أعواما بين عشية وضحاها !

أخذت تجيل فى الحجرة نظرا حائرا ذاهلا ، وحانت منها التفاتة الى تليفون فى الحجرة ، فطلبت أن يدنى منها ، فأدنى ..

وتناولت السماعة ، واختلجت يدها على القرص ، وأدارت أصابعها فى الهواء !

وخيل لها أنها تحادثه !

جعلت تداعبه بذلك الصوت العذب الذى يتهافت حنانا ورقة، وأخذت تعتذر له عن تأخرها . وتؤكد له أنها ستوافيه عن قريب ، مرتدية الثوب الذى يحبه ، ومصففة شعرها على هواه .. « بشرط أن لا تمشط شعرى من جديد بأصابعك النحيلة المؤلمة .. وبشرط أن تدعنى أنصرف حينما أشاء .. » !

ومضت تحدثه عن حبها ، وكيف صبرت وكافحت شوقها ، لترافقه الى الخارج زوجة مخلصة ترعاه فى الغربة !

وأجهشت بالبكاء وهى تحتضن سماعة التليفون احتضانا شديدا !

وأغمضت عينيها ..

ظننت أنها استسلمت للنعاس من جديد ، ثم علمت الحقيقة عند منتصف الليل .. لقد استسلمت للموت !

★ ★ ★

وانتظر منها اعتذارا أو موعدا جديدا .. ومضت الأيام دون أن تعتذر ، أو تعد !

وألح على أن أذهب اليها لأصلح بينهما ، لأتوسل اليها . لأقول لها انه لا يستطيع أن يعيش بدونها !

ولقد ذهبت .. لكن الى حيث ترقد فى صحراء القاهرة ، أحمل باسمه طاقة من الورد الذى كانت تحبه . وأشهد أنى

حدثتها فى ذهول الحزن عن الصلح · وأشهد أنى أحسست كأن الموت يرقبنى ويبتسم ساخرا ابتسامة أرسلت فى جسدى قشعريرة ورعدة !

وعدت اليه ، ووجدته ينتظرنى على أحر من الجمر ، فجبهته بتلك الكذبة الكبيرة : « انها لا تريد صلحا · وان كل ما بينكما قد انتهى »

لقد جن جنونه ، واعتزم أن يترصدها فى الطريق ليرجوها، أو يعاتبها ، أو يقتص منها لقلبه المهين ·· لكنها لم تظهر قط !

وكانت قد بقيت أيام قليلة على قيام الباخرة ، وخشيت أن تبلغه الحقيقة فتذهله الصدمة ، وتزهده فى الحياة ، وتقضى على طموحه فيعدل عن السفر ويستسلم للحزن وللوساوس ، ويذهب شبابه طعمة لنيران اللوعة والبكاء ··

لقد أطعتها ، وأخفيت عنه كل شىء !

لن أنسى قط حديثه لى وهو واقف فى نافذة القطار الذى حمله الى الاسكندرية : « بودى أن أعدل عن السفر هذا المساء أيضا وأنتظرها ، لعلها تأتى ونتصافى قبل أن أمضى »

ولن أنسى قط الهواجس التى ازدحمت بها عيناه : ما سر حماسى فى أن أبعده عن القاهرة ؟ لماذا أغريه بأن يغادر القطر فى أقرب فرصة ؟ لماذا أزهده فيها وأذكى بينهما القطيعة ؟ ما مصلحتى فى ذلك ؟ هل أريدها لنفسى ؟!

ولن أنسى قط أنه بكى ، وأنذى بكيت !

★ ★ ★

لقد ظل يكتب لى من الخارج عامين ، ملحا أن أرجوها لتراسله · وكنت أجيبه بأننى لم أعد أعلم أين هى ، مؤكدا له اننى لم أرها منذ سافر ·· لكننى كنت أشم فى رسائله ، مع

رائحة كبده المحترقة ، أنه لا يميل الى تصديقى !

وتراخى تراسلنا .. ثم انقطع لثلاث سنين خلت !

* * *

حتى كان العام الماضى

رأيته يدخل على ، ولم أكن أعلم انه عاد الى الوطن. وتعانقنا. وأنبأنى بأنه بحث عنى طويلا حتى علم من أحد زملائى أننى نقلت مكتبى الى الريف ..

كنت أعرف سر حماسه فى البحث عنى . عبثا حاول أن يخفى لهفته الى معرفة أخبارها . كانت هذه اللهفة تتبدى فى قوله : « **اننى لا أريدها ، لقد نفيتها من ذهنى ، واحتقرت حبها فى قلبى منذ أمد .. لكن أين هى الآن يا ترى ؟ أين تقيم ؟ هل تزوجت ؟ هل لها أبناء ؟ هل هى سعيدة ؟ هل تذكرنى ؟ أم نسيتنى ؟!** »

ما أعجب قلبه وحبه ! .. لم ينشد – وهو فى باريس – الهناء ، والعزاء ، عند امرأة أخرى ! عاش وحيدا يملأ مثواه بصورها ! .. أحقا أن طيفها قد حماه ورد عنه كيد الغانيات وعبثهن به فى أرض الفتنة والعبث ؟! .. لقد عاش هناك بجسده ، وظلت روحه ترفرف على الأرض التى تقيم فيها « وداد » !

لم يتسرب اليأس الى نفسه . ظل يبحث عنها . طالما وقف فى منتصف الليل فى البرد عند أبواب المسارح ودور السينما يحدق فى الخارجات علّه يراها . وكان يغشى المنتديات والحفلات والمراقص والأسواق الخيرية باحثا عنها . وانه ليطوف بسيارته فى طرقات القاهرة التى لا عدد لها يحدق فى الشرفات ويدقق النظر كلما رأى ثوبا ملونا لامرأة ، وفى فؤاده تلك الحسرة الحزينة وذلك الأمل الذابل !

كنت أسأله : « فيم هذا العناء ، عما تبحث ؟ »

وكان يجيبني : « **انني أبحث عن نفسي٠ان نفسي قد ضاعت مني !** »

وكانت الحقيقة تتحير على شفتي ٠ ثم كنت أذكر ارادتها فأرد السر الى صدري من جديد ٠ انها تعلم عن قلبه وعن حز الألم فيه ما لا أعلم !

سكك حديد جمهورية مصر

يتشرف مدير عام سكك حديد جمهورية مصر باعلان الجمهور والتجار بأنه ـ رغبة في تسهيل عملية تصدير البضائع والعفش من وسط مدينة القاهرة الى مختلف محطات الجمهورية دون حاجة الى تحمل مشاق ونفقات توصيلها من المتاجر بأنحاء المدينة لمحطة القاهرة ـ فقد افتتح مكتبان للتصدير ، أحدهما بحي شبرا بالعمارة رقم ١٠٥ شارع شبرا العمومي تليفون ٤٧٠٦٤ ، والثاني بحي السيدة زينب بعمارة السمرى رقم ٢١٥ ناصية شارعي قدرى والخليج المصرى تليفون ٢٣٦٤٣ ٠ وهذا علاوة على مكتب الأزهر تليفون ٥٤٣٩٩ والذى نقل لعمارة الاوقاف الجديدة ٠

والمصلحة جادة في افتتاح مكتب جديد في القريب العاجل بحي العباسية والحسينية ٠

عندما يرتفع الستار..

روائع المسرح العالمى (التمثيلى.. والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

• خطايا الحب : لأوسكار وايلد • نزاهة الحكم : جوجول • سلاح المرأة: أريستوفان • فولبون : بن جونسون • جيوكندا : دانونزيو • كلام الناس : جوزيه اشيجاراى • مدرسة الفضائح : شريدان • سيرانو دى برجراك : روستان • لعبة الحب والموت : رومان رولان • مروحة الليدى وندرمير : وايلد • فاوست : جيته • أوديب الملك : سوفوكل • فى سبيل الحب : جون درايدن • وليم تل : شيللر • الأم : مكسيم جوركى • الملك يلهو : فيكتور هوجو • الجنس الآلى : كاريل كابيك • الابن الأكبر : جالسورثى • هرنانى : فيكتور هوجو • ترويض النمرة : شكسبير • الحياة نفاق : لويجى بيراندللو • أغلال الحب : ستيف باسير • المنافق (طرطوف) : موليير • بيت الليل : تييرى مونييه • علموهم الحب : روجيه فردينان • زوج مثالى : أوسكار وايلد • سالومى : أوسكار وايلد • مدرسة الأرامل : جان كوكتو • برهان الحب : جان انوى • لوسيد : بيير كورنى • كيف نقع فى حبائلهن : بروفانس

واليوم ، أقدم لك مسرحية جديدة دائعة

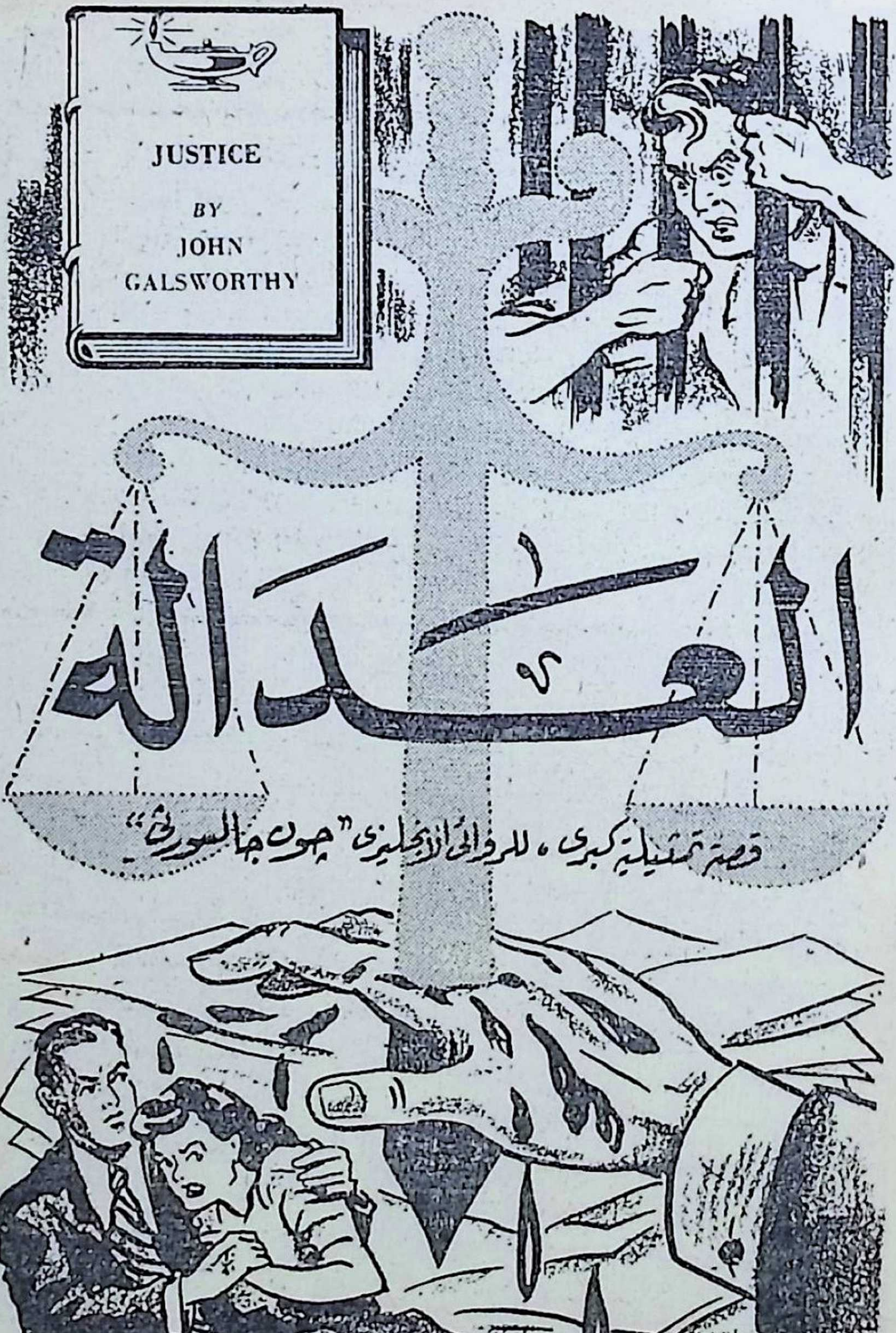
JUSTICE
BY
JOHN
GALSWORTHY
العدالة
قصة تمثيلية كبرى ، للروائى الانجليزى "جون جالسورثى"

هذه الصرخة الانسانية !

◆ ايهما اقوى .. واسمى .. وأولى :

الرحمة .. أم العدل ؟

الحب .. أم العقل ؟

الفرد .. ام المجتمع ؟

منذ كتب « فيكتور هوجو » قصته الخالدة : « البؤساء » .. ومنذ شن « ديكنز » فى قصصه العديدة حملته الشعواء ضد نظم السجون ، وضحاياها .. لم يسمع العالم المتمدين اقوى من هذه الصرخة الانسانية التى أطلقها الكاتب الانجليزى «جون جالسورثى» - الفائز بجائزة «نوبل» فى الأدب سنة ١٩٣٢ - دفاعا عن حق مجرم المصادفة ، لا مجرم السليقة والاحتراف ، فى ان يمنح الفرصة للتكفير عن سابقته الأولى التى تتبعه .. الى حتفه !

- ١ -

◆ « **وليم فولدر** » شاب فى الثالثة والعشرين ، مرهف الاحساس ، يعمل موظفا فى مكتب للمحاماة يشترك فيه محام وابنه الشاب . وقد بلغ من رقة احساس « فولدر » انه عطف على زوجة رجل سكير شرس - تدعى « روث هانيويل » - فقرر أن ينقذها من زوجها بالفرار بها من البلاد ، مع طفليها ! **ولكى يتيسر له تنفيذ هذه الخطة تورط فى اختلاس مبلغ صغير من المال من مكتب مرؤوسيه المحامين .. لكن فعلته اكتشفت قبل أن يغادر ومعشوقته البلاد بساعات !**

وحين تبدأ القصة نرى رؤساءه فى مكتب المحاماة منقسمين بصدد جريمته الى فريقين : فريق - على رأسه المحامى الابن « والتر هاو » والباشكاتب « كوكسون » - يرى أن يعامل الشاب بشىء من الرأفة ، نظرا لأن فعلته هى السابقة الأولى فى حياته ، ولأن الدافع الأكبر الى ارتكابها انما هو دافع عاطفى ، انسانى !

أما الفريق الثانى من هيئة المكتب ـ ويتزعمه المحامى الأب « جيمس هاو » ـ فيرى على العكس وجوب استعمال الشدة فى معاقبة الموظف المختلس ، سيما وان جـريمته كان يمكن أن تنسب الى زميل آخر لهمن موظفى المكتب ! ٠٠ ويضيف المحامى الكبير الى هذه الحجة قوله : « **لست أفهم كيف يمكن أن نتغاضى عن فعلتـه أو نصفح عنه ، فمن غير المعقـول أن نحتفظ به فى المكتب بعد أن ثبت افتقاره الى الأمانة ، وهى ألزم الصفات ٠٠ كما ان من غير المعقول أن نتركه يمرح طليقا فى المجتمع ويختلط بأناس يحسنون به الظن ولا يعرفون خلقه على حقيقته ٠٠ فالمرء ينبغى أن يفكر فى مصلحة المجتمع قبل أى اعتبار آخر !** »

ونتيجة لهذه الحملة تتغلب كفة الفريق المتشـدد على الفريق المتسامح ، فيستدعى أحد رجال البوليس ليقتاد الموظف الشاب الى السجن !

— ٢ —

◆ **فاذا** كان الفصل الثانى فقد انقضى شهران ، وحان موعد مثول المتهم أمام المحكمة ، فنرى محاميه يبنى دفاعه على أساس ان الفتى ـ وهو ما يزال فى سن الطيش والتهور ـ قد مد يده الى المال فى لحظـة ضعف ، بدافع انسانى محض ، كى ينقـذ « مسز هانيويل » من زوجهـا الفظ المتـوحش الذى يسومها العذاب ٠٠ وبالتالى ينقذها من مصيرها المحتوم ، وهو الانفصال عن هـذا الزوج ان عاجلا أو آجـلا ، ثم التشرد مع طفليها فى الطرقات ، أو القبوع ذليلة فى أحد الملاجىء ! ٠٠ ويدلل محامى المتهم من ذلك على قسوة المحنة التى تعرض لها موكله «فولدر» ـ والتى انتهت باقدامه على ذلك الاختـلاس ـ ثم يختم دفاعه ملتمسا سماع شهادة الزوجة التعسة «روث هانيويل» ٠٠ واذ تجيبه المحكمة الى طلبه ، تتقدم المرأة الى منصة الشهود ، **فنرى فيها شابة فى نحو السادسة والعشرين ، شاحبة الوجه ، هادئة**

القسمات ، ترتدى ثيابا بسيطة ٠٠ ثم نستمع اليها وهى تدلى بشهادتها فتقول انها فى حكم « المنفصلة » عن زوجها منذ أكثر من أربعة أشهر ،وانها والشاب فولدر ـ رغم كونهما متحابين ـ لم يتماديا فى علاقتهما الى ما وراء الحدود المشروعة !٠٠ ثم تروى قصة فرارها فتقول انها فى يوم الحـادث ، السابع من شهر يوليو ، فرت من زوجها على أثر مشـادة بينهما كاد اثناءها أن يخنقها ، كما أصابها برضوض ٠٠ فلم يكد « فولدر » يراها على هذه الحال حتى انهمرت دموعه تأثرا وبكى ، لعجزه عن تدبير المال اللازم لفرارهما المزمع الى امريكا الجنـوبية ! ٠٠ لكنه فى اليوم التالى أعطاها نقودا لشراء الثياب التى تلزم لها ولطفليها قبل الرحيل ٠٠ ثم تختم الزوجة شهادتها بالقول ان حبهـا لفولدر هو « الشىء الوحيد الذى له اعتبار فى حياتى الآن ! »

* * *

◆ ثم ينادى على المتهم ، فيعترف بجـرمه ، ويردف اعترافه بالاعراب عن أساه لتعاسة « روث » ، وعزمه على تسديد المبلغ الذى اختلسه فى أقرب وقت !

وينهض محاميه المـدعو « فروم » ، فيشير الى عدم مسئولية موكله عن الفعل الذى تورط فيه دفاعا عن المرأة التى يحبها ٠٠ ويدلل على ذلك بقسمات وجه المتهم التى تظهر ضعف ارادته ، ثم ينهى دفاعه مطالبا بتبرئة « فولدر » من تهمة القصد الجنائى ومعاملته باعتباره « مريضا » ٠٠ ويقول : « **والا فهل يحكم على شخص بالهلاك لأنه ولد ونشأ ضعيف الارادة ؟ ٠٠ ان العدالة «آلة» اذا دفعها شخص الدفعة الأولى ، تسير بعد ذلك من تلقاء ذاتها بقوة تلك الدفعة ٠ فهل يترك هذا الشاب لتسحقه تلك الآلة الصماء سحقا ، من أجل فعل أسوأ ما يقال فيه انه صدر فى ساعة ضعف ؟ ٠٠ اسجنوه ، وأنا أؤكد لكم انه لا محـالة ضائع الى الأبد !** »

واذ يفرغ المحـامى من مرافعته ، ينهض ممثل الاتهام ليعقب

عليها ، فيسفه دعوى «الضعف» المزعوم ، أو « الجنون المؤقت »، كما يسخر من لجوء الدفاع الى التأثير فى المحلفين باستدعاء المرأة روث للشهادة ، بغرض اظهارها فى مظهر « الضحية » التعسة التى تستحق الاشفاق والرثاء !

وينتهى دور الاتهام ، فيترك القاضى مصير المتهم بين أيدى المحلفين ، مطالبا اياهم بأن يجيبوا فى قرارهم على هذا السؤال الحاسم : هل كان مسلك فولدر يبرر ادخاله مصحة عقلية ؟ أم انه عاقل مسئول عن تصرفاته ؟ .. ويصدر المحلفون قرارهم بادانة المتهم .. تاركين للقاضى تحديد مدة العقوبة ومداها حسب نصوص القانون

وقبل أن ينطق القاضى بالحكم ، يمهد له بالقول ان دعوى الجنون المؤقت الذى نسبه الدفاع الى المتهم ليست سوى زعم باطل ، أريد به تبرير الرأفة به .. **ثم يعلق على صلته بمستر هانيويل بقوله : « ليس فى وسعى أن أبرر لضميرى التماسا للرأفة يكون اساسه منافيا للأخلاق .. فالقانون هو القانون ، صرح جليل يحمينا جميعا على السواء .. لذلك حكمت المحكمة عليك أيها المتهم « وليم فولدر » بالاشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات ! »**

ويسقط رأس « فولدر » على صدره وهم يقتادونه الى الخارج .. وتخرج روث من المحكمة منسحقة تنوء بعبء هذه الكارثة ! وبناء على التماس من الدفاع ، يأمر القاضى بحذف اسمها من سجلات القضية التى ستنشر فى الصحف !

- ٣ -

• **فاذا** كان الفصل التالى فنحن فى ليلة عيد الميلاد ، وقد جاء باشكاتب مكتب المحاماة «كوكسون» لمقابلة مأمور السجن، على أثر زيارته لفولدر فى زنزانته . ونراه يحدث المأمور بأن فولدر فتى يتيم الأبوين ، وان له أختا عاجزة ، وأختا أخرى

منكوبة بالزواج من رجل شرس يمنعها من رؤية أخيها ! ٠٠ ثم يستعطفه كي يعفى السجين من السجن الانفرادى ، ويسمح له بالاختلاط ببقية المسجونين ، فلقد سمعه يقول والدموع تنحدر على أصابعه التى غطى بها وجهه : « ان يوما يقضيه المرء منفردا فى زنزانته ، منطويا على نفسه ، كما هى حالى ، لأطول من عام كامل خارج السجن ! » ٠٠ واذ يفرغ الباشكاتب من شرح التماسه ، يجيبه المأمور : بأن القانون يحتم بقاء المحكوم عليه فى السجن الانفرادى لمدة ثلاثة أشهر على الأقل !

ونعلم من حديث كوكسون مع المأمور ان المرأة «روث» كانت قد قررت أن تعمل لتكسب عيشها وعيش طفليها ، فى انتظار خروج « فولدر » من السجن ٠٠ لكنها عجزت عن سد رمق الأسرة ، فاضطرتها الفاقة الى العودة الى زوجها ! وقد بلغ النبأ الموجع مسامع فولدر التعس فى سجنه ٠ ثم يختم الباشكاتب كلامه ملتمسا السماح لروث بزيارة السجين ٠٠ لكن المأمور يعتذر بعجزه عن اجابة هذا الملتمس بدوره ، مستندا الى شهادتى قسيس السجن وطبيبه بأن « فولدر » قد استعاد صحته ، الجسمية والعقلية ، بحيث لا يوجد مبرر لاستثنائه من أحكام لوائح السجن !

ويغادر « كوكسون » السجن خائب المسعى ، تاركا فولدر يواصل حياته المعتمة بين جدرانه ، محوطا بمجرمين أثمة محطمى النفوس ، يرون فى أبسط صوت يسمعونه فى الممر أملا فى نجدة قد تكون هبطت اليهم من السماء !

ويقوم المأمور بجولته المألوفة بين المسجونين ، لمناسبة عيد الميلاد ، فيشكو اليه فولدر عدم استطاعته النوم الا لماما ٠٠ ثم **يحاول أن يغتصب من أساه ابتسامة حزينة ، وهو يضيف : « لقد غدوت عصبيا للغاية ، اذ أحس باننى لن أخرج من هذا السجن قط ! »**

ويشحه المأمور بالقراءة والمطالعة ، فيجيبه فى قنوط : « لا أستطيع • لم أعد أملك أن أركز أفكارى فى الحروف التى أقرأها ، فانى أفكر دائما فيما يجرى خارج السجن • اننى لا أرى العالم الخارجى على الإطلاق من زنزانتى ••ان زجاجها سميك يا سيدى ! »

ويحاول المأمور مساعدة السجين ، فيستدعى له طبيب السجن ليفحصه ويبدى رأيه فى حالته ••لكن هذا يقرر أنه لايجد سببا يبرر تمييزه فى المعاملة عن بقية السجناء ! •• فيخرج المأمور ليستأنف جولته • وأثناء مروره ، تنتاب سجيننا آخر نوبة يأس فيضرب باب زنزانته الفولاذى •• كما يلقى فولدر بنفسه على بابه فى عنف ، وهو يضرب الباب بقبضتيه المضمومتين ، فى عصبية ويأس !

ويواصل المأمور زياراته لبقية المسجونين ••

- ٤ -

• **وينقضى عامان** •• وتأتى روث لتزور الباشكاتب «كوكسون» فى مكتب المحاماة • ونعلم من حديثهما ان «فولدر» خرج من سجنه بعد انتهاء مدة عقوبته ، لكنه ما يزال عاجزا عن العثور على عمل يقيم أوده ••وتضيف المرأة قائلة : «لقد التقيت به أمس • ان هيئته تقطع نياط القلوب • لقد حصل على عمل منذ حين ، لكن زملاءه لم يلبثوا أن علموا بسره ، فلم يطق البقاء

فى العمل من فرط حساسيته ! ٠٠ ثم حصل على عمل آخر بعد ذلك ، لكنه لم يستمر طويلا بدوره !

ويقترح «كوكسون» على «روث» أن تمد الى فولدر يد المساعدة، سيما وان مظهرها الآن يوحى باقتدارها ماليا ! ٠٠ لكنها تجيب محدثها فى نبرة حزينة : « لم أعد أستطيع ذلك الآن ! » ٠٠ ثم تعترف له بتطورات قصتها : **لقد عجزت عن احتمال الحياة مع زوجها ، فتركته لتجاهد طيلة تسعة شهور كى تحصل على أى عمل يكفل لها ولطفليها لقمة العيش ٠٠ حتى لقد باتت تضطر أحيانا الى حياكة الملابس للناس بأتفه الأجور ٠ لكن العبء كان أثقل من أن تقوى عليه ، فلم تجد مفرا فى النهاية من الاستجابة لمغازلات رئيسها ٠٠ صارت عشيقته !**

وتصارح « روث » الباشكاتب بأنها قد جاءت الآن تلتمس أن يعطى « فولدر » فرصة أخرى ، باعادته الى عمله فى مكتب المحاماة ٠٠ وتضيف انه واقف الآن بالفعل فى الطريق ينتظر نتيجة مسعاها ! ٠٠ ويستدعيه كوكسون ، فيدخل الشاب بعد لحظات ، بادى الشحوب ، والهزال ـ و «الكهولة» ! ـ وهو يخب فى سترته التى اتسعت من فرط نحوله ٠ وتخرج « روث » من الغرفة لتترك الرجلين يتفاوضان ، فيأخذ فولدر فى خجل يد كوكسون الممدودة اليه ، ويقول انه بات ثلاث ليال فى الحدائق العامة ، فى العراء ٠٠ « والناس هناك لا يتعرضون للانسان بأذى ، لكنهم يعاملونه مع ذلك بازدراء ، وهذا الشعور هو الذى سحقنى سحقا ! »

ويدخل المحاميان صاحبا المكتب ، فيختبىء « فولدر » فى غرفة مجاورة ، بينما يتصدى الباشكاتب للتوسط له لديهما ٠٠ **حتى يقبل المحامى الأب فى النهاية أن يعيد فولدر الى عمله فى المكتب ، بشرط أن يقطع صلته بتلك المرأة ! لكن فولدر يصر على ان « روث » تمثل فى نظره كل ما عاش من أجله ، وانه لم**

يهتد الى مكانها الا ليلة أمس فقط، وهو على ثقة من انها لا يعوزها غير المال كى تتحرر من زوجها نهائيا !

وهنا يبدى المحامى الابن استعداده لمساعدتها فى الحصول على الطلاق من زوجها .. لكن كوكسون ينتهز فرصة ابتعاد «فولدر» ناحية النافذة ويهمس للمحامیین بأن « روث » لم تعد مقيمة على وفائها لفولدر ، بعد أن اضطرتها الظروف الى مصادقة رئيسها!

ويستدعيها المحامى الأب ، فيبتدرها فولدر فرحا بأن الطلاق بات الآن ممكنا .. لكن الأب يقاطعه فى حدة : « لست أعتقد ان هذا ممكن يا فولدر » ، ثم يصارح « روث » بوجوب أن يقطع فولدر كل علاقة بها .. ويسألها على الأثر فى لهجة ذات معنى: « أتفهمين ما أعنى ؟ » .. فتجيبه فى أسى وتعاسة : « نعم ، انى أفعل ما فيه خيره » .. وفى هذه الاثناء يدرك فولدر آخر الأمر ان المرأة قد خانت عهده، فيحجب وجهه بيديه يائسا !.. بينما يرق له المحامى الأب بعض الشیء ، فيخاطبه : « حسنا ، سأعطيك الفرصة التى طلبتها يا فولدر .. فلا تطلعانى على ما سوف تكون عليه علاقتكما فى المستقبل !.»

ويسمع طرق على الباب ، فتدلف روث الى حجرة مجاورة .. أما فولدر ـ الذى كان قد تراجع مجفلا عن مصافحة يدها التى مدتها اليه فى خجل ـ فانه يتبعها الآن الى الحجرة المجاورة ، حيث نراه يمسك بكتفيها ، قبل أن يغلق الباب فيحجبهما عن انظارنا ..

أما الزائر الذى طرق الباب ، فهو مخبر من رجال البوليس السرى ، جاء يبحث عن فولدر من أجل تهمتين : الأولى انه لم يواظب على تقديم نفسه للبوليس بانتظام منذ خرج من سجنه، كما يقضى عليه القانون .. والتهمة الثانية انه حين تقدم أخيرا ليلتحق بأحد الأعمال ، زور فى طلب الالتحاق اسم أحد الأشخاص ـ بعد أن ضاقت به السبل ـ مستشهدا به على حسن

سيره وسلوكه !

ويحاول المحاميان والباشكاتب أن يحموا « فولدر » من هذه الكارثة الجديدة ويتستروا عليه، باخفائه عن عين الشرطى .. لكن هذا يلمح قبعة المتهم على مقعد ، فيتجه الى الباب الفاصل بين الحجرتين ، ويدخل منه .. ثم يخرج بعد حين فى هدوء ، ومعه فولدر .. ويتبع الشاب سجانه متثاقلا ، نحو السلم !

ونسمع صوت ارتطام جسم ثقيل .. ثم يعود المخبر بعد دقائق ، حاملا « فولدر » بين ذراعيه . لقد ألقى التعس بنفسه الى أسفل السلم .. فدق عنقه !

وتفيق « روث » من اغماءتها ، لتركع بجوار جثة حبيبها ، وهى تدلله باكية بأرق العبارات .. وفيما هى تحدق فى الجثة ملتاعة ، يتمتم كوكسون فى أسى : « **لن يستطيع انسان أن يمسه بأذى بعد الآن .. مطلقا .. فلقد بات آمنا ، فى رحاب السماء !** »

مطبوعات كتابى

تقدم لك حوالى منتصف مارس الحالى

تحفتين - فى عدد واحد - من روائع الروائى النمسوى الأشهر « ستيفان زفايج » ، الذى أتحفك من قبل بروائعه السابقة التى لا تزال تذكرها : « رسالة من مجهولة » ، « غرام تحت سماء الشرق » ، «الخوف»

عاشقات ... فى الخريف

١ - الأرملة العاشقة **٢ - الأم العاشقة**

اقراهما مترجمتين بنصهما الحرفى الكامل فى العدد القادم من « مطبوعات كتابى » - يصدر حوالى منتصف مارس الحالى فى ٢٠٠ صفحة - الثمن ١٠ قروش

الحياة قصة

روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء :

قرات معى فى الاعداد الماضية قصص: • اموك : لستيفان زفايج • قلب عذراء : جون جالزورثى • مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى • التلميذ : بول بورجيه • أحدب نوتردام : فيكتور هوجو • جريمة حب : بول بورجيه • جين اير : شارلوت برونتى • ايام بومباى الأخيرة : لورد ليتون • مانون ليسكو : الاب بريفو • حديقة الله : روبرت هتشنز • عندما تحقد المرأة : جورج اونيه • آسيا : ايفان تورجنيف • الشيطان على الارض : برتراند رسل • رسالة من مجهولة : ستيفان زفايج • الحب الاول : تورجنيف • تاييس : اناتول فرانس • بلاد العميان : هـ.ج. ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون • كوخ العم توم : هارييت بيتشر ستو • الزوج والعشيق : سومرست موم • البوهيمية : هنرى مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه • شيرى : كوليت • الجريمة والعقاب : دستويفسكى • لحن كرويتزر : تولستوى • اميرة مصر : جورج ايبرز • الامطار : سومرست موم • افروديت : بييرلويس • جيجى : كوليت • الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه • ليبوريللا : ستيفان زفايج • كانديد : فولتير • اشجان فرتر : جيته • فرانشسكا : موباسان • لوريت • المعطف • يوميات زوجة • الافق المفقود • النار الخالدة • الوحل • ابناء وعشاق • وهاك اليوم «اليهودى التائه»

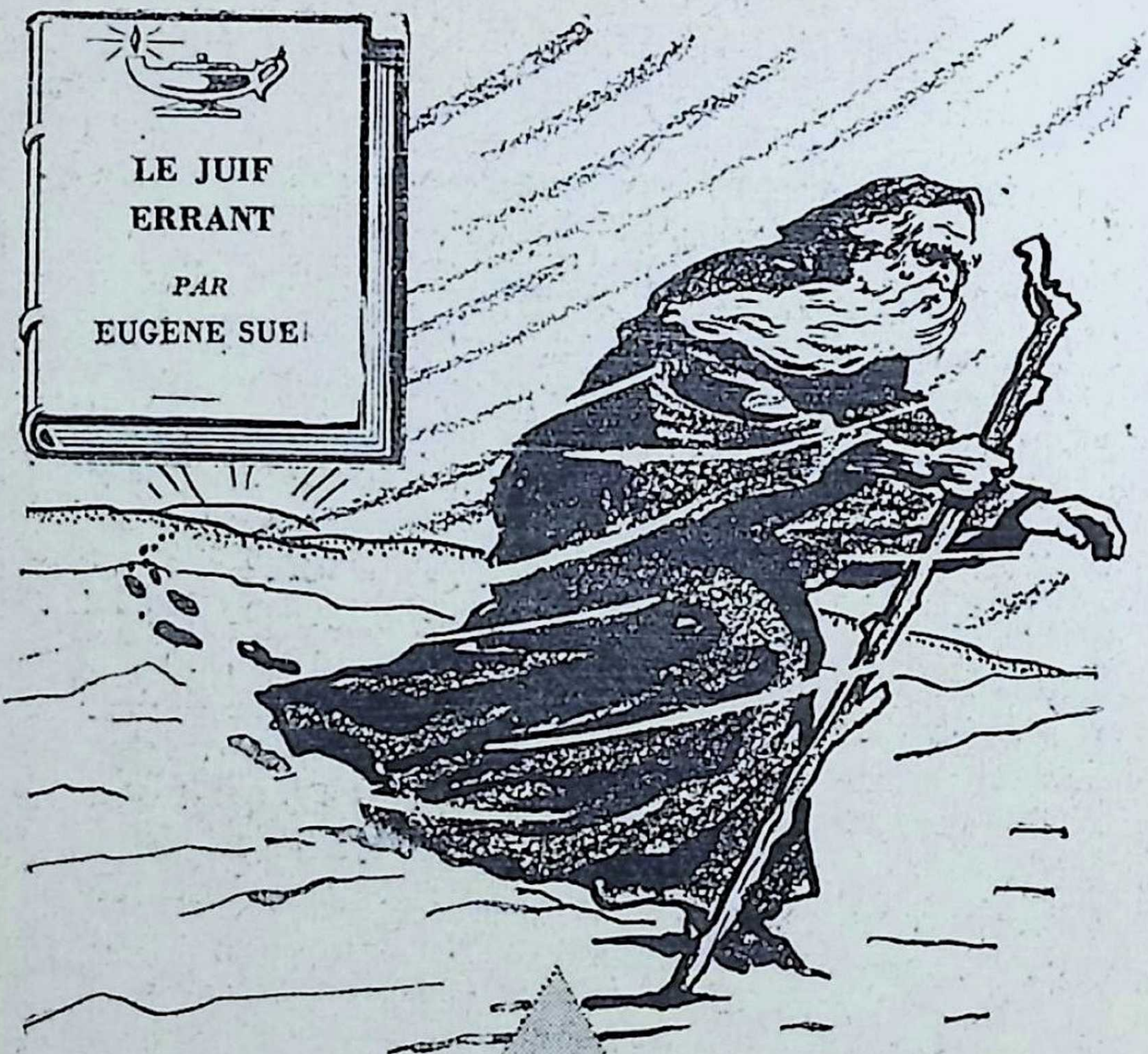

اليهودي التائه!

القصة الخالدة للروائي الفرنسي أوجين سو

تلخيص : فرج جبران

قصة القصة ٠٠ ومؤلفها

◆ أثارت هذه القصة ـ عند ظهورها لأول مرة فى سنة ١٨٤٤ ـ ضجة هائلة امتدت من فرنسا الى أوربا بأسرها ، ورفعت مكانة مؤلفها « أوجين سو » الى مكانة « الكسندر دوماس » ، وثبتت قدميه كزعيم للميلودراما ٠٠ ومن الطريف ان « سو » ـ الذى ولد فى سنة ١٨٠٤ ـ لم ينشأ كاتبا أو روائيا ، بل انه درس الطب ، ثم التحق بالأسطول الفرنسي لست سنوات ٠٠ الى أن ورث عن أبيه ـ الذى كان يوما طبيبا فى حاشية نابليون ـ ثروة جعلته يفرغ للكتابة والتاليف ، وهو فى السادسة والعشرين من عمره ٠٠

وقد بنى « سو » قصته التى اقدمها لك هنا ، على رواية مأثورة عن السيد المسيح : فعندما أضناه ثقل الصليب ـ الذى صلب عليه ـ وهو يحمله على ظهره الى مكان الصلب فوق جبل « الجلجثة » ، عرج على دار يهودى يلتمس الراحة٠٠ولكن اليهودى طرده ، فتحول اليه المسيح قائلا: « لسوف تهيم على وجهك فى الأرض حتى أعود اليها ! » ٠٠ ومنذ ذلك اليوم يهيم اليهودى على وجهه ، حتى اذا بلغ عمره مائة عام ، انتابته غيبوبة ، ما ان يستيقظ منها حتى يجد نفسه قد ارتد الى الشباب ثانية ٠٠ ليعاود السير ٠٠ وهكذا ! ٠٠ وخلال الثمانية عشر قرنا التى عاشها على هذا النحو ، شردت سلالات أسرته عدة مرات ، كانت آخرها هذه المرة التى انطلق فيها يبحث عن مصير سلالة شقيقته وورثتها ٠٠ لكنى لن أفسد عليك متعة قراءة القصة :

ـ ١ ـ

◆ **هناك** ، عند أقصى الأطراف الشمالية للدنيا القديمة والدنيا الجديدة ـ حيث لا يفصل بينهما سوى مضيق (بهرنج) الضيق ـ تترامى قفار (سيبريا) الصحراوية الشاسعة ، فى آسيا ، وبطاح شمال أمريكا ، وقد لفها المحيط المتجمد الشمالى بنطاق جليدى أزلى٠٠وهكذا عاشت فى معزل عن العالم المأهول ، اذ يشتد فيها البرد حتى ليجعل الأحجار الجامدة ترتعش ، وحتى لتنشق لقسوته الأشجار ، وتتصدع لوطأته الأرض ! ومع ذلك ، فمن المدهش حقا ان ثمة آثار أقدام يمكن

اكتشافها فى تلك الفيافى الجليدية ، موغلة فيها على جانبى مضيق (بهرنج) ٠٠ وهى ـ فى الجانب الأمريكى ـ آثار قدمين صغيرتين، خفيفتين ، تنمان عن مرور امرأة ٠٠ أما على أرض سيبريا ، فان الآثار تبدو أكثر انطباعا ، وأكبر حجما ، مما يشى بأن صاحبها ٠٠ رجل !

وأغرب من هذا ، ان كلا من الرجل والمرأة اجتاز تلك القفار المنعزلة ، خلال عاصفة هوجاء ، بلغ من عنفها انها اقتلعت أشجار الصنوبر السوداء ـ التى نمت على مر القرون ـ وطوحت بها بعيدا ٠٠ فمن يكون هذان المخلوقان اللذان سارا فى هدوء وسط العواصف وثورة الطبيعة العاتية ؟!

* * *

◆ **كان** رنين الأجراس ، وأنغام الترانيم الجنائزية ، تتصاعد من أعماق واد على حدود بولندا ، فتصل الى أعالى التلال كأنها حشرجة صوت جبار يخنقه الألم ـ وكان وباء الكوليرا يجتاح البلاد ـ عندما سمع وقع قدمين ثقيلتين تسيران فى خطى منتظمة ، ثابتة ٠٠ ومر رجل يسير وئيدا ٠٠ الى الأمام !

كان طويل القامة ، يميل رأسه على صدره ، وتنم قسمات وجهه عن عراقة محتد ، وعن رقة وحزن ٠٠ وقد التقى حاجباه فوق عينيه ، فكأنهما خط أسود امتد من أحد جانبى وجهه الى الجانب الآخر ، نذير شؤم ونحس ! ٠٠ ولم يبد عليه انه سمع رنين الأجراس الجنائزية ، اذ مضى فى طريقه ، مستغرقا فى تأملاته ، وهو يقول لنفسه :

« لقد اقترب يوم ١٣ فبراير ٠٠ اقترب اليوم الموعود لتلتقى ـ فى باريس ـ سلالة شقيقتى الحبيبة ٠٠ الفلول الأخيرة من عشيرتنا ٠٠ وا لهفتاه ! ٠٠ لقد انقضت مائة وخمسون عاما منذ شتت الاضطهاد هذه الأسرة فى أرجاء الأرض للمرة الثالثة ٠٠ ثلاث مرات خلال ثمانية عشر قرنا شردت فيها هذه الأسرة التى

ظللت أرعاها فى حب وحنان ! .. ترى كم بقى من فروعها اليوم ؟ .. سبعة فقط !

« ان شعورى الغريزى ينبهنى كلما تعرض واحد منها للخطر ، ومن ثم أنطلق من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب ، باحثا عنهم .. ولكن ، كثيرا ما يحدث – للأسف – أن أشعر فى اللحظة التى قد ينقذهم فيها وجودى ، باليد الخفية تدفعنى .. وتحملنى الدوامة بعيدا ، ويهتف الصوت فى أذنى : « **امض فى طريقك .. سر !** » .. آه ، لو استطعت أن أؤدى واجبى ! .. ولكن الأمر يتبعنى : « **سر فى طريقك !** » .. **هكذا قضى على بهذا العقاب !** »

ويمضى الرجل فى حديثه لنفسه :

« آه ! .. ملعون ذلك اليوم الذى كنت فيه منكبا على عملى ، وقد أعمى الحقد والقنوط قلبى – اذ كنت وأسرتى فى عوز الى كل شىء – **فمر المخلص (المسيح) ببابى ، والاهانات تلاحقه ، والتعب يضنيه ، وهو يرزح تحت عبء صليبه الثقيل ، ثم سألني أن أدعه يستريح لحظة على مقعدى الحجرى ، ولكنى دفعته عنه فى خشونة وغضب ، صائحا به : « انني لا أجد رحمة من أحد ، ولن أهب أحدا رحمة .. امض فى طريقك .. سر ! » .. فما كان منه الا أن أجابنى : « الحق الحق أقول لك انك سوف تسير قدما الى يوم البعث .. فهكذا يريد الرب الذى فى السماء ! »**

« وهكذا بدأ عقابى .. والى الآن لم يبزغ فجر يوم العفو الذى أتطلع اليه .. على اننى كلما طغى الحزن على نفسى ، اتجهت بأفكارى الى تلك المرأة التى حلت عليها اللعنة مثلى .. المرأة التى كانت ابنة ملكة (١) ، والتى قدر عليها مثلى أن تهيم على

---

(١) فى احدى الأساطير اليهودية ، ان « هيروديا » لعنت ، وقضى عليها بأن تهيم على وجهها الى يوم الحساب ، لانها طلبت رأس يوحنا المعمدان ..

وجهها ، وستظل تهيم حتى يوم البعث » !

ولم تعد خطى الرجل بطيئة ، ثابتة ، بل غدت مضطربة ، غير متناسقة ، كخطوات امرىء تدفعه الى السير قوة لا سبيل الى مقاومتها .. وعبثا رفع يديه الى السماء بالضراعة ! .. وما لبث أن اختفى فى دياجير الليل ، وسط زمجرة العاصفة ..

– ٢ –

◆ **فى نهاية** شهر أكتوبر من عام ١٨٣١ ، كان مسيو « روادان » يجلس الى مكتبه ، فى منزل متواضع بشارع « ميليو ديزورسينى » بباريس .. وكان فى نحو الخمسين من عمره ، يرتدى معطفا رثا قديما ، تراكمت الأوساخ على ياقته .. وقد انسدل الشعر الأبيض غزيرا على فوديه ، واسترخى جفنه العلوى ، المنتفخ ، المجعد – كجفن الحية – على عينه الصغيرة ، الحادة ، السوداء ، فكاد يخفيها .. وكانت شفتاه الرفيعتان ، المجردتان من أى لون ، لا تكادان تظهران فى وجهه الممتقع النحيل ..

وعندما دقت الساعة الثامنة ، دخل الحجرة شخص جديد ، فما أن رآه مسيو « روادان » حتى وقف ، وانحنى أمامه فى خضوع عميق واحترام بالغ ، ثم عاود العمل دون أن ينبس بكلمة واحدة .. وكان القادم هو الأب « ديجرينى » .. رجل تلوح على أساريره أمارات السلطة والنفوذ ، ما لبث أن طلب الى سكرتيره أن يقرأ له بعض بيانات ملخصة عن مسألة ذات أهمية بالغة للمذهب المقدس .. مذهب اليسوعيين – «الجيزويت» –

واذ كان هذا الأمر يتعلق بمبلغ من المال لا يقل تقديره عن ثلاثين أو أربعين مليونا من الفرنكات ، فلا عجب فى أن يحشد الرجلان كل قواهما لاستخلاصه من أيدى أصحابه الشرعيين ، لا خدمة منهما للمذهب ، وانما خدمة لمصالحهما الخاصة ! .. وكان أصحاب المال الشرعيون ، هم خلفاء «ماريوس ، كونت دى

رنبون » ، الذى كان يعيش فى عهـــد لويس الرابع عشر ..
وكان كل ما يميزهم عن سواهم من البشر يتمثل فى «ميدالية» برونزية صغيرة ، نقشت على أحد وجهيها هذه الكلمات : « أنا أحد ضحايا (ل.س.د.ج.) صلوا لأجلى . باريس فى ١٣ فبراير سنة ١٦٨٢ » .. ونقشت على الوجه الآخر هذه العبارة : « فى باريس ـ ٣ شارع سان فرانسوا .. بعد قرن ونصف قرن ، احضر هناك ، فى ١٣ فبراير سنة ١٨٣٢ ، صلوا لأجلى » !!

* * *

◆ **وكان** هؤلاء الورثة سبعة ، تشتتوا فى روسيا ، والهند ، وفرنسا ، وأمريكا ، هم : يتيمتان ، وأمير فقد عرشه ، وقس مبشر ، وشابة مثرية ، ورجل من الطبقة المتوسطة ، وعامل !

أما اليتيمتان « روز » و « بلانش سيمون » ، فقد تركتا قبر أمهما فى سيبريا ، وسافرتا فى رعاية جنـدى من المشاة يدعى « فرنسيس بودوان » ، ولكنه اشتهر باسم « داجوبير » . وكان وفيا لهما بقدر ما كان وفيا لأبيهما الذى كان قائدا له فى وقت من الأوقات .. **وفى طريقهم الى فرنسا ، راحت تهددهم يد خفية ، تبعث الرعب فى قلوبهم من وقت لآخر .. ولولا هذه اليد ، ما كان فى رحلتهم ما يستحق الذكر** .. ففى ألمانيا ، اتهم « داجوبير » بالتجسس لحساب فرنســا ، كما اتهمت زميلتاه الجميلتان بأنهما مغامرتان جاء بهما لمساعدته فى تنفيذ مشروعاته .. وثار « داجوبير » لهذا الاتهام ، فألقى درسا قاسيا على محافظ المدينة ، أدى الى القاء ثلاثتهم فى سجن (ليبزيج)

أما الجنرال « سيمون » ـ والد الفتاتين ـ فكان قد نزح الى الهند ليقاتل ضد الانجليز ، وتولى تدريب الجنـــود الوطنيين التابعين لراجا « سنج » .. الا ان هؤلاء الجنود هـزموا أمام القوات التى دربها «كليف» ـ قائد قوات الاستعمار البريطانى ـ ولم تنته الهزيمة بمصرع العاهل الهندى وضم مملكته الى أراضى شركة الهند فحسب ، وانما أدت أيضـا الى أسر ابنه الأمير

« جالما » ٠ على أن الامير ما لبث أن استرد حريته ، فرحل مع الجنرال سيمون الى (باتافيا)

وكانت والدة الأمير فرنسية الأصل ٠ وقد عثر الجنرال «سيمون» ـ بين ماخلفته لابنها ـ على «ميدالية» تذكر الجنرال ان زوجته كانت تمتلك مثلها ، فاغتبط لهذا الاكتشاف ، اذ أدرك ان الأمير كان ـ مثل ابنتيه هو ـ ٠٠ من ورثة «رنبون»! ٠٠ وتهيأ للسفر مع الأمير الى فرنسا ٠٠ غير أن مؤامرة فصلت بينهما فى اللحظة التى غادرت فيها الباخرة (باتافيا) ، فمضى « جالما » فى رحلته وحيدا ٠٠ وتبعه الجنرال سيمون فى سفينة أخرى ٠٠

أما رابع الورثة فيدعى « جبرييل رنبون » ٠٠ كان قسا مبشرا ، اعتاد أن يجوب أوعر البقاع النائية عن العمران ، غير خائف ولا وجل ، شأن جنود الله المتحمسين لمبدأهم وعقيدتهم ٠ وقد حدث فى احدى المغامرات أن تعرضت حياته للخطر ، اذ وقع أسيرا فى أيدى الهنود الحمر ، فعذبوه ، وثبتوه الى صليب ، وتأهبوا ليسلخوا جلد رأسه ٠٠

ولكن ٠٠ اذا كانت هناك يد خفية تعترض طريق سلالة « رنبون » ، أو توجه اليهم الطعنات ، فقد كان هناك ـ أيضا ـ شخص خفى ، يظهر فى ساعات محنتهم دائما ، ويعمل على حمايتهم !

٠٠ ففى أوار المعركة التى اشترك فيها الجنرال « سيمون » ـ فى الهند ـ ظهر رجل فى الثلاثين من عمره ، طويل القامة ، حزين الطلعة ، يميزه حاجبان متصلان ، فحال بين مدفع معبأ بالذخيرة وبين ذلك الضابط ٠٠ وعندما انقشع الدخان ، بعد انطلاق المدفع ، رؤى الرجل واقفا فى مكانه ! ٠٠ وفى العام الذى بدأت فيه قصتنا هذه ، ذهب ذلك الرجل نفسه الى سجن (ليبزيج) ، ففتح الأبواب ، وأطلق سراح «داجوبير» واليتيمتين، ليستأنفوا رحلتهم الى فرنسا !

وكذلك حدث - حين تأهب الهنود الحمر ليسلخوا جلد رأس المبشر « جبرييل » - أن تبدى للمتوحشين منظر عجيب أوقع الذعر فى نفوسهم ٠٠ فقد ظهرت لهم سيدة فى الثلاثين من عمرها ، تؤلف جدائل شعرها الفاحم اطارا بديعا حول وجه يعلوه جلال الملك ، ممتزجا بحزن طاغ لا حد له ٠٠ وما أن رآها الهنود حتى صرخوا مذعورين ، ولاذوا بالفرار وكأن فى أعقابهم أعداء مباغتين !

وهكذا نجا « جبرييل » ٠٠ وسرعان ما صدرت اليه الأوامر بالعودة الى فرنسا ، اذ شاء « ديجرينى » أن يستغله فى تحقيق آماله فى الاستيلاء على ثروة «رنبون» ٠٠ غير ان الأنواء حطمت الباخرة التى كانت تقل القس، ورمت بها الى احدى جزر (آزور) ٠٠ وما لبث القس أن استقل باخرة أخرى ، فاذا به يلتقى على سطحها بالأمير « جالما » ٠٠ ولكن المصادفات العجيبة شاءت أن تتحطم هذه السفينة أيضا ، على ساحل (بيكاردى) ، فى ليلة عاصفة ٠٠ وفى الوقت ذاته ، تحطمت سفينة أخرى كانت مقبلة من (هامبورج) وبين ركابها « داجوبير » واليتيمتان ٠٠ على أن العاصفة لم تود بحياتهم لحسن الحظ

★ ★ ★

◆ **وما أن** بلغوا العاصمة الفرنسية ، حتى تجلت اليد الخفية أكثر شرا وعدوانا عن ذى‌قبل !٠٠ وبدأت بخامسة ورثة «رنبون» ٠٠ الشابة المثرية ! ٠٠ كانت «ادرين دى كاردوفيل»

سيدة فى نضرة الشباب ، رفيعة الاسم ، عظيمة الثراء ٠٠ وكانت لها عمة ـ هى أميرة سان ديزييه ـ استغل «ديجرينى» تحمسها للمذهب اليسوعى ليتوصل عن طريق دهائها وخططها الخبيثة الى الزج بالشابة فى مصح للأمراض العقلية ٠٠ فقد كانت « ادريين » جريئة فى عنف ، وان كانت فاضلة ٠٠ جامحة الطموح ، رغم حسن ادراكها ٠٠ خيالية سريعة الانفعال ، ولكنها مستقيمة ٠٠ وقد استغلت العمة الجانب المتهور من أخلاق « ادريين » لتبرر الزج بها فى المصح ، الذى كان ملاصقا لدير «سانت مارى»، حيث حبست اليتيمتان «روز» و «بلانش» بحيلة غادرة مدبرة !

بقي الوريثان : السادس والسابع ٠٠ الرجل الذى ينتمى للطبقة المتوسطة ، والعامل الأجير ٠٠ ولم يكن أى واحد منهما قد فطن الى ميراثه ، أو عرف عنه شيئا ٠٠ وكذلك لم يكن من العسير على « ديجرينى » و « رودان » أن يقصياهما عن باريس قبل ١٣ فبراير ٠٠ كان أولهما من رجال الصناعة ، يدعى «فرانسوا هاردى» ٠٠ وقد أغرى به «ديجرينى» أحد أصدقائه، فغرر به ، وحمله على القيام برحلة أبعدته عن باريس ٠٠

أما العامل الأجير ، فكان يدعى « جاك رنبون » ٠٠ وكان شابا مستهترا ، سكيرا ، اشتهر باسم «سليبنبف» ٠٠ ولم يكن من العسير الزج به فى السجن لقاء دين لم يستطع الوفاء به !

وهكذا قدر للعدو الخفى أن ينتصر ٠٠ حتى ذلك الوقت !

★ ★ ★

◆ **فى مسكن** ملحق بمنزل عتيق ، كئيب ، محوط بأسوار عالية ، فى شارع (سان فرانسوا) ، جلس «صمويل» اليهودى ـ الوصى على ثروة آل « رنبون » ـ يراجع مع زوجته الحسابات فى صبيحة يوم ١٣ فبراير سنة ١٨٣٢ ٠٠ كانت ثلاثة أجيال من أسرته قد تعاقبت على حراسة المنزل وثروته ٠٠ وما لبث أن

حضر «جبرييل دى رنبون» ، يصحبه مسيو « رودان » ، والأب « ديجرينى » ، وأحد المسجلين ، فاقتيدوا الى غرفة فى البيت المعتم الكئيب ، الذى كان الحارس قد استقدم عمالا فتحوا أبوابه ، وفقا للتعليمات التى تركها صاحبه منذ قرن ونصف قرن !

وشرع المسجل فى قراءة شروط الموصى ، التى نصت على اجراء تسوية نهائية للتركة ، فى صالح من يحضر الاجتماع من الورثة ، عندما تدق الساعة معلنة انتصاف نهار اليوم الثالث عشر من شهر فبراير سنة ١٨٣٢ ‥ واذ ذاك أخرج المسجل الوصية من غلافها ، ومضى يتلو ما تعرض له الموصى وأسرته من اضطهادات على أيدى جماعة اليسوعيين . ثم استطرد قارئا :

« لقد عهدت بما بقى من ثروتى ـ وقدره مائة وخمسون ألف دينار ـ الى اسحاق صمويل ومن يخلفه من نسله ، ليستثمروا هذا المبلغ ، ويتركوا فوائده تتراكم حتى تنقضى مائة وخمسون سنة ، تبدأ اليوم . ولسوف يتضخم المبلغ المكدس خلال هذه المدة ، ويصبح ثروة طائلة . وان أقصى ما أتمناه هو أن يتجمع نسلى ، فينشئوا أسرة واحدة ،وينفذوا كلمات المسيح القدسية : « أحبوا بعضكم بعضا » ‥ آه ، لو شاءت ارادة الرب أن يلتقى خلفائى بعد قرن ونصف قرن فى هذا الاجتماع المبارك ! ‥ أى فيض من الخير ، والتسامح ، والحب ، يتدفق من هذه الخلية ذات الأفكار الخصبة ! ‥ بل ان هذه الجماعة الطيبة تستطيع أن تذهب الى أبعد من هذا ، فتحارب العصبة المتآمرة التى رحت ضحيتها ، والتى قد لا تكون فقدت شيئا من قوتها المنيعة خلال هذا الوقت الطويل !

« هذه هى رغبتى الأخيرة ‥ أو هذه هى آخر آمالى ، فى هذا اليوم ‥ الثالث عشر من فبراير سنة ١٦٨٢ ـ ماريوس دى رنبون »

* * *

• وكان « رودان » أول من تكلم مبددا الصمت الذى ران على الحضور ، فتساءل فى لهفة : « وكم أصبحت قيمة هذه التركة ؟»

فأجاب صمويل : « ان فى حوزتى ـ كما يستطيع السيد المسجل أن يستوثق من هذا البيان ـ سندات مالية متداولة فى السوق الحاضرة ، تصل قيمتها الى مائتين واثنى عشر مليونا من الفرنكات ، وأوراقا مالية تدفع لحاملها تبلغ قيمتها مائة وخمسة وسبعين ألفا من الفرنكات » !

ما أن أعلن « صمويل » وجود هذه الثروة الهائلة تحت يده، حتى بهت الموجودون ، وألجمت الدهشة ألسنتهم ٠٠ فقد كان «رودان» و «ديجرينى» يطمعان فى أربعين مليونا من الفرنكات، فاذا هذا الرقم الذى كان يبدو ـ فى حد ذاته ـ ضخما ، لايصل الى خمس الثروة الفعلية !٠٠ وفى غمرة السكون المطبق، انبعثت دقات ساعة فى الغرفة المجاورة تعلن الثانية عشرة ٠٠ واذ ذاك صاح «رودان»، وقد امتدت يداه بحركة غير ارادية الى الصندوق الذى كان يضم الثروة : « انتصف النهار ! » ٠٠ فقال المسجل فى صوت شابه شىء من الاضطراب : «نظرا لعدم حضور أى وريث آخر للسيد ماريوس دى رنبون ، قبل انتصاف هذا النهار ، فانى ـ تنفيذا لرغبة صاحب الوصية ـ أعلن ان السيد « فرانسوا مارى جبرييل دى رنبون » ـ الموجود هنا ـ هو الوريث والمالك الأوحد لكل هذه الثروة ٠٠ وان السيد جبرييل دى رنبون المذكور قد نزل بمحض ارادته عن هذه الثروة كلها بطريق الهبة ، لفردريك ايمانويل دى بوردفيل ، ماركيز ديجرينى ، القس ، الذى يصبح ـ بهذا التنازل ـ المالك الشرعى الوحيد لهذه الثروة » !

وكان «ديجرينى» و «رودان» قد جمعا كل خطوط مؤامرتهما حول شخص القس « جبرييل » ٠٠ اذ أنه كعضو فى مذهبهما، كان مسوقا الى أن يخضع لأوامر « ديجرينى » ، والى أن ينزل

عن كل ما يملك للجماعة .. وكانوا يعلمون بانحداره من سلالة « رنبون » .. أما هو ، فلم يعلم من قبل شيئا عن الثروة والوصية !

ولكن ، في عين اللحظة التى اطمأن فيها الأب « ديجريني » وعصبته الى أنهم قد وضعوا أيديهم أخيرا على الثروة ، فتح باب الحجرة فجأة .. ولدى المدخل ، ظهرت امرأة ما ان رآها « جبرييل » ، حتى أرسل صرخة عالية ، وجمد فى مكانه كمن مسته صاعقة ! .. فقد كانت القادمة هى نفس المرأة التى أنقذته من الهنود الحمر ، حين أوشكوا أن يسلخوا جلد رأسه !

وتقدمت فى بطء ، مقتربة من احدى قطع الأثاث التى كانت فى الحجرة ، حتى اذا بلغتها ، مست زرا خفيا فى اطارها ، فاذا بدرج يندفع الى الخارج .. وتناولت من الدرج مظروفا مختوما ، سارت به الى المنضدة ، ووضعته أمام المسجل ، ثم انسابت خارجة فى بطء ، كما دخلت ، وهى تلقى نظرة أخيرة على « جبرييل » !

وساد الصمت لحظة بعد خروج المرأة .. صمت يشوبه شيء من الخوف والتوتر .. على ان « صمويل » لم يلبث أن تمالك نفسه ، فطلب الى المسجل أن يفحص الرسالة التى وضعتها المرأة على المنضدة .. واضطر المسجل الى أن يستجيب له ، ففحص أختام المظروف ، ثم فضه .. وما لبث أن هتف فجأة : « يا لله! .. ما هذا الذى أرى ! .. انصتوا يا سادة ! » .. ثم شرع يقرأ الرسالة : « **هذا ملحق يلغى كل ما ورد من نصوص فى الوصية التى تركتها . وبمقتضاه يجب أن يعاد اغلاق الدار ، وان تترك الأموال فى أيدى نفس الوصى الذى عينته ، على أن توزع على المستحقين الشرعيين فى أول يونيه سنة ١٨٣٢ — ماريوس دى رنبون** »

* * *

◆ **غادر الأب** « ديجريني » و « رودان » المنزل والكمد يملأ

نفسيهما ، ويثير فى صدريهما أكثر ألوان الشر هولا ٠٠ وما أن خلا كل منهما الى صاحبه ، حتى قال « ديجرينى » : « ها قد هزمنا فى النهاية ! » ٠٠ بيد ان « رودان » قال : « لقد حان الوقت لتنفيذ هـذا » ٠٠ وأخرج من جيبه ـ فى هدوء مفعم بالازدراء والبغضاء ـ وثيقـة تحمل توقيع رئيس الجماعة ، **وتنص على خلع « ديجرينى » عن منصبه الخطير لأنه غير أهل له ، على أن يتولى مكانه « رودان » ، الذى كان يقوم بدور الجاسوس عليه فى الوقت الذى كان يؤدى عمله كمساعد له !**

ومنذ ذلك الوقت ، نبذ « رودان » طرق العنف التى كان « ديجرينى » ينتهجها ، وشرع يرسم خططه الخاصة فى دهاء ، ومثابرة شيطانية! وهكذا، تحت ستارالصداقة والتظاهربالندم على معاونته لديجرينى ، والرغبة فى التكفير عنها ، أطلق سراح « ادريين دى كاردوفيل » ، واليتيمتين « روز » و « بلانش » ، اللتين عمد الى جمع شملهما بأبيهما الجنرال «سيمون» والأمير « جالما » ٠٠

ثم ذهب الى « هاردى » فأراق دموع التماسيح ، وسرد عليه كل ما حاكه « ديجرينى » من مؤامرات ضد ورثة « رنبون » ، وكأنها كانت جميعا معدة لخدمة أغراض شخصية لسلفه ٠٠ وزاد على ذلك بأن كشف له عن خدعة الصديق الذى أغراه على مغادرة باريس قبل ١٣ فبراير ٠٠

ولم يمض طويل وقت ، حتى بدأت خطط « رودان » السرية تؤتى ثمارها ، واتخذت أولى نتائجها شكل اضرابات وثورات شبت فى مصنع « هاردى » ، ثم تطورت الى هياج وشغب انتهيا بتدمير المصنع ٠ ولم يقنع « رودان » بذلك ، بل عمد الى تدبير حيلة جعلت حبيبة « هاردى » تهجره وتفر منه ٠٠ فكانت هذه الخيانة هى الضربة القاضية !

وذهب المسكين ـ وقد سحقه الألم واليأس ـ ينشد عزاء لدى « رودان » ، فاستقبله هذا فى جو من التقوى الزائفة والصلاح المصطنع ٠ وقال « هاردى » محزونا : « آه ! ٠٠ لم تعد لدى قوة ولا رغبة فى أن أواجه هذه الدنيا مرة أخرى » ٠٠ فقال « رودان » فى لطف ورقة : « وما الذى يدعوك الى هذا يا صديقى العزيز ؟ ٠٠ ألا انشد لنفسك مقاما فى دير بعيد ناء ، لا تصل اليه هموم هذه الدنيا الخبيثة وشرورها ! ٠٠ اذهب يا صديقى الى الدير حيث لا تجد الا الصلاح ، والتقوى، والطهر ، والصيام ، والصلاة ، والاستغفار ، واللذات الروحية! ٠٠ هذه هى حياة الدير يا صديقى المسكين ٠٠ تعال معى الى هناك ! »

وصدقه « هاردى » المسكين ، فذهب الى الدير ، حيث أخذ فى عزلته يمارس حياة شاقة ، جافة ، كلها زهد وعبادة وتكفير ، فلم يلبث أن مات بعد شهرين ، فى أكثر أديرة فرنسا كآبة وظلاما ٠٠ ولم يفت « رودان » أن يحمله بدهائه على أن يوصى له بنصيبه فى ثروة « رنبون » الضخمة « من أجل صالح الجماعة » !

وهكذا نجح « رودان » فى التخلص من واحد من الورثة السبعة ، فتحول يوجه عنايته الى ثانيهم !

وكان التخلص من « جاك رنبون » سهلا جدا ، لا يحتاج الى جميع الجهود التى بذلت فى سبيل التخلص من «هاردى» ، فقد أخذ « رودان » يمد « جاك » بالمال اللازم لكى يسرف فى احتساء الخمر كما يشاء ، طمعا فى أن تقضى عليه هذه الخمر ٠٠ وبالفعل تحقق لرودان ما كان يبغى ٠٠ وبهذا تخلص من وريث آخر !

★ ★ ★

◆ فى ذلك الوقت ، اجتاحت باريس موجة « الكوليرا » ، وراحت تفتك بالكثيرين ٠٠ وقد كان « رودان » من اول الذين أصيبوا بهذا المرض القتال ٠٠

وكان - حين دهمه الوباء - مجتمعا بالكاردينال « ماليبيرى » الذى كان يزور فرنسا وقتئذ ٠٠ ولما احس بوطأة المرض ، اخذ يتأوه ، ثم وقع نظره على الكاردينال ، فحدق فيه ، ثم صاح به قائلا : « لاشك أنك دسست لى السم لتتخلص منى ٠٠ ألست من سلالة آل بورجيا الذين كانوا يستعملون السم اذا ارادوا أن يتخلصوا من خصومهم ؟ »

وأحس الكاردينال « ماليبيرى » بالحرج ، وضايقه هذا الاتهام الغريب ٠ ولما فكر فى الامر مليا قال لنفسه : « انه يظن أن السم قد دس له ٠٠ اذن ، لابد انه يدبر أمرا خطيرا جدا ! »

ولكى ندرك مدى آلام « روdان » وعذابه - اذ أقعده المرض عن النشاط - يجدر بنا ان نتبين اتجاهات هذا الراهب الطموح واطماعه الجريئة ٠ فلقد جعل من « البابا سيكستس الخامس » قدوة له ، وراح ينهج نهجه بغية أن يصل الى المنصب السامى بنفس الطريقة التى اتبعها هذا « البابا » للظفر بمنصبه ٠٠

كان يرجو أن يحصل - أولا - على ثروة « رنبون » كلها ، وان يستأثر بها لنفسه ٠ فاذا نجح فى ذلك ، امكنه بسهولة أن يصبح قائدا عاما لليسوعيين ، وما أن يصل الى هذا المنصب ، حتى يغدو فى وسعه ان يوزع الرشاوى على اعضاء الجامعة المقدسة ، فيصل الى الكرسى البابوى الرفيع !٠٠ وكان فى نيته - بعد أن يصل الى هذا المنصب - أن يأمر بتغيير النظام الاساسى لجماعة اليسوعيين ، بحيث يدمجها مع الجماعات المسيحية الأخرى ، بدلا من أن يتركها مستقلة كما كانت فى الماضى ، لان استقلالها هذا كان يجعلها دائما فى مركز تطاول فيه البابوية ، وتنازعها سلطانها ٠٠ بل وتتحكم فيها !

تلك كانت المشروعات السرية التى شرع « رودان » فى تحقيقها بمختلف الوسائل والدسائس والخطط الجهنمية ٠٠

ومع أن (روما) كانت تجهل كل ما يتعلق بمشروعاته أو أهدافه الخفية ، الا أن الشكوك بدأت تحوم حوله ، عندما عرف أنه كان يكثر من الاتصال خفية باعضاء الجامعة المقدسة - التى تحيط بالبابا - وبدأوا يتساءلون هناك عن الاسرار التى تكتنف هذه الاتصالات ويرتابون فى أمرها ٠٠ بل ان القلق والريب داخلت بعض أعضاء الجامعة انفسهم ، فعقدوا العزم على الوصول الى السر الذى يكمن وراء اتصالات « رودان » المريبة ، ومن ثم انتهز الكاردينال « ماليبيرى » فرصة زيارته لفرنسا ، وسعى الى محاولة الكشف عن خطط « رودان » السرية ٠٠

ولكن « ماليبيرى » لم يتمكن من الوصول الى شىء من هــذه الاسرار ، ولا ما كانت تنطوى عليه من خطط واهداف ·· كان كل ما استطاع ان يصل اليه ، مجرد استنتاجات بأن مشروعات « رودان » السرية لابد وان تكون «خطيرة جدا» ·· وقد واتته هذه الفكرة عندما اتهمـه « رودان » – فى عنفوان الألم – بأنه دس له السم ، على طريقة « آل بورجيا » !

وكان الكاردينال يطمع فى أن يكشف له المرض والهذيان شيئا من الاسرار الدفينة فى صدر « رودان » ·· ولكن هذا ما لبث ان برىء من مرضه بقـوة ارادته وتشبثه الوثيق بالحياة !·· وما أن اطمأن « رودان » الى شفائه ، حتى بادر يستأنف مشروعاته الجهنمية !

⋆ ⋆ ⋆

• وكانت اليتيمتان « روز » و « بلانش » هما هدفه التالى ، على أن يأتى دور « جالما » بعدهما ·· ولكى يتسنى له التخلص من الثـلاثة ، كان لابد لرودان من ان يقصى الماريشال « سيمون » عن باريس ·· وفى سبيل هـذه الغاية ، دبر « رودان » خطة علم بمقتضاها الماريشال بأن ابن نابليون كان فى مأزق يوشك ان يقضى عليه ، فى النمسا ·· والفى الماريشال المسكين نفسـه موزعا بين الحرص على ابنتيه والامير الهنــدى ، وبين الولاء لابن امبراطوره القديم !

ولم يدعه « رودان » حتى ينتهى الى رأى ، بل واصـــل دسائسه ، حتى اضطر الماريشال الى أن يبادر بالرحيل الى النمسا لانقاذ ابن نابليون ·· وهكذا خلا الجو لرودان !

وفى براعة خبيثة ، عمـد الى اغراء « روز » و « بلانش » على زيارة خادم وفية لهما ، كانت قد وقعت فى براثن « الـكوليرا » ونقلت الى المستشفى ·· فهل تضنان عليها بالمواساة فى لحظاتها الاخيرة ؟·· ولم تقو الفتاتان على التردد ، فقد كان قلباهما ارق من ان يأبيا على الخادم هذه الزيارة ·· وفى المستشفى ، اصيبتا بالعدوى وراحتا ضـحية عواطفهما الرقيقة النبيلة ·· وضحية خطة « رودان » الشيطانية !

وكاد الجنرال « سيمون » يجن بسبب فقده ابنتيه ·· وفيما كان مستغرقا فى همومه ، وصل اليه خطاب بدون امضاء ·· وزاد هذا الخطاب من شكوكه ، اذ أوحى اليه بأن المسئول عن موت ابنتيه هو الأب « ديجرينى » ·· فصدق سيمون ما جاء فى الخطاب ، وبادر ينشد لقاء « ديجرينى » ·· وما أن اجتمع به حتى صاح : « اليك هذا السيف ·· لقد كنت جنديا فى الماضى ، فدافع عن نفسك الآن ! »

وامسك الكاهن بالسيف، وأخذ يقلبه بين يديه ، ثم كسره ، قائلا : « ان مهنتى الدينية المقدسة تمنعنى من المبارزة ! »

فصاح به سيمون : « يا لك من جبان » !

وأمسك بسيفه هو الآخر فكسر منه جزءا ، حتى اصبح فى طول السيف الذى كسره الأب «ديجرينى» ، ثم قال : « سوف نتقاتل الآن بالخناجر بدلا من السيوف ! »

وتقدم من الكاهن وصفعه على وجهه !

واشتبك الرجلان ، ودار الصراع الرهيب بينهما .. ولم يمض طويل وقت حتى سقط « سيمون » على الارض بعد ان طعنه غريمه فى قلبه .. على أن الكاهن ما لبث أن سقط هو الآخر على الأرض ، وهو يعانى سكرات الموت ..

وبموت « سيمون » فقد الامير « جالما » رائده وناصحه .. وكان - « جالما » - هو الهدف التالى لرودان .. ولكن هذا أراد أن يتعجل النهاية ، وأن يصيد عصفورين بحجر واحد .. وكانت « ادريين » هى خير عصفور يقضى عليه الى جانب « جالما » بخطة واحدة . وقد رسم هذه الخطة فى دهاء خبيث .. فلو أن الشابين تحابا ، بكل ما لدى الشاب الهندى من عواطف مشبوبة ، وما لدى الشابة من اندفاع وتطرف ، ثم أذكيت نيران الغيرة بينهما ، لاحترقا فى وقدتها !

★ ★ ★

◆ وبالفعل ، وقع كل من « جالما » و « ادريين » فى هوى الآخر .. ثم عمد « رودان » الى اكتساب ود « فارنجيا » - الخادم الخاص للامير - وشراء ذمته ، بينما كان يعمل - فى الوقت ذاته - على بث سموم الوقيعة والشك فى قلبى الحبيبين ، وايهام كل منهما بأن الآخر يحب شخصا سواه !

وفى ذات يوم ، همس « فارنجيا » الى الامير بأن حبيبته على موعد فى المساء مع عشيق غيره .. وتسلل الامير فى ذلك المساء الى منزل فى شارع (دى كليشى) .. وهناك ، شاهد منظرا افقده عقله ، وأثار دماءه ، فطعن المرأة .. وما ان انتبه الى ما فعل ، حتى ادرك هول جريمته ، فهرع الى دار

«ادرين» ، واقتحم مخدعها ٠٠ والى جوار فراشها الخالى ، امسك بزجاجة سم، واخذ يجرع مما فيها ليضع خاتمة لحياته التعسة ٠٠ واذا الباب يفتح ، وتندفع منه « ادريين » نفسها !٠٠ وفى كلمات محمومة اخذ الشاب يروى لها ما فعل ، فسرعان ما تبين العاشقان أن المنظر الذى شهده « جالما » كان منظرا زائفا دبره « رودان » و « فارنجيا » ، وان الفتاة التى طعنها الأمير الهندى لم تكن سوى فتاة استؤجرت لتمثيل المشهد !

وبدا « جالما » يحتضر ، فجن جنون « ادريين » وتناولت زجاجة السم تفرغ ما تبقى من محتوياتها فى جوفها وهى تصيح : « لا ٠٠ لن تموت وحدك ! »

وبعد ساعتين من العذاب الاليم ، مات الشابان ، وقد احتضن كل منهما الآخر !

★ ★ ★

◆ فى صباح اليوم الأول من شهر يونيو سنة ١٨٣٢ ، وقفت عربة امام منزل قديم مقبض الشكل ، تحيط به الاسوار العالية بشارع (سان فرانسوا) ٠٠ ذلك المنزل الذى ظل مغلقا مدة قرن ونصف قرن من الزمان ٠ وفتح الباب ، وتقدم « صمويل » ــ الحارس اليهودى ــ ليرى القادم ، فاذا به ٠٠ رودان !

وقال « رودان » : « اننى احمل تفويضا من الأب جبرييل ، وهو الوحيد الباقى على قيد الحياة من سلالة رنبون ! »

ونظر صمويل الى كاهن آخر كان يصحب « الزائر » فبادر «رودان» قائلا: « وهذا سكرتيرى الخاص ! »

فقال الحارس اليهودى وهو يحدج رودان بنظرة متفحصة :

ــ اننى اعرفك ياسيدى ٠٠ فهل لك ان تتفضل وتتبعنى ؟

وسار الكاهنان الى قاعة واسعة جدا ، معتمة ، مهجورة ، حتى ليحسبها المرء قاعة للموتى ، لاسيما وقد كانت جدرانها مغطاة بستائر سوداء ، ذات حواف بيضاء ٠ ولم يكن بالغرفة اى اثاث سوى منضدة طويلة ، عليها قطعة كبيرة من الرخام الأسود ٠ ورأى الضيفان على المنضدة حقيبة معدنية تزينها بعض النقوش

وتقدم « رودان » نحو الحقيبة المعدنية فى شىء من اللهفة ، وصاح وهو يشير اليها : « اذن ، فالسندات المالية هنا ! »

فاجاب « صمويل » : « نعم ياسيدى ٠٠ انها هنا طبقا للقائمة ! »

وتحول « رودان » يعد الاوراق المالية والسندات بكل دقة ، حتى اذا انتهى قال لصمويل : « انها كاملة ٠٠ مائتان واثنا عشر مليونا ومائة وخمسة وسبعون الفا من الفرنكات ! »

وكان « دافيد صمويل » يحدجه طيلة الوقت بنظرة غريبة ٠٠ وما لبث ان ازاح ــ فى هدوء وصمت ــ ستارا اسود خلفه ، فاذا بست جثث مسجاة ٠٠

واشار الحارس اليهودى ـ وهو سادر فى صمته ـ نحو الجثث ، فتقدم « رودان » فى فضول ، والقى عليها نظرة ٠٠ ثم اجفل ، وامتقع وجهه ، وترنح قليلا ٠٠ كانت الجثث لضحاياه الست ٠٠ اذ كان « صمويل » قد تتبع مصائر الورثة ، لاسيما وقد رابه ما حدث فى يوم ١٣ فبراير ، الذى لم يحضر فيه من المستحقين سوى القس جبرييل ٠٠ وحتى هذا الاخير نزل عن حقوقه فى الوصية !

وادرك « رودان » المعنى الخفى الذى توارى خلف كلمات « صمويل » حين فتح له باب الدار عند وصوله : « اننى أعرفك ياسيدى ! » ٠٠ اذن ، فقد كان الحارس على علم بكل شىء !٠٠ واحس « رودان » فجاة بانه يوشك ان يختنق ، واخذت انفاسه تنبعث فى عناء ، واغمض عينيه ، وكاد يقع على الارض لولا ان استند الى ذراع الأب « كابوشينى » ٠٠ وقال فى صوت متهدج : « حسبتنى منيعا ضد أمثال هذا الضعف العاطفى ٠٠ ضد كل هذه الانفعالات ٠٠ ولكن ، هذا عجيب ٠٠ اننى احس بشعور غير عادى »

وكانما قرأ فى ملامح الراهب شيئا ، فسرعان ما تمالك جاشه ، ونصب قامته فى هدوء وكبرياء ، ثم انفجر مقهقها ٠٠ كانت ضحكته مزيجا من فرح وانتصار لا سبيل الى وصفهما ٠٠ وتامله الأب « كابوشينى » فى دهشة ، واذ ذاك ازداد « رودان » استعلاء وضحكا ، ثم اخرج من جيبه ورقة دفعها اليه قائلا :

ـ هذه رسالة تلقيتها امس من روما ٠٠ انها تعلننى باننى قد عينت قائدا عاما للجماعة !٠٠ خذها فاقراها !

وامسك « كابوشينى » بالورقة ٠٠ وما ان قراها حتى كاد يصعق لفرط الدهشة ٠ على انه ما لبث ان اعادها ـ فى احترام بالغ ـ وانحنى جاثيا على ركبته ، امام « رودان » !

وهكذا بدا كان مشروعات « رودان » واطماعه قد تحققت كلها ٠٠ اذ كان يرى انه بعد الاستحواذ على ملايين «رنبون» ، لن تبقى امامه سوى خطوة واحدة للوصول الى الكرسى البابوى !

★ ★ ★

٠ ومد « رودان » يده فى لهفة الى الحقيبة التى ضمت الثروة ، وقد كاد صبره ينفد ٠ ولكن « صمويل » احس بالاستنكار والاشمئزاز يستوليان عليه ، فالقى بنفسه عليه ، وضغط ـ بكل ما كان فيه من قوة ـ زرا فى غطاء الحقيبة ، وهو يقول : « اذا كانت نفسك الجهنمية عاجزة عن الشعور بالندم ، فلعلها تستيقظ من غفلتها ، اذا هى صدمت فى اطماعها الجشعة ! » ٠٠ كان الحارس يدرك ان مولاه حرص على ان يخفى هذه الاموال عن اليسوعيين طيلة المائة

والخمسين عاما المنصرمة ، فلم يقو على أن يرى واحدا منهم يستولى عليها ـ على جثث اصحابها الشرعيين !

وما كاد يفرغ من هذه الكلمات ، حتى بدأ يتصاعد ـ من فتحة فى غطاء الحقيبة المعدنية ـ دخان دل على ان الأوراق التى بداخلها اخذت فى الاحتراق ٠٠ واشتد الدخان حتى ملأ جو الحجرة ٠٠ وادرك « رودان » ما جرى ، فصاح مرتاعا : « النار ! النار ! »

وقال صمويل : « نعم ! انها النار ٠٠ وبعد دقائق معدودات لن يبقى من كل هذه الثروة الطائلة الا الرماد ٠٠ ولأن يتخلف منها الرماد فقط ، افضل بكثير من أن تصل الى يديك أو يدى أحد من أنصارك ٠٠ ان هذه الثروة ليست ثروتى ، وقد بقيت فى عهدتي طبقا لرغبة صاحبها ٠٠ وطبقا لرغبة صاحبها ـ ايضا ـ ارى لزاما على إن أتركها رمادا ! »

وكاد يغمى على « رودان » ، وانقطعت انفاسه ، فانكفا على رخام المائدة ٠ ولاول مرة فى حياته اخذ فى البكاء ٠٠ وانسابت على خديه ـ اللذين اشتد شحوبهما ـ دموع امتزج فيها الغضب والثورة والياس ، بعد ان رأى كل مشروعاته قد ذهبت أدراج الريح !

وفجاة ، وضع يديه على بطنه ، واخذ جسده يختلج فى ألم مباغت ، جبار ، ثم صاح بصوت مختنق : « المعونة !! ان هذا سم زعاف ، ولكن الآن ٠٠ » ثم أرسل صرخة رهيبة ، واستطرد قائلا : « ها !٠٠ انه فارنجيا !٠٠ وهو يعرف جيدا انواع السموم ٠ أجل ٠٠ هو ! ٠٠ لقد جرت بينه وبين «ماليبريه» مقابلة طويلة ٠٠ ذلك الشيطان ! نعم لقد تمت الرواية فصولا ، ولقد نسجت فصولها بكل مهارة ٠٠ ان آل بورجيا كلهم سواء ! ٠٠ سوف ياسفون على فقدى ، هؤلاء المغفلون ٠٠ ان الكنيسة نفسها سوف تاسف على فقدى ، ولكن ٠٠ آه ، اننى احترق !! » ٠٠ وكان اعداؤه من رجال مذهبه قد ظفروا به اخيرا ، فدسوا له السم قبل حضوره ، ليضعوا حدا لاطماعه الجامحة ٠٠ وهكذا سقط « رودان » بجوار الكنز الذى شهد احتراقه ، والذى ارتكب من اجله كل هذه الجرائم ٠٠ وأمام جثث اولئك الذين اغراه الطمع على أن ينحيهم من طريقه بابشع الوسائل !

- ٣ -

◆ **كان** الفجر على وشك البزوغ ٠٠

وفى منتصف الطريق ـ على سفح التل ـ جلس فى مواجهة الشرق ، على بقايا الحشائش الذاوية ، رجل وامرأة ، يدل

منظرهما ، وشعرهما الأبيض ، وظهراهما المنحنيان ، على انهما طاعنان فى السن ٠٠ وقال «اليهودى التائه» لليهودية التائهة «هيروديا» :

« أواه يا أختاه !٠٠ كم من المرات شهدنا يقظة الطبيعة ، بشعور مفعم بالأسى العميق الذى لا يبرؤ ٠٠ وا اسفاه ! ٠٠ هاهوذا يوم جديد نشهد مطلعه ٠٠ يوم جديد لا فائدة منه ، سيضاف الى حياتنا مادام الموت يهرب منا ! »

فأجابت المرأة :

ـ « ولكن يا أخى ، أية سعادة يجب أن تشعر بها ، مادام الرب قد تولانا برحمته ! ٠٠ ان كل نهار يعود الينا يزيدنا اقترابا من القبر !٠٠ ألا فليتبارك الرب يا أخى !٠٠ ان لحظة الراحة الابدية فى متناول يدنا » !

ـ نعم انها آتية لا ريب فيها يا أختاه !٠٠ ان عذوبة النوم الابدى لتستولى على مشاعرى كلها ٠٠ آه يا للسعادة !٠٠ اننى أشعر بالموت يدب فى أوصالى !

ـ آه يا أخى !٠٠ فلتصب هذه التوبة وذلك الغفران كل من يتعذبون على ظهر الارض !

ـ فلتموتى فى سلام يأأختاه !٠٠ فلقد أقبل اليوم العظيم، وهاهى ذى الشمس تشرق

ـ فليتبارك ٠٠٠ الرب !

ـ فليتبارك ٠٠٠ الرب !

وفى تلك اللحظة التى خفت فيها الصوتان الى الابد ، ظهرت الشمس مشرقة ، وغمرت الوادى بأشعتها الذهبية !

الخالدون

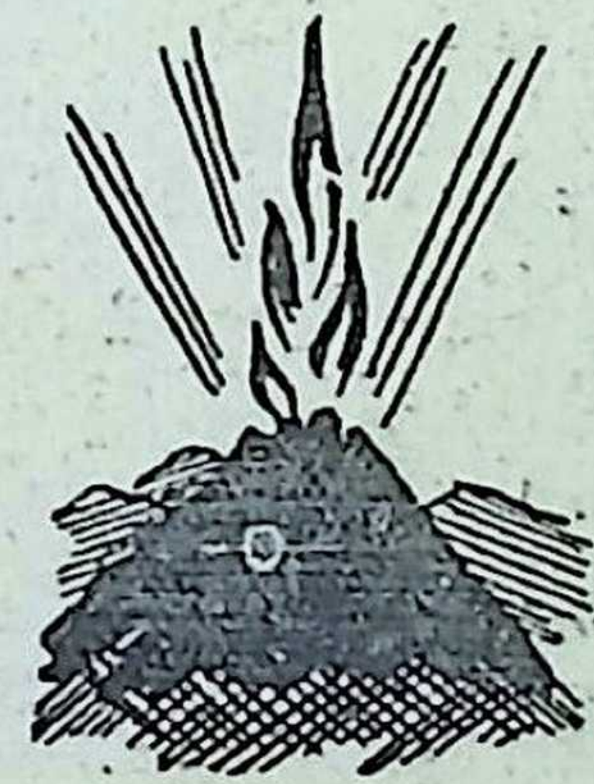

عظماء .. في غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : « ديفاليرا » .. و « غاريبالدى » .. و «لويس باستير» .. «اميل زولا» .. و « ماركونى » ..و «تشايكوفسكى » .. «فمصطفى كمال» .. ثم «شوبان» .. و «جى دى موباسان» و «مختار» و « تشارلس ديكنز » و « بيتهوفن » و «موسولينى» و «شيللى» و « بلزاك» و «بودلير» و «دستويفسكى» و «موليير» واخيرا «كونفوشيوس» و «جيته» وبوذا والكسندر دياس و « ميكيل انجلو » ، وموزار وهم اولئك العظماء فى السياسة ، والطب ، والادب ، والاختـــراع ، والموسيقى .. والفنـــون .. الخ

واليوم اقدم لك فيما يلى حيـــاة الفيلسوف المتشائم « شوبنهاور »

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، براوننج ، شـــوبرت ... فولتـــير ، نيتشـــه ، ارسطو .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، اديســـون ، فورد .. والتر سكوت ، كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. رفاييـــل ، ليوناردو دافنتشى ، وغيرهم ...

أعلام الفكر

شوبنهاور

عدو الحب!

الأب ٠٠ والجد

◆ **يؤثر** عن جد شوبنهاور الأعلى ـ لأبيه ـ المدعو «أندريا»، انه كان فى استقبال قيصر روسيا بطرس الأكبر وزوجته القيصرة عند زيارتهم لمدينة (دانزيج) ، موطن أسرته ٠٠ وكانت الغرفة التى وقع اختيار الاسرة المالكة عليها ، لقضاء تلك الليلة فيها ، غرفة رطبة خالية من أى موقد أو مدفأة ـ رغم ان البرد كان قارسا ـ لكن ذلك لم يزعج « أندريا » أو يربكه ، **فقد تفتق ذهنه الحاد فى الحال عن فكرة مبتكرة : أمر باحضار عدد من براميل «الكونياك» ، وسكب محتوياتها على بلاط الغرفة ثم أشعل النار فيها ـ بعد أن اتخذ الاحتياطات الكافية لعدم تسربها الى خارجها !**

أما والد شوبنهاور ـ « هينريش » ـ فكان تاجرا غنيا ، مستقل الرأى ، الأمر الذى جر عليه المتاعب : ففى عهده طمع « فردريك الأكبر » فى ضم مدينة (دانزيج) الحرة الى روسيا ، فمهد لذلك بمحاولة استمالة الشخصيات الكبيرة فى المدينة اليه بشتى طرق الاغراء ٠ وكان من نصيب « هينريش » منصب كبير عرضه عليه فردريك ٠٠ لكنه رفض فى اباء ، مستنكفا أن يخضع نفسه للرجل الذى يهدد حرية وطنه الصغير !

ولم تلبث أن تحققت مخاوف « هينريش » وظنونه ، فغزا الروس (دانزيج) ٠٠ واضطر هو الى الفرار الى (همبورج) ومعه زوجته الشابة الحسناء « يوهانا » ، وابنه الصبى « ارثر » ـ فيلسوف المستقبل ـ الذى كان يومئذ فى عامه الخامس ٠٠

فاجعة فى الأسرة

◆ **كان** ارثر وحيد أبيه ، وكان هذا يأمل أن يخلفه ابنه فى تجارته الواسعة ٠٠ لكنه لم يعش ليشهد تحقيق أمله ، فبينما

كان يطل يوما من نافذة فى سطح منزله اختل توازنه فسقط فى القناة وغرق لساعته ! ٠٠ وكان ارثر فى السابعة عشرة ٠ أما الزوجة الحسناء فلم تحزن كثيرا ، فانها لم تكن يوما مخلصـــة لزوجها ـ حتى لقد قيل انه « انتحر » عامدا !

وحاول الابن أن يمارس مهنة أبيه ، اخلاصا لذكراه ، **لكنه كره التجارة وعافها ٠ وكان فتى مكتئب النفس ، لا يفتأ يذكر مصرع أبيه ـ الذى كان صديقه الأوحد ـ فيشتعل حقده على أمه ، تلك «الفراشة الخليعة» التى قادت أباه المسكين الى حتفه !**

وازداد حقـد ارثر على أمه حين رحلت الأرملة الطـروب الى مدينة (فيمار) ، عاصمة الأدب والفن فى ألمانيا وقتئذ ، حيث نظمت « صالونا » أدبيا ضمت اليه جميع الشخصيات الكبيرة فى المدينة ، بفضل ابتسامتها الخلابة وذكائها المتوقد ٠٠ وكان من بين من أثرت فيهم شاعر ألمـانيا العظيم « جيته » ، فأمسى من زوارها المدمنين ٠٠ وصارت ترسل الى ابنها ـ الذى استقر فى (دانزيج) منطويا على نفسه ، مثل « هاملت » ، يحرق أعصابه التفكير فى مأساة أبيه وعار أمه ! ـ خطابات مليئة بالتقـريع وعبارات الاستفزاز ٠٠ فكتبت اليه مرة تقول : « لعلك علمت أن نابليون قد دخل بجيشه مدينتنا (فيمار) ، ولهذه المناسـبة أستطيع أن أصف لك مما وقع أشياء كثـيرة كفيلة بأن تجعل شعر رأسك ينتصب هلعا ٠٠ لكنى أضن عليك بهذه الحكايات التى ترضى نزعتك ، فأنا أعلم الناس بحبك لسماع كل ما يتصل بالبؤس الانسانى ! »

وكانت أمه تخافه وتخشى بأسه ٠ علمت يوما أنه ينوى زيارتها فى فيمار ، فكتبت اليه على عجل تقول : « اننى أود أن أسمع عن سعادتك ، لكنى لا أود أن أراها ٠٠ ولا أخفى عليك انى أريد الحيلولة دون قدومك الى هنا ، **فلقد طالما صارحتك بأن الحيـاة معك مستحيلة ، فى ظل مزاجك المنحرف على الدوام ، وتبرمك بأشياء لا سبيل الى تغييرها ، ونظـراتك العابسة الكئيبة التى**

تجلب الشؤم ، وآرائك الشاذة التى لا تقبل فيهـا نقاشا من أحد ، وكأنها الوحى المنزل ! ٠٠ فضلا عن مغالطاتك المـألوفة ونواحك على حماقات العالم وآلام الانسانية ٠٠ مما يفـزعنى ويملأ ليالى بالأحلام المزعجة والكوابيس ! »

٠٠ وهكذا ، شيئا فشيئا ، تحول التوتر بين الأم والابن الى كراهية مستحكمة ! ٠٠ ومن كراهية أمه انتقل شوبنهاور الى كراهية الناس جميعا ٠٠ أو على حد تعبيره : « منذ فجر تفكيرى أحسست أنى فى غير وفاق مع العالم ! »

طالب الجامعة

◆ **ولما** يئس شوبنهاور من امكان استساغته مهنة التجارة ، هجـرها نهائيا والتحق بجامعة « جوتنجن » ، حيث استأنف دراساته بشراهة ونهم ٠ وكان عقله على استعداد لهضم وتقبل جميع مواد الدراسة ، فى شتى الفروع : فقرأ كتب التاريخ ، والتاريخ الطبيعى ، وعلم التعدين ، والعلوم الرياضية ، وعلم النبات ، والفلسفة ، والفلك ، وعلم وظائف الاعضـاء ، وعلم السلالات البشرية ، والقانون ! ٠٠ وقد عرف عنه أن الضجيج يزعجه وأنه يفضل السير على انفراد ، وكتب فى هـذا يقول : « **ان أصوات الضجيج تعذبنى ، وحين تقطـع على حبل تفكيرى صرخة حيوان مثلا، أحس كأن رأسى قد فصل عن جسدى بضربة فأس قوية !** »

لكنه كان يخرج من عـزلته فى مناسبات نادرة ، ويختلط بالناس ٠ وأحيانا كان يزور أمه ، زيارات ضيف ثقيل لا ابن عزيز ! ٠٠ وفى زيارة من تلك الزيارات انسحب بعد العشاء الى جوار نافذة وراح يتأمل الليل الساكن ، فتهامست عليه بعض الفتيات ساخرات ٠٠ لكن شيخا مسنا من الجالسين نهرهن قائلا : « **دعن**

هذا الشاب ولا تزعجنه ، فلسوف يأتى يوم يتفوق فيه علينا جميعا ! »

وكان المتكلم هو « جيته » ! فلقد كان الشاعر الكبير يحمل فى قلبه اعجابا شديدا بالفيلسوف الشاب · لكن أم شوبنهاور لم تشـاطره رأيه فى ابنهـا ·· **وحين نشرت رسالتـه لنيل الدكتوراه ـ وكان عنوانها : « جذور العقل الأربعة » ـ أظهرت الأم غيرة شديدة من ابنها ، ذلك انهـا بدورها كانت تعشق الأدب والتأليف ، وكانت لها مثله مؤلفات ·· فلما سـمعها تسخر من رسالته تلك ، نظر اليها وقال فى هدوء : « انها سوف تقرأ يا أمى حتى بعد أن تخلو صناديق القمامة من كتبك ! »**

ثم ترك جامعة جوتنجن ليكمل دراسته فى جامعـة برلين ، وكان من حسن حظه ان الايراد الذى خلفـه له أبوه كان يكفى لاشباع هواياته العقلية ويغنيه عن العمل لكسب العيش · وفى جامعة برلين اتسعت هواياته حتى شملت ، بالاضافة الى العلوم السـابقة : الكيمياء التجريبية ، والمغناطيسية ، والكهرباء ، وعلم الطيور ، وعلم الأسماك وطبائعها ·· بل وحاول أن يضع رسالة يضمنها تحقيقا مبتكرا فى أسباب الجنـون ! ·· وكان زملاؤه من الطلاب يرهبون ويتحاشون « هذا الطالب العبوس ، بجبهته العالية وشعره الغزير ·· »

حياة الفيلسوف ·· ووساوسه !

◆ ولم ير شوبنهاور امه بعد ذلك قط ، فقد استقر فى (درسدن) وعاش حياة الفراغ والبطالة والتذمر ! ·· وكان ينعم بوحدته ، ويبرر تعطله عن العمل المادى بحجة اشتغاله بالأعمال العقلية ، فيقول فى ذلك : « ان العبقرى يجب الا يشغل نفسه باية وظيفة ·· فانه ، بمحض وجوده على قيد الحياة ، يعمل للانسانية جمعاء ·· ومن ثم فهو معفى من كل التزام آخـر ! ·· وهو يضحى بنفسه عن طريق حساسيته وآلامه ، فالألم من شروط العبقرية ! » ·· وهل كان شكسبير ـ او جيته ـ يستطيع ان يخلق عالمه السحرى لو نعم بهذه السعادة فى حياته اليومية ؟

وهكذا عاش يتسكع ويحلم ، تاركا فلسفته تنضج ببطء في عقله . كان يجلس في متحف الفنون بدرسدن ساعات كاملة يتأمل لوحات «رفاييل» .. أو يذرع شاطيء نهر (الالب) بلا ملل ، وعلى وجهه تعبير انسان فاقد العقل . وأحيانا كان يزور حدائق البلدية فيهمس للاشجار ويعير أذنه لبراعم البرتقال ، كمن يصغى الى حديثها .. فكان الناس ينظرون اليه ويتعجبون !

على ان حياة شـوبنهاور الحالمة في درسدن كانت حياة هانئة .. فرغم زعمه انه يكره الناس ، كان في الواقع يستمتع بصحبتهم . وقد وجد المجتمع الذى يناسبه في درسدن ، التى كانت ثاني مـركز للفن والثقافة في أوربا ، بعد (فيمار) .. فكان يقبل الدعوات ، ويتردد على المسارح ، ويتغدى في المقاهي ، ويرتدى ثيابا غالية أنيقة .. لكنه لم يستطع التغلب آخر الأمر على ميله القديم الى العزلة والتأمل .. فضلا عن انه كان يعاني كثيرا من المخاوف والأوهام ، فكان ينام مثلا وتحت وسادته مسدس محشو بالرصاص !.. وكان سريع الغضب والشك والهياج ، يلازمه خوف دائم على حياته ، وينقصه الايمان بالله والثقة بالناس . كان شعاره الخاص هذه العبارة : « الخوف أكفل للسلامة من الايمان ! » .. وتطبيقا لهذا المبدأ لم يكن يأتمن موسى الحلاق على رقبته !.. وكان مجرد الاشارة الى انتشار مرض معد يجعله يهجر كل المجتمعات ! .. بل كان يحمل في جيبه دائما آنية للشرب من الجلد كي يستعملها حيثما ذهب ، تجنبا لملامسة شفتيه لاناء شرب منه غيره . وكان يحفظ غلايينه وعلب السيجار الذى يدخنه في حرز حريز ، خشية أن تلوثها شفاه أصدقائه !

وكما كان يلازمه الخوف على حياته ، كان ينغصه أيضا كابوس الخوف عـلى امواله ، فيتوهم أن الناس يأتمرون لانتزاع ثروته منه .. الأمر الذى حمله على ان يخفي نقوده في دواة الحبر وأوراقه المالية بين الخطابات القديمة ! أما مستندات املاكه فقد حرص على ان يكتبها باللغة اليونانية القديمة او اللاتينية ، وليس بالالمانية !

على انه - والحق يقال - كان يحتقر نفسه من أجل كل ذلك . ولم يكن يعزيه عن عاداته السيئة الذميمة الا قول افلاطون : « ان أكثر العباقرة ضعاف الاخلاق، محتقرون ، بل واشرار احيانا ! »

فلسفة الارادة ٠٠

◆ وهكذا عاش شوبنهاور يتامل ويحلم ، ويكون فى راسه خميرة فلسفته الفذة القائمة على « التشاؤم » ٠ كان يرى ان حركة الجسد لا تصدر الا بوحى الارادة ، وهى ليست قاصرة على حركات الجسم الاختيارية ، بل تتعداها ايضا فتشمل ما يسمونه بانعكاسات العقل غير الارادية ٠٠ فالارادة هى الغريزة ، وهى الدافع الرئيسى للحياة ٠٠ فالارادة هى العنصر الاساسى فى الانسان ، والارادة هى التى تتحكم ، اما العقل فهو ليس أكثر من عبدها المطيع ! فنحن لا نريد الشىء لأن العقل يريده ، وانما نحن نسخر عقلنا كى يجد تبريرا للشىء لأننا نحن نريده ! ٠٠ وما العقل الا أداة لاختراع المبررات المنطقية لنزوات الارادة ! ٠٠ واذن فالعقل والجسم هما اداتا الارادة ، والارادة هى التى تكون الشقوق والانحناءات فى الجنين الانسانى وتبنى أوعية الدورة الدموية ، وتعطى العقل شكله وخصائصه ٠٠ فارادة الأكل مثلا هى التى ترسم شكل الفم والاسنان والحلق ٠٠ وارادة الانتاج هى التى تشكل اعضاء التناسل ٠٠ وارادة النمو هى التى تجذب النبات نحو الشمس ٠٠ الخ

« وهل يمكن ان يكون كفاح الرجل المرير فى سبيل الطعام والمرأة والنسل ، من فعل العقل ؟ ٠٠ أبدا ٠٠ وانما هو من فعل الارادة ٠٠ وما الحياة الا الارادة الغريزية فى أن نحيا ، ومن ثم كان الصراع والخصومات والتدمير هى أسس الحياة ٠٠ فان ارادات جميع الافراد تشعل حربا ضروسا دائمة بين الفرد والآخر ٠٠ والارادة ليس لها دافع ولا هدف ولا غرض ولا حدود ، وانما هى كفاح عقيم اعمى لا ينتهى ، يتناوب فيه النصر والهزيمة ٠٠ والحياة والموت ٠٠ وينتهى بكل فرد الى القضاء على نفسه والاذعان لارادة الديدان ! »

بهذه الآراء استهل شوبنهاور كتابه الثانى : « العالم ارادة ورأى » ٠ وحين ارسله الى الناشر قدمه بهذه العبارة : « ان كل من اتم عملا خالدا عظيما لا يضيره عدم اقبال الجماهير عليه أو مهاجمة النقاد له ، كما لا يضير الرجل العاقل الذى يزور مستشفى المجاذيب تهجم المجانين عليه ! » ٠٠ ولم يعرف شوبنهاور حقيقة مصير هذا الكتاب الا بعد ستة عشر عاما ، حين صارحه ناشره بانه اضطر الى بيع نسخه آخر الأمر ٠٠ بالأقة !

كلما عاشر الناس ، ازداد كراهية لهم !

◆ لكن شوبنهاور ، رغم تشاؤمه ، كان شغوفا بالاستمتاع بالحياة ، فلم يكد يفرغ من كتابه ذاك حتى قام برحلة الى ايطاليا ، أرض شعر « بترارك » وموسيقى « روسينى » ٠٠ فكان حيثما سار يتوقف المارة رجالا ونساء ليحدقوا فى هذا السائح الشرس ذى العينين الناريتين والجبهة العالية ٠ وقال له شاب

انجليزى فى الفندق الذى اقام فيه : « لقد اخترت عائدة الطعام المواجهة لك لأن وجهك يشبه بيتهوفن ! »

وكان يتردد على المقهى اليونانى « كافيه جريكو » ، الذى يجتمع فيه نخبة من شباب العالم كله ، فقال لجلسائه يوما : « انى أعتقد ان المانيا اغبى دولة فى التاريخ ، لكنها ما تزال فى مستوى أسمى من مستوى غيرها من الشعوب لأنها قد بلغت مرحلة الاستغناء عن الدين ! » .. فقذفه سامعوه الى عرض الطريق ، وقال المانى منهم : « هؤلاء الفلاسفة يجب ان يودعوا أعماق السجون ! » .. فكان تعليق شوبنهاور على ذلك ان هز كتفيه قائلا : « كلما عاشرت الناس ، ازدادت كراهيتى لهم ! »

ثم عاد الى برلين ليمارس التدريس فى جامعتها ، غير مبال بان أعظم عباقرة عصره – هيجل – كان يلقى محاضراته الفلسفية على الجماهير المتزاحمة فى نفس المدينة ! .. بل بلغ من جرأة شوبنهاور انه اظهر احتقاره للفيلسوف رجل الساعة بأن حدد لمحاضرته الأولى نفس الموعد الذى كان مقدرا أن يلقى فيه هيجل احدى محاضراته ! ولم يكتف بهذا بل استهل المحاضرة بعبارة خالية من اللباقة ، اذ قال : « ان السفسطائيين أمثال هيجل يجب أن يطردوا من زمرة الفلاسفة ! » .. فكان أن تركه الحاضرون وخرجوا ! .. ورغم ذلك فانه لم يقتنع بخطئه فى حق زميل بل أستاذ له ، وانما أصر على ان الجماهير عاجزة عن فهم عبقريته ، مشبها نفسه بسقراط الذى لم يقدره معاصروه هو الآخر !

لكن تكرار فشله أثر فى أعصابه ، فبدأ يشفى غليله بالشجار مع صاحبة البنسيون ، وفى احدى تلك المشاجرات دفعها الى خارج غرفته بشدة فسقطت على ذراعها وأصيبت اصابة بالغة ، فما كان منها الا ان رفعت عليه دعوى تطالبه بتعويض عن العاهة التى سببت عجزها عن العمل الذى تتكسب منه .. فحكم عليه باعالة المرأة مدى حياتها ! .. ولسوء حظه كانت المرأة من المعمرات ، فعاش ينفق عليها دهرا طويلا .. وحين تلقى اخيرا شهادة وفاتها تنفس الصعداء ، و « احتفل » بالمناسبة السعيدة !

فلسفة الحياة والموت ..

◆ سافر شوبنهاور بعد انتهاء المحاكمة الى ايطاليا ، فى رحلة ثانية ، ثم عاد ليقيم فى برلين ، ويتأمل فلسفة الحياة والموت .. فانتهت به تأملاته الى أن الحياة انما هى « موت مؤجل » .. وان كل نفس نتنفسه ، وكل خطوة نمشيها ، وكل وجبة نأكلها ، هى محاولة لمحاربة الموت .. ولكن دون جدوى ! .. فالموت يترصدنا منذ ولادتنا ، ولا عجب فى ان ملوك الشرق القدماء كانوا يعيشون وجرعة السم مخبوءة فى خواتمهم ، كى يتناولوها فى أية لحظة ، تخلصا من الحياة ! .. فهم كانوا يعيشون – كما نعيش نحن – عمرا « مقترضا » من الموت!

لكن شوبنهاور كان متشبثا بعمره المقترض ! فلم يكد وباء الكوليرا ينتشر فى برلين حتى نسى مواعظه فى عقم الحياة وعدم جدواها ، وتملكه رعب شديد وخوف من فقدانها ٠٠ فهرب من العاصمة مذعورا ، ولجأ الى (نابولى) ٠٠ لكنه لم يلبث ان اضطر الى مغـادرتها بدورها هربا من وباء الجدرى الذى تفشى فيها هى الأخرى ! ٠٠ وحط رحاله هذه المرة فى (فيرونا) ، وهناك استولى عليه وهم هيأ له انه قد ابتلع سعوطا مسموما !

وهكذا غدت حياته تعسة ممرورة ٠٠ وبدأ الناس يتجنبونه ويتشاءمون منه٠ وزاد من كآبته ظمأه الى الشهرة والى اعتراف الناس بعبقريته ٠ كان يقـول لاصدقائه : « لقد ولدت لأترك طابع ذكائى على الجنس البشرى كله٠٠ورغم ذلك أجدنى أسمع بوق الشهرة يطبل للأغنياء والتافهين ، ويتركنى أنا الذى رفعت النقاب عن وجه الحقيقة أكثر من أى انسان تحت الشمس ! »

ولم يجد عزاء له عن فشله الا فى تأمل غباء وبلاهة الذين ظفروا بالنجـاح والمجد ، فأمده ذلك بزاد جديد من الكبرياء والتحدى ٠ كان يعتقد انه لم يظهر فلاسفة جديرون بهذا الوصف منذ « كانت » غيره هو ٠٠ وبهذه الفكرة هجر برلين واستقر فى مدينة (فرانكفورت) ، بعيدا عن أنظار العالم ٠٠ وكان وقتئذ فى الخامسة والأربعين ٠ ولم يبرح المدينة منذ ذلك التاريخ حتى وافاه أجله بعد سبعة وعشرين عاما ، قضاها وحيدا متنسكا !

التصوف الهندى ٠٠

◊ عاش شوبنهاور فى فرانكفورت اشبه بمعيشة « اشيل » ، مستغرقا فى افكاره ، منطويا على نفسه ، بعيدا عن معارك العالم الأدبية التى كانت تنشب بين النظريات والمذاهب المتضاربة فى (درسدن) و (فيمار) ٠ وكان اميز ما عكف على دراسته فى مرحلته الجديدة كتب التصوف الهندى ، كما خص الفنون جميعا بشطر كبير من وقته وتاملاته ٠ وحين مات صديقه « جيته » فى هـذه الأثناء تزعم حملة قوية لجمع اكتتابات بغية اقامة نصب تذكارى للشاعر العظيم٠ وحتى فى هذا المجال لم يكف عن اقتراحاته ونظرياته الغريبة ، فاعلن رايه فى وجوب التفرقة بين العظماء فى طريقة التخليد ، بحيث تقام للفلاسفة والشعراء والأدباء ، الذين يخدمون الانسانية برؤوسهم ، نصب تذكارية من التمـاثيل النصفية ٠ اما الساسة والحكام والقواد ، الذين يخدمون الانسانية بكيانهم كله، فتقام لهم تماثيل كاملة !

وانتقل بنظرياته الشاذة الى ميدان القوانين الغذائية : فجهر بنظرية مؤداها ان الناس جميعا كانوا فى البداية سود البشرة ، وكانوا يقيمون فى نصف العالم الجنوبى فقط ، ولا ياكلون اللحوم٠٠فلما انتقل البشر تدريجيا الى نصف الارض

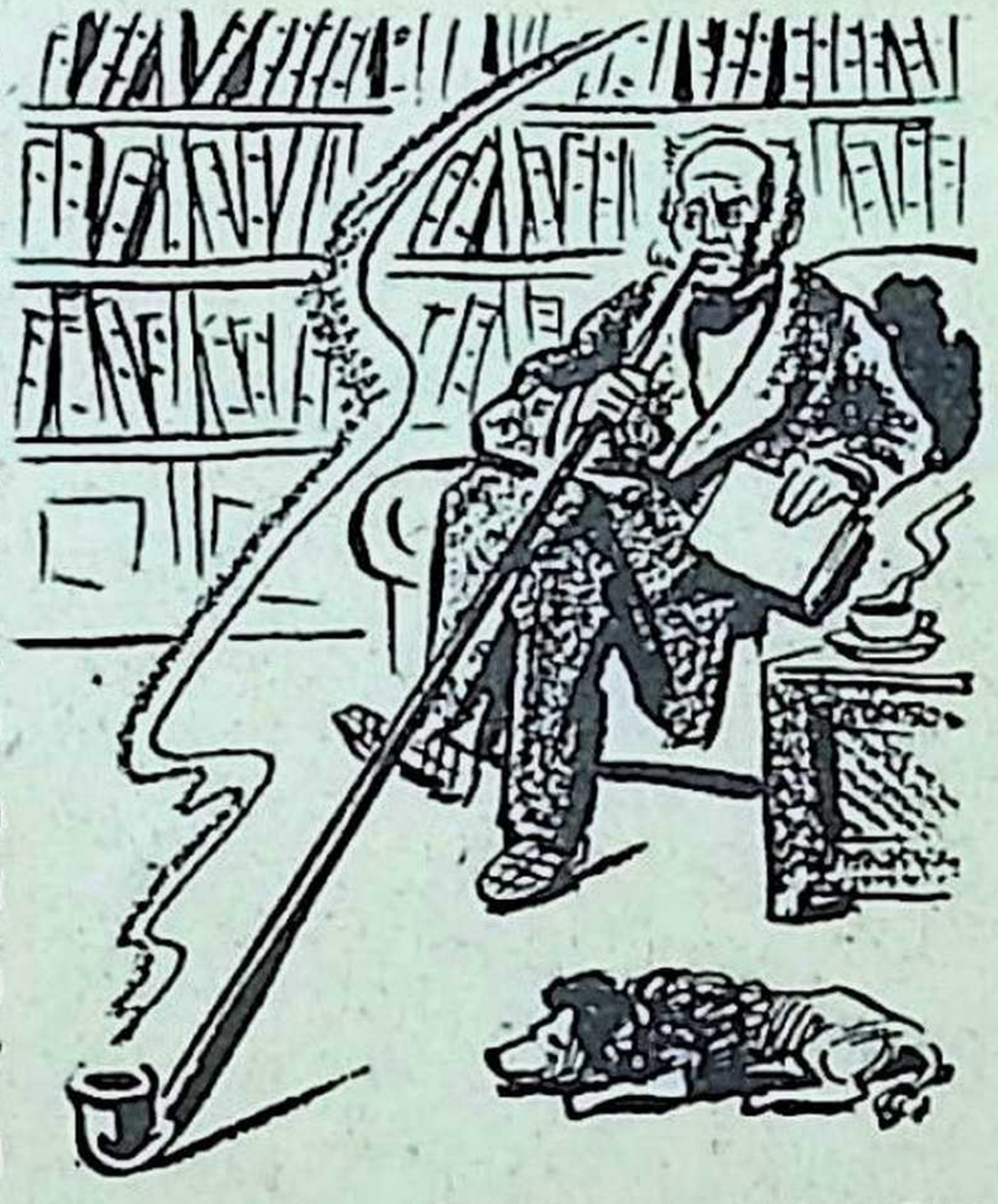

الشمالى ، ابيض لونهم مع الزمن ، واقتضاهم الطقس البارد ان يدفئوا أجسامهم باكل اللحوم الى جانب النباتات ..

ورغم ضنه بماله ، كان شوبنهاور ينفق عن سعة على كمالياته .. فكان مثلا لا يدخن الا بغليون طوله خمسة أقدام ، يتدلى من ذقنه الى الأرض ، كى يبرد الدخان جيدا قبل أن يصل الى حلقه !.. وكان وهو يفعل ذلك يتامل تمثالا نصفيا للاله « بوذا » موضوعا امامه على المكتب ، الى جوار تمثال لراس « كانت » .. فقد كان متصوفو الهنود فى رأيه هم الوحيدون الذين اقتنعوا بتفاهة الحياة وتاقوا للموت ، لا لأنهم آمنوا بحياة أخرى مباركة بعد الموت ، وانما لأنهم رأوا فى الموت عودة بالفرد الى حالة العدم ، وتلك هى الطريقة الوحيدة لبلوغ حالة السكينة النفسية والسلام الروحى ..

فلسفة الألم .. والحب

◆ **وكانت** تلك الفلسفة أقرب ماتكون الى نفسية شوبنهاور ، فقد كان يحتقر « التفاؤل الزائف » الذى ينادى به الفلاسفة المعاصرون .. فالانسان فى رأيه خلق للألم .. خلق كى تغريه ارادته على اشتهاء الامور الدنيوية شيئا بعد الآخر ، فلا يكاد أمر منها يتحقق حتى يعقبه سأم رهيب وفراغ مروع . وتعود الحياة كما كانت حملا ثقيلا فى نظره ، فيكافح من جديد سعيا وراء أمل آخر .. وهكذا لا تخرج الحياة عن كونها «بندول» ، يتأرجح بين ألم الكفاح وسآمة الفراغ ، بين الرغبة فى شىء والزهد فيه .. **فنحن حين نبلغ مطمعا نكون قد حررنا أنفسنا منه فقط ، كى نستسلم فى الحال لعبودية مطامع أخرى غيره ، لا نحس بها الا حين نحرم منها .. فالسعادة حالة سلبية ، والالم هو الحالة**

الايجابية ! ٠٠ ولكن ما نهاية ذلك ؟ ٠٠ هل يستطيع المــوت نفسه أن يوقف هذه الحلقة المفرغة الجنونية وينقذ الانسان من بؤسه ؟٠٠ مطلقا ، بل انه حتى لو انتحر الانسان لا يكون قد وضع حدا للمأساة ، فان الفرد يموت ، لكن موكب الجمـاعة يستمر فى سيره ، وارادة الحياة تغزو ، وتقهر عدوها الخالد ، عن طريق أعضاء انتاج النوع ٠٠ فالطبيعة لا تأبه قط بالفرد ، وانما تحرص على استمرار النوع٠٠ومن ثم لا يكاد الفرد ينجب نسلا من نوعه حتى يفقد كل قيمة له فى نظر الطبيعة ويكون قد أدى مهمته ونضج للقبر ! ٠٠ ولكى تخدع الطبيعة الفـرد وتغريه على المساهمة فى استمرار شقاء الجنس البشرى نراها تزود المرأة ـ لبضع سنوات معدودة ـ بثروة من الجاذبية والجمال ، على حساب شقائها بقية حياتها ، حتى تستطيع خـلال تلك الأعوام من شبابها أن توقع فى حبائلها رجلا الى الدرجة التى تجعله يهرع الى التعهد برعايتها طيلة حياتها وربط مصـيره بمصيرها ، أى الى الزواج منها ! ٠٠ ثم لا تكاد الفراشة البشرية تفقد أجنحتها الملونة بعد الاخصاب حتى تفقد جمالهـا بدوره وتكون رسالتها قد انتهت ونقلتها الطبيعة من على عاتقهـا الى عاتق من هن أصبى منها وأجمل وأصح جسما ، كى يتولين مهمة الانتاج ٠٠ فيالها من مهــزلة ٠٠ وما أغبانا حين نقع فى فخ الطبيعة فنحب !

لكن شوبنهاور استثنى من الحب المحرم فى نظره حب الحيوان، فأحب كلبه « أتما » الى درجة ان أسبغ عليه شرف ملازمته على الدوام ، فى غدواته وروحاته ٠٠ حتى أطلق عليـه صبيـة الشوارع اسم « شوبنهاور الصغير » ، وغدا الكلب «شخصية» معروفة فى شوارع فرانكفورت ٠٠ وأعد له سيده فراشا من جلد الدب جعل مكانه تحت صورة كبيرة لشكسبير !

على ان « عـدو الحب » لم يستطع أن ينجو من شراكه طيلة

حياته ، فتورط فى مغامرتين غراميتين ٠٠ أنجب من احداهما طفلا غير شرعى،أبى عليه عناده أن يعترف رسميا بأبوته له !٠٠ ولم يغير الأمر الواقع من آرائه شيئا ، فكان اذا جرى أمامه حديث العلاقات مع النساء ردد على الفور شعاره الصارم : « **لو كنت ملكا لكان أمرى الأول الى رعاياى هو هـذا : دعـونى وحيدا ! » ٠٠ ثم يتابع حملته فيقول : « الزواج يعنى الحـرب والفاقة ٠ وهو ليس غير فخ نصبته الطبيعة للانسان كى يحقق هدفها وهو استمرار أعظم شر فى الدنيا وأعنى به الحياة ! لذلك فلا شك فى انه ما من انسان ذكى يقبل أن يصبح شريكا فى المهزلة التى يسمونها حب الجنس اللطيف ٠٠ ولا أدرى كيف يطلق الرجال اسم « الجنس اللطيف » على هـذه المخلوقات الضئيلة الحجم ، الضيقة الكتفين ، العريضة الردفين ، القصيرة الساقين ٠٠ التى يسمونها المرأة ! »**

وقد اعتبر شوبنهاور ذلك التناقض أحد « الغاز » الدنيا التى لا تفسير لها !

الحلم القديم يتحقق ٠٠

◆ **ومضت** السنون ، وشوبنهاور ماض فى استنباط نظريات فلسفته القائمة على « الانكار » ٠٠ انكار كل عـرف قائم وكل مبدأ معترف به أو رأى راسخ فى الأذهان ! ٠٠ وحين تقدم فى السن ، فقد سمعه تماما ، وسقطت أسنانه ، وتقلصت شفتاه، وتهدل شاربه على فمه فى غير نظام ٠ لكنه ظل يحتفظ بطابع السخرية على وجهه وبالنار المتقدة فى عينيه ٠٠ كما ان عقله لم يفقد ذرة من حدته وذكائه !

ثم واتته الشهرة التى طالما حلم بها أخيرا ٠٠ كان قد قاطع القراء فلم ينشر شيئا من كتبه الجديدة طيلة سبعة عشر عاما ٠٠ لكنه فى سنة ١٨٣٥ « تعطف على البشرية ! » فقطع صمته بنشر رسالة له بعنوان : « الارادة عند الطبيعة »٠٠ ثم اردفها بكتاب

آخر بعد فترة وجيزة ، فبدأ الناس يقرأونه ويعجبون به ٠٠

وهكذا اكتشف العالم شوبنهاور، ووجد فى فلسفته التشاؤمية الحافز والمنبه الى لون جديد من الشجاعة ، شجاعة اليأس !٠٠ وصارت كراهية البشر بدعة أو « تقليعة » فى مختلف الأوساط ٠٠ ونعم شوبنهاور بمجده المواتى ، فطلب من دور النشر أن ترسل اليه ـ على نفقته ـ نسخة من كل جـريدة أو مجلة أو كتاب يتضمن تعليقا على كتبه ونظرياته ٠٠ وصار المعجبون به يتقاطرون على بيته لزيارته ، فيلبثون ساعات يحدقون فيه كما يتأملون تمثالا أو شـيئا خارقا للطبيعـة ! ٠٠ وأمدته كتب التصوف الهندى بالأمل فى طول العمر ، تمشيا مع نظريتهـا القائلة بأن الانسان الصحيح البدن يسـتطيع أن يبلغ سن المائة ! ٠٠ فقال فى لهجة الواثق : « يذيع خصومى أن الشهرة قد جاءتنى متأخرة ، ويتوهمون انى موشك على الموت ٠٠ لكنى أبشرهم بأن أمامى أكثر من ثلاثين سنة أستمتع فيها بالشـهرة قبل أن أموت ! » ٠٠ فان المبشر بتفاهة الحياة وفلسفة العـدم كان يزداد تعلقا بالدنيا كلما تقدم فى السن !

النهاية ٠٠٠

◆ **لكنه** بينما كان عائدا الى البيت ذات يـوم ، فى خطاه السريعة المألوفة ، أحس بخفقان شـديد فى القلب وضيق فى التنفس ، عاوداه بعد ذلك مرارا ٠٠ ونصـحه الطبيب بتناول دواء لدائه ٠ **فكان جوابه أنه لم يتعاط دواء فى حياته ، وانه لن يبدأ فى تعاطيه فى أخريات أيامه ٠٠ فان الذين يبحثون عن الصحة فى الصيدليات هم الحمقى وحدهم !**

وشخص الاطباء داءه بأنه « احتقان فى الرئتين » ، ونصحوه بملازمة الفراش ٠٠ لكنه اكتفى بالجلوس على أريكة مريحة ٠٠ وصار الطبيب يزوره بين حين وآخر ، فيتحدثان فى الفلسـفة والسياسة والحوادث الجارية : كان الايطاليون قد هبوا فى وجه

المستعمر النمسوى ٠٠ ولويس نابليون قد أغرى فرنسا بالانحياز الى صف ايطاليا ٠٠ وولايات الشمال والجنوب فى أمريكا تتأهب لحرب تحرير العبيد ، بزعامة لنكولن ٠٠ الخ ٠٠
وجلس ذات صباح الى مائدة الافطار يصحح « بروفات » كتابه الأخير ، وينتظر قدح القهوة المألوف ٠٠ ودخلت الخادم لتجدد هواء الغرفة ، فسألته : « دكتور شوبنهاور ٠٠ هل أخذت حمامك البارد ؟ » ٠٠ لكنه لم يجب ، فقد كان مشغولا ببعض التأملات ٠٠

ثم عادت بعد حين تحمل اليه القهوة وتناديه من جديد : « دكتور شوبنهاور ٠٠ دكتور شوبنهاور ! »
وفى هذه المرة أيضا لم يجب ٠٠ لأنه كان قد مات !
وكان فى الثانية والسبعين !

بلدية بورسعيد

تعلن بلدية بور سعيد ان المناقصات العامة التى كان محددا لفتح مظاريفها ظهر يوم ١٩٥٦/٣/٣ ـ وهى :

١ ـ مناقصة توريد الأدوات الكهربائية للتركيبات الخصوصية .

٢ ـ مناقصة توريد المحولات المتنوعة والكابلات والأدوات الأخرى لانشاء محطة تغذية مساعدة (ضغط عالى) .

قد تاجل موعد فتح مظاريفها الى الساعة ١٢ ظهر يوم ١٩٥٦/٣/١٥ بدلا من الموعد السابق .

٣٩٤٥

مجلس المنيا البلدى

تقبل العطاءات ببلدية المنيا عن مناقصات عامة لغاية الساعة ١٢ من ظهر اليوم الموضح قرين كل مناقصة .

يوم ٢٠ مارس ١٩٥٦ عن توريد لافتات للشوارع ومواقف العربات ونمر للمنازل مدهونة ببوية الميناء وثمن النسخة ٣٥٠ مليم .

يوم ٢٧ مارس ١٩٥٦ عن توريد سيارتين كسح سعة ٥٠٠٠ لتر بموتور ديزل يدار بالسولار وثمن النسخة ٥٠٠ مليم .

وتطلب الشروط من البلدية لكل مناقصة على حدة مقابل المبلغ الموضح قرين كل مناقصة يضاف اليه ٥٠ مليم اجرة البريد وتقدم الطلبات على عريضة دمغة فئة ٥٠ مليما .

٣٩٧٦

وزارة الشئون البلدية والقروية
المراقبة الاقليمية بقنا

تقبل العطاءات التالية بمكتب المراقبة الاقليمية بقنا :

١ ـ انشاء دورات مياه مساجد بنواحى مركزى اسنا وارمنت جلسة ١٩٥٦/٣/٢٧

٢ ـ عملية ردم موقع المجموعة الصحية الفردية بناحية فاو بحرى مركز دشنا جلسة ١٩٥٦/٣/٢٨

وتقدم طلبات الحصول على هذه العطاءات للمراقبة بقنا على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ جنيه مصرى واحد عن كل عملية بخلاف أجرة البريد وسوف لا يلتفت الى اى عطاء غير مصحوب بتامين ابتدائى قدره ٢ ٠/٠ من قيمته .

٣٩٨٦

نحن فى ركب الأدب

ظهر فى المكتبة العربية

عزيزى القارىء ...

هذا باب جديد أحسبه قد طاف بخيالك منذ زمن .. ففى كل شهر تخرج المكتبة العربية عشرات من الكتب، لعشرات المؤلفين ، فى شتى الموضوعات .. وأنت حائر لا تدرى أيها تقرأ وأيها تدع - فان وقتك لن يتسع لقراءتها جميعا ولا شك ، ومن العسير عليك ان تعرف ما يوافق ذوقك من المطبوعات من مجرد معرفة اسم الكتاب واسم كاتبه .. بل ان تصفح الكتاب بين يديك فى المكتبة التى تبيعه لن يكفى كى تعرف ما تود معرفته من ابوابه وجزئياته ..

لذلك رأيت ان افتح لك فى «كتابى» هذا الباب الذى يقدم اليك - على فترات متفاوتة - ملخصا لأهم كتاب ظهر خلال الفترة المنصرمة ، فى أسلوب يكاد يكون هو أسلوب كاتبه ، وبعبارات اكثرها عباراته ذاتها ، كيما تلم المامة وجيزة بالكتاب ، فتقتنيه اذا راقتك مادته ووافقت هواك ، أو تقنع بهذه الخلاصة اذا آثرت عليه كتابا آخر .. وهكذا يستطيع كل قارىء ان يقتنى اقرب الكتب الى ميوله ومزاجه

وسبق ان قدمت لك فى هذا الباب :

ابو نواس : للعقاد

الهوى والشباب : بشارة الخورى

هذا أو الطوفان : خالد محمد خالد

هؤلاء علمونى : سلامة موسى

حوار العباقرة

واليوم ، اقدم لك كتابا حديثا عن رائد الفكرى المصرى : الامام محمد عبده

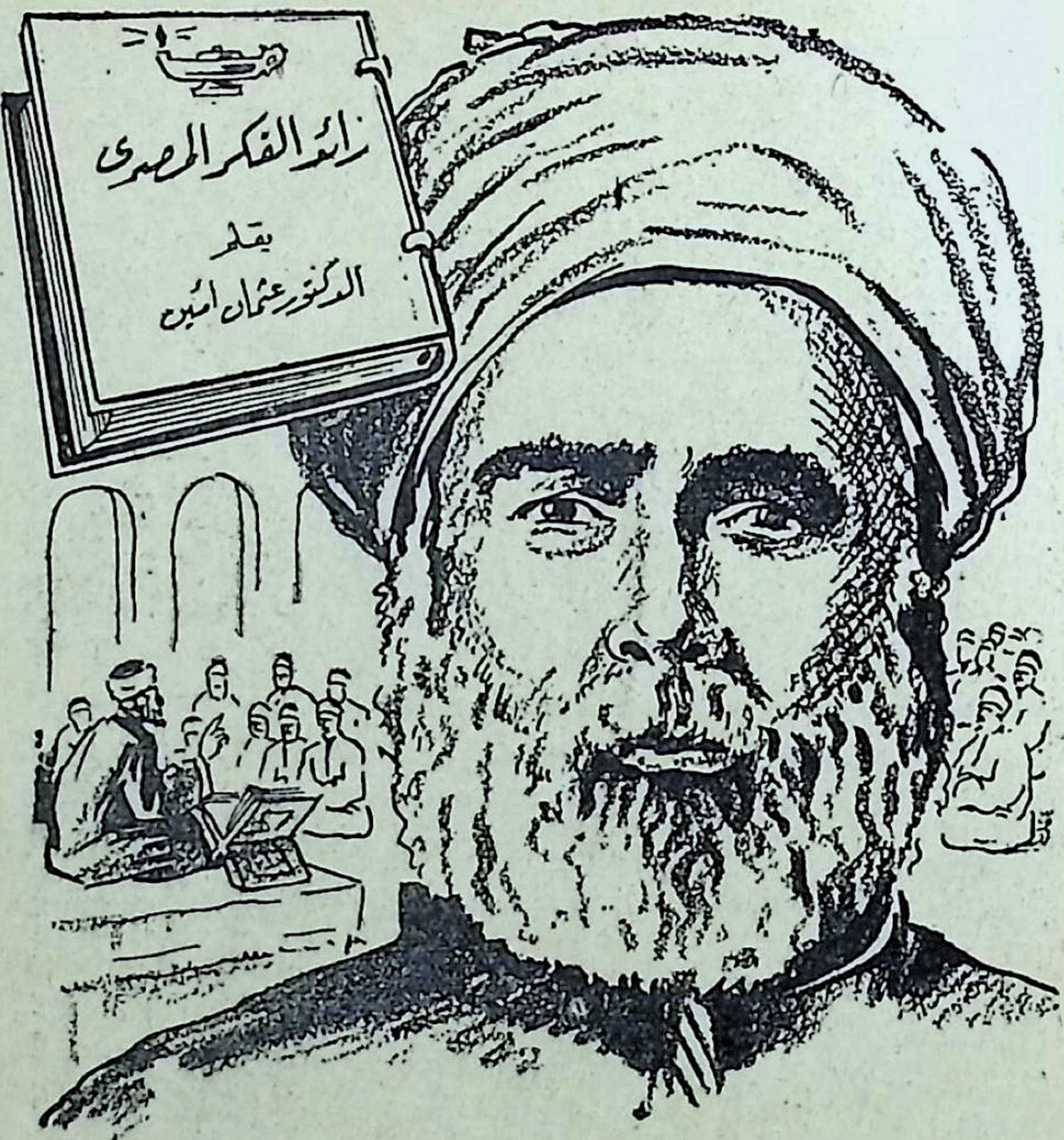

رائد الفكر المصري

محمد عبده

بقلم: الدكتور عثمان أمين

رجل الدين الذى دعا لاصلاح الدنيا !

◆ عاش ٥٧ سنة ، قضى اولها فى التعلم ، ووسطها فى التعليم ، وآخرها فى اعلان الدين ونفع المسلمين .. وامتدت جهوده فى الشرق والغرب ، حتى اعتبر من كبار فلاسفة العصر الحديث . ولكن رسالته الدينية لم تشغله عن الجهاد القومى ، فكان فى مقدمة الزعماء الذين ايقظوا مصر من سباتها الذى أسلمها اليه الاستعمار وأسرة محمد على .. وكان اول صوت ارتفع فى مصر الحديثة يدعو لنشر العدالة الاجتماعية بين الطبقات ، ونشر الثقافة بين الفقراء .. وكان يرى أن التربية هى السبيل للاصلاح السياسى ، وان لابد من تطهير المناصب الحكومية من ضعاف النفوس ومحترفى السياسة ، لكى يقدر لمصر ان تنهض ..

هذا هو الأستاذ الامام «محمد عبده» .. فتعال نزدد به معرفة ، خلال هذا التلخيص لكتاب «رائد الفكر المصرى» ، الذى وضعه أخيرا الدكتور « عثمان أمين »

الشيخ الذى كان يتكلم بالفرنسية !

◆ **كانت** شخصية « محمد عبده » ذات طابع خاص يميزها عن شخصيات الشيوخ المنعزلين ، حتى لقد كان الكثيرون يعترضون عليه فيقولون : « ما هذا الشيخ الذى يتكلم باللغة الفرنساوية ، ويسيح فى بلاد الافرنج ، ويترجم مؤلفاتهم ، وينقل عن فلاسفتهم ، ويباحث علماءهم ، ويفتى بما لم يقل به أحد من المتقدمين ، ويشترك فى الجمعيات الخيرية ، ويجمع المال للفقراء والمنكوبين ؟! .. ان كان من أهل الدين فليقض حياته بين الجامع والبيت ، وان كان من رجال الدنيا ، فانا نراه يعمل فيها وحده أكثر من جميع الناس » !

ووصفه مستشرق أمريكى كبير فقال : « **كان محمد عبده فلاحا صميما ، وليد تربة مصر العريقة ، قبل أن يغدو مفتيا واماما للمسلمين . واننا لنلمح فى اخلاصه لهذه التربة ، وفى دعوته الى الوطنية ، مزاجا عجيبا من الوفاء للماضى المجيد ، والاستمساك بيقين الدين ، والولاء لوطنية الفلاح** » !

حياة حافلة بالأعمال

• **وكانت** حياته ـ مثل شخصيته ـ خصبة حافلة ، اذ صنعها بقلبه ورأسه ويده ، كما يصنع الفنان الممتاز تحفة رائعة ! .. كانت أعماله وفيرة منوعة ، اذ لم يكل يوما عن الفكر والعمل ، منذ شبابه الباكر الى أن صار شيخا اقترب من الستين .. فكان يطالع ويتعلم ، ويحرر الوقائع المصرية ، ويلهم الثورة العرابية ، وينشر دعوة « العروة الوثقى » ، ويشتغل بالقضاء فى المحاكم ، ويعلم فى الازهر ، ويصدر الفتاوى فى الشئون الدينية والاجتماعية ، ويشترك فى جلسات مجلس شورى القوانين ، وفى مجلس الأوقاف الأعلى ، ويشرف على أعمال الجمعية الخيرية الاسلامية ، ويضع مشروعات الاصلاح للأزهر والمحاكم الشرعية ، ويؤلف الرسائل الدينية ، وينشر المقالات الفلسفية ، ويفسر القرآن الكريم ، ويدافع عن الاسلام ويرد على منتقديه ، ويراسل علماء المسلمين ، ويصادق أفاضل الغربيين ، ويسعى الى البر واغاثة المنكوبين منفقا من ماله الخاص

الشرقى الذى أكبره الغربيون !

• **وكان** طلعة ، واعيا ، حر الفكر ، واسع الأفق ، محيطا بأهم ما تنتجه قرائح المفكرين الغربيين ، وقد استكمل ثقافته برحلات عديدة فى افريقيا وأوروبا

وكان له أصدقاء عديدون ، شرقيون وغربيون ، كما كان يراسل بعض المفكرين الاوروبيين مثل « جوستاف لوبون » ، و « هربرت سبنسر » ، و « تولستوى » . وقامت بينه وبين « ولفرد بلنت » صداقة متينة . وكان المستشرق البريطانى « ادوارد براون » شديد الاعجاب بالمفتى ـ محمد عبده ـ حتى انه قدم الى مصر ليشهد دروس التفسير التى كان يلقيها فى الأزهر !

وتتمثل شمائله فى : الوفاء ، والشجاعة ، وكرم النفس ، وحب الخير ٠٠ وقد اتهم بعد هزيمة « عرابى » بأنه أفتى بوجوب قتل الخديو لخروجه على اجماع الأمة ، فزج به فى السجن رهن التحقيق ، حيث عانى تجربة مرة قاسية ، بسبب انقلاب بعض الاصدقاء عليه اثناء المحاكمة ، الأمر الذى ملأ نفسه كراهية للاحتلال ٠

وكذلك كان صريح النفس ، مستقيم الضمير ، شديد الاعتزاز بكرامته ٠٠ وحياته حافلة بآيات الشجاعة والوطنية ٠٠ وقد حدث مرة أن أصدر الخديو « عباس الثانى » أمرا شفويا الى شيخ الأزهر بأن يوجه كسوة تشريف من الدرجة الأولى الى شيخ لم يكن من كبار العلماء ، وانما كان الامام الخاص للخديو ، فلم ينفذ هذا الأمر لمخالفته لقرار مجلس ادارة الأزهر ، مما أدى الى استياء الخديو ٠ ولما جاء موعد التشريفة الخديوية ، انتهزها الخديو فرصة ، فقال لشيخ الأزهر بلهجة التأنيب : « ألم آمرك بتوجيه كسوة الى فلان ؟ »

وتلعثم شيخ الأزهر ولم يدر بماذا يجيب ، فما كان من « محمد عبده » الا أن تطوع بالجواب ، فقال مخاطبا الخديو بصوت الشجاع الذى لا يهاب الحق : « **ان القرار الذى اتخذه مجلس ادارة الأزهر فى هذا الموضوع هو التنفيذ لأمر الخديو، لأنه مقتضى ما نص عليه القانون المتوج باسمه ٠٠ واذا شاء أفندينا أن يكون منح كساوى التشريف العلمية بمقتضى**

ارادته ، فليصدر بذلك قانونا جديدا ينسخ القانون القائم »
فاحمر وجه الخديو غضبا عندما سمع هذه الاجابة ، ووقف ايذانا للحاضرين بالانصراف !

عبادة مستترة ٠٠ واحسان مكتوم !

◆ **وكان** « محمد عبده » مسلما صادقا فى اسلامه ، ينطوى قلبه على تقوى متينة عميقة ، وبلغ ايمانه من الرسوخ واليقين حدا جعله ينفر من كل تظاهر أو مباهاة فى شئون الدين ، حتى ظن بعض السطحيين انه لم يكن دقيقا فى أداء فروضه الدينية ٠٠ وكان شاعر النيل حافظ ابراهيم أحد من ساورهم شىء من الارتياب فى عقيدة الأستاذ الامام ، ولكنه لما رافقه فى رحلته الى الوجه البحرى ، أدرك سوء ظنه ، حتى أشار الى ذلك فى احدى قصائده اذ قال :

وكم لك فى اغفاءة الفجر يقظة
نفضت عليها لذة الهجعات

كذلك كان الامام مطبوعا على الاحسان ، **فما كاد يشب حريق « ميت غمر » ، حتى قام بجولة طويلة فى مدن مصر ليجمع المال للمنكوبين ٠٠ كما ثبت انه كان يوزع جميع مرتباته من الأوقاف على الفقراء والمساكين ، ويبالغ فى كتمان احسانه عنهم** ٠٠ ذلك لأن حب الخير كان سجيته العليا ٠٠ وكانت الأخوة الشاملة ــ التى ألهمت أعاظم الصوفية ــ نبراسا منيرا له ٠٠ وقد كان الفضل لجمال الدين الأفغانى فى ذلك الانسجام النادر بين صوفية كلها باطنية ، وبين حاجة ملحة الى العمل !

الشيخ الذى أخرجه من سجن الجهل !

◆ **ولد** محمد عبده فى عام ١٨٤٩ ، بقرية (محلة نصر) ، من أبوين متوسطى الحال ٠ وتعلم القراءة والكتابة بمنزل

والديه دون أن يمر بالكتاب • وبعد أن جاوز العاشرة من عمره ، وأتم حفظ القرآن ، ذهب الى الجامع الأحمدى فى طنطا ، ليتم تجويد القرآن ودراسة قواعد اللغة العربية • الا ان منهج التعليم بالجامع الأحمدى كان وعرا شاقا ، حتى كاد الصبى يصاب باليأس ويشتغل بالزراعة ، لولا أن التقى بأحد أخوال أبيه – وكان اسمه الشيخ « درويش » – فاستطاع أن يروض جماحه ، وان يوجهه الى المعانى القدسية واللذائذ الروحية ، لأنه كان رجلا صوفيا طيب القلب •• وقد وصف «محمد عبده» الأثر الذى تركه الشيخ « درويش » فى نفسه فقال : « •• **تفرقت عنى جميع الهموم ، ولم يبق الا هم واحد ، وهو أن أكون كامل المعرفة ، كامل أدب النفس • ولم أجد اماما يرشدنى الى ما وجهت اليه نفسى ، سوى ذلك الشيخ الذى أخرجنى فى بضعة أيام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة** •• »

وكان الحادث الجلل فى شباب محمد عبده هو التحاقه سنة ١٨٦٦ بالجامع الأزهر – أهم مركز للثقافة الاسلامية – حيث قضى زهاء ثلاث سنين ، دون أن يجنى فائدة تذكر من الدروس التى كان يستمع اليها هناك ، فما لبث أن انصرف عن العلوم الأزهرية ، وتطلعت نفسه الى علوم جديدة •

يتتلمذ على جمال الدين الأفغانى

◆ **وألمت** به فى ذلك الحين أزمة نفسية جعلته ينقطع عن الدرس ، ويحاول أن يعتزل العالم ، ويمارس ضروب الزهد والرياضة • ولكنه اجتاز هذه الأزمة بفضل الشيخ «درويش» أيضا

وكان من حسن حظه أن التقى بالسيد جمال الدين الأفغانى ، رائد الحرية الدينية والسياسية فى نظر الشعوب الشرقية • وقد استطاع « محمد عبده » بفضل ما تلقاه عن

أستاذه « جمال الدين » من هداية روحية ، أن يتحول نهائيا عن طريق الزهد ، وأن يقبل على الحياة العاملة اقباله على دراسة العلوم المختلفة كالفلسفة ، والرياضيات ، والكلام ، والأخلاق، والسياسة ، وغيرها مما لم يكن له مكان فى مناهج الأزهر

وهكذا اتجهت عقلية « المجاور » الأزهرى الشاب « محمد عبده » ، اتجاها جديدا ، حين احتكت بأفكار استاذه «الافغانى» ·· فقد كان التلميذ متعطشا للمعرفة والحقيقة ، وكان يحلم بالخير والعدالة ، فلم يفته أن يعلن حماسته لأستاذه فى باكورة مؤلفاته : « رسالة الواردات » ، التى ظهرت فى عام ١٨٧٤

وكان أهم ما استمده محمد عبده من أستاذه هو الميل الى الحرية ، ويقظة الوعى القومى ، فأخذ يمد بصره الى الآفاق البعيدة ، ويهتم بالعلاقات السياسية بين الشرق والغرب ، ويفكر فيما ينبغى لبناء الحياة الاجتماعية والسياسية فى العالم الاسلامى بناء جديدا

محمد عبده ·· العالم ، والصحفى !

◆ **وتقدم** « محمد عبده » فى عام ١٨٧٧ لامتحان العالمية فى الأزهر ، فظفر بالشهادة رغم الشكوك التى حامت حول اسمه· وتولى بعد ذلك التدريس فى الأزهر ، فأخذ يلقى دروسا فى المنطق والكلام والأخلاق · وامتازت دروسه هذه بمنهج جديد جمع حوله عددا عظيما من الطلاب ·

وفى هذه الفترة من حياته ، يبدو انه انضم الى فرع « ماسونى » ـ اسمه « كوكب الشرق » ـ كان يتبع « المحفل الماسونى الأعظم » فى بريطانيا ، ويحبذ تبادل الأفكار بين الواقفين على دخائل السياسة ، وينشىء بينهم رابطة من التعاون والتضامن · وكان هذا نواة للحزب الوطنى الذى أصبح له شأن عظيم فيما بعد

وفى عام ١٨٧٩ أصبح « محمد عبده » استاذا للتاريخ فى

مدرسة « دار العلوم » ، واستاذا للأدب فى مدرسة الألسن ، الى جانب استمراره فى القاء دروسه فى الأزهر !

واتجه « محمد عبده » - فى تلك الأثناء - الى النشاط الصحفى الذى حببه فيه من قبل أستاذه جمال الدين . وقد عين ، فى مستهل حكم الخديو توفيق ، محررا للجريدة الرسمية . وبعد قليل أصبح رجل الدين الأزهرى رئيسا لتحرير تلك الجريدة ، فدخلت فى عهد جديد من النشاط ، وبرز فيها اتجاه « محمد عبده » نحو الاصلاح الدينى والأخلاقى ، وكان فيها مصلحا ومعلما معا ، يسعى الى رفع مستوى الأمة ، وتقويم أخلاقها ، والنهوض بها من الناحية الاجتماعية ، فى تدرج وأناة . وكان يعتقد أن ذلك النهوض لا يتم ، الا اذا سلك قادتها سبيل التربية والتثقيف ، لا سبيل تقليد الغرب من غير فهم نافذ أو ادراك عميق ، ولا سبيل التمسك بظواهر المدنية المادية مع اغفال صميم المدنية الروحية !

موقفه من الثورة العرابية

◆ **وحدث** بعد ذلك انقلاب سنة ١٨٧٩ ، الذى أدى الى سقوط وزارة « نوبار » والوزراء الأوروبيين الآخرين . وكان من نتيجته تألب الجيش المصرى بقيادة « عرابى » على الضباط الأتراك والشراكسة .. ولم يكن محمد عبده فى أول الأمر مشايعا لعرابى - فقد كان يعتبره ناطقا بأفكار عسكرية بحتة - وانما كان يفضل قيام نظام للحكم مصحوب باصلاح داخلى تقدمى ، وسيلته الرئيسية هى نشر الثقافة وبث التربية الأخلاقية والسياسية الصحيحة التى تناسب قيام دستور حر

الا انه ازاء تطور الحوادث وتدفقها ، لم يستطع الا أن يسارع الى شد أزر العرابيين الثائرين ، حتى صار أحد الرؤوس المدبرة لشئون الحكومة الوطنية . وفى المرحلة التى صاحبت تاليف وزارة « البارودى » ، وضرب الانجليز للاسكندرية ، ثم

اشتباك الجيش المصرى مع الجيش البريطانى ‥ فى هذه المرحلة من حياة الثورة المصرية ، أخذ « محمد عبده » يناضل فى عزيمة واخلاص ، فى سبيل حرية الشعب المصرى واستقلاله فى الداخل والخارج •

جهاد فى فرنسا وانجلترا !

◆ **واتهم** « محمد عبده » ـ بعد فشل عرابى ـ بالتآمر مع رجال الثورة ، فحكم عليه بالسجن ثم بالنفى ثلاث سنوات ، فاختار سوريا منفى له ، ورحل اليها فى عام ١٨٨٣ ، ولكن اقامته لم تطل فيها ، اذ دعاه أستاذه « جمال الدين الأفغانى » الى اللحاق به فى باريس ، فلبى الدعوة ‥ وهبط أرض فرنسا لأول مرة ، فى مستهل عام ١٨٨٤ ‥ **وهناك عمل مع استاذه على تأسيس جمعية وصحيفة باسم « العروة الوثقى » ، للدعوة للجامعة الاسلامية ، والدفاع عن الشرق ، ومكافحة التسلط الأجنبى والطغيان الداخلى ، وانقاذ مصر من الاحتلال البريطانى بوجه خاص •**

وكانت « العروة » أول صحيفة عربية ظهرت فى أوروبا • وكان مكتب تحريرها ندوة لجميع الشرقيين ـ سواء المقيمين هناك ، أو الزائرين ـ فكنت ترى فيه : جمال الدين ، ومحمد عبده ، والصحفى الثائر « يعقوب صنوع » ، والفارسى الغريب الأطوار « مرزاباقر »

ويبدو أن اقامة « محمد عبده » فى باريس ـ فى هذه المرة ـ لم تتح له أن يألف الحياة البازيسية ، أو أن يتعلم اللغة الفرنسية ، اذ كان يقضى النهار كله منهمكا فى أعمال المجلة ، ولم يكن يقابل غير الشرقيين • ولكنه مع ذلك تمكن من زيارة انجلترا فى بداية صيف ١٨٨٤ ، حيث استقبله صديقه «ولفرد بلنت» ، الذى يسر له مقابلة بعض رجال السياسة وأعضاء

البرلمان البريطانى ، كما عاونه على ابلاغ صوته الى الرأى العام البريطانى عن طريق الصحافة ..

وكانت « العروة الوثقى » قصيرة الأجل ، لأن الانجليز حالوا دون توزيعها فى البلاد العربية

جمعية سرية للتقريب بين الأديان !

• **واضطر** محمد عبده الى مغادرة باريس فى عام ١٨٨٥ ، فسافر الى بيروت ، التى كانت تعتبر مركز الثقافة العربية . وهناك ، عهد اليه بالتدريس فى المدرسة السلطانية ، فألقى فيها دروسه المشهورة فى علم الكلام .. تلك الدروس التى كانت أصلاً لرسالته عن الله ، وهى « رسالة التوحيد » . ولم تكن تفوته فى بيروت فرصة الا انتهزها ، ليبين علة تأخر الشرقيين ، وليدعو الى العناية بدراسة العلوم البشرية ، مع الحرص على تعاليم الأخلاق والتربية الدينية .. **على ان جهوده لم تقتصر على التعليم ، بل انه ألف جمعية دينية سرية ، كان من أهدافها التقريب بين الأديان الثلاثة الكبرى . وقد انضم الى هذه الجمعية القس « اسحاق تيلر » - راعى الكنيسة الانجليزية - الذى نشر فى لندن عدة مقالات تحدث فيها عن الاسلام حديثا مشبعا بروح الود**

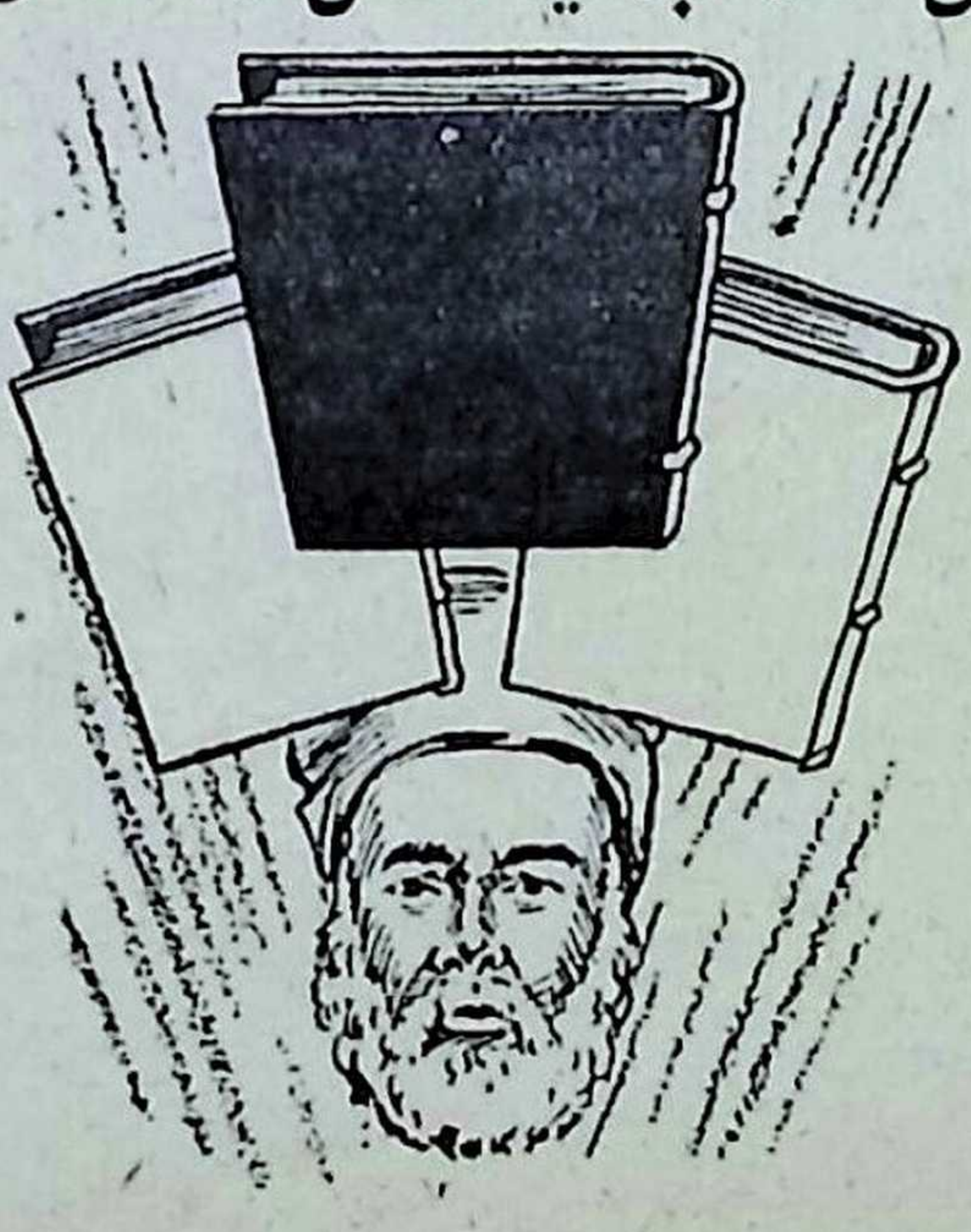

ويبدو ان نشاط «محمد عبده» فى هذه الجمعية فسر فى تركيا تفسيرا سياسيا يناقض مصالح الخلافة العثمانية ، مما حدا بالسلطان عبدالحميد الى السعى لدى الحكومة البريطانية لاصدار العفو عن الشيخ المصرى ، ودعوته الى مغادرة بيروت !

تحرير الفكر والتجديد .. دائما !

◆ وعاد « محمد عبده » الى مصر فى عام ١٨٨٨ ، فعين قاضيا بالمحاكم الشرعية ، ثم مستشارا فى محكمة الاستئناف . وقد عرف فى هاتين الوظيفتين باستقلال الفكر .. وكان يتوخى فى أحكامه تربية الجمهور وايقاظ ضميره ، واصلاح ذات البين بين العائلات

ثم عين عضوا بمجلس ادارة الأزهر ، فداب على السعى الى رفع المستوى الثقافى والمادى والأخلاقى لهذه الجامعة ، ووضع لذلك مشروعه الاصلاحى المشهور الذى لم يستطع تنفيذه لكثرة ما وضع فى طريقه من عقبات

وما لبث ان عين مفتيا للديار المصرية ـ فى سنة ١٨٩٩ ـ فاضفى على المنصب سناء ومهابة ، ولم يقتصر على الافتاء فيما كان يحال اليه من مسائل ، بل وسع اختصاصه وزاد من نفوذ المنصب الكبير .. وكان فى ذلك الحين يلقى دروسا فى تفسير القرآن ، انبعثت فى كل كلمة منها روح عصرية ودعوة الى التحرير والتجديد

واشهر فتاوى « محمد عبده » ثلاث : الأولى تبيح للمسلمين ادخار أموالهم واخذ الفوائد والأرباح عليها ، والثانية تبيح لهم ان ياكلوا من ذبائح غير المسلمين ، والثالثة تبيح لهم ان يتزيوا بزى غير زيهم التقليدى !

وقد سببت هذه الفتاوى كثيرا من المجادلات، وأثارت سخط الشيوخ المتزمتين، وجلبت على المفتى ضروبا من القدح والتشهير لم تكن الدوافع اليها دينية خالصة فى أكثر الأحيان !.. على ان فتاويه جميعا امتازت بالميل الى التسامح ، واستقلال الرأى ، والبعد عن التقليد ، والملاءمة بين روح الاسلام ومطالب الحياة العصرية

وفى ٢٥ يونية ١٨٩٩ عين « محمد عبده » عضوا فى « مجلس شورى القوانين » ، فسار على سياسة ترمى الى تربية الرأى العام فى مصر ، وتعويد الأمة دقة البحث ، والسمو عن الأشخاص والأغراض الخاصة ، واستهداف المصالح الوطنية الكبرى .

وقد عمل الشيخ عن طريق الجمعية الخيرية الاسلامية ـ التى كان من أوائل مؤسسيها ـ على تحقيق اصلاح اخلاقى اجتماعى يذكى روح الاعتماد على النفس، والتعاون بين أفراد الأمة ، والاحسان على الفقراء بنشر الثقافة بينهم .. وكان صوته أول صوت ارتفع فى مصر الحديثة مناديا بنشر مبادىء العدالة الاجتماعية حتى يستتب السلام بين الطبقات .. واليه يرجع الفضل فى انشاء مدرسة القضاء الشرعى ، والعمل على اصلاح المحكمة الشرعية .. كما أسس جمعية « احياء الكتب العربية القديمة »

معركة بين الامام ووزير فرنسى !

◆ وحدث فى عام ١٩٠٠ ان نشر وزير خارجية فرنسا ـ وكان يدعى

« جيبرييل هانوتو » ـ مقالا فى صحيفة « الجورنال » الباريسية ، بعنوان : « موقفنا من الاسلام والمسالة الاسلامية » • فلما ترجم المقال فى جريدة « المؤيد » ، بادر الأستاذ الامام بالرد عليه ، مفندا ما زعمه « هانوتو » من فوارق بين المسيحية والاسلام فيما يتصل بطبيعة الله ، والقدر ، وحرية الافعال، كما أنكر ما زعمه « هانوتو » من قيام التعارض بين الساميين والآريين ، ولامه فى النهاية لاستخدامه معلوماته التاريخية فى محاولة التاثير على افكار الفرنسيين الذين لا يعرف معظمهم الاسلام على حقيقته !

وقد اشتهر هذا الرد ، كما اشتهر ايضا رد الامام على « فرح انطون » ، الذى نشر مقالا عن الفيلسوف « ابن رشد » ، قال فى سياقه ان المسيحية ارحب صدرا من الاسلام فى مواجهة العلماء والفلاسفة •

الدعوة لانشاء الجامعة المصرية

◆ وبدأ محمد عبده ـ منذ ١٩٠٥ ـ فى نشر الدعوة لانشاء جامعة مدنية الى جانب جامعة الازهر •• ولم يقنع بالتفكير ، بل خرج بشروع الجامعة المصرية الى التنفيذ ، فاقنع احمد المنشاوى (باشا) بان يوقف لبناء الجامعة قطعة ارض فى احدى ضواحى القاهرة • ولكن موت المنشاوى باشا اوقف المشروع

وفى ١١ يوليو سنة ١٩٠٥ توفى الشيخ محمد عبده ، وهو فى اوج نشاطه•• وكانت وفاته حدادا عاما للبلاد الاسلامية •• وكتب على قبره :

« حياته سبعة وخمسون عاما ، قضى أولها فى التعلم ،
وسطها فى التعليم ، وآخرها فى اعلاء الدين ونفع المسلمين »

محمد عبده والسياسة

◆ كان العصر الذى عاش فيه « محمد عبده » ، عصرا مليئا بالأحداث ، مثيرا للخواطر ، فلم يكف الرجل عن ابداء رايه فى المشكلات العصرية الكبرى من سياسية واجتماعية •• وقد ناصر ـ فى البداية ـ النظام الديمقراطى البرلمانى ، الا أن تتابع الأحداث السياسية فى مصر ، لم يكن من شانه ان يمكن الامام من البقاء على آرائه الأولى ، فان مساوىء الحكومات ، وجهل الشعب ، والفوضى العقلية ، والانحطاط الأخلاقى الذى ساد البلاد عقب الاحتلال الانجليزى ، وانهيار سياسة « جمال الدين الأفغانى » لتحرير الشعوب الاسلامية من الاستعمار •• كل هذه التجارب جعلت المفكر الوطنى يرى فى الأفق البعيد نموذجا آخر للحكم ، أكثر ملاءمة لحال البلاد ، وادنى الى تحقيق آماله فى اصلاح امرها •

ومنذ ذلك الحين ، اتجهت آراء الامام بالتدريج نحو نظام خاص من الحكم المطلق .. وله فى هذا الموضوع كلمة ماثورة هى : « لن ينهض بالشرق الا حاكم مطلق عادل »

وكان محمد عبده يرى ان الاصلاح الأخلاقى يجب أن يسبق الاصلاح السياسى ، بل قد يغنى عنه .. وكانت وسيلته الى الاصلاح السياسى هى التربية ، واعداد جيل جديد قادر على القيام بما يعهد اليه من بعث الروح فى المجتمع المصرى .. ولكن بعثا كهذا لا يمكن أن يتم - فى رايه - الا على يد حاكم قوى ، نزيه ، عادل ، شجاع ، عالم ، حازم ، اصيل الراى

وكان يرى انه ينبغى الشروع فى تطهير واسع يتناول اهل النفوس الضعيفة، ومحترفى السياسة ، والفاترين والمتخاذلين ، والمهرجين ، والديماجوجيين ، فيقصيهم عن مناصب الحكومة ذات المسئولية ، ليفسح المجال لأهل الارادة القوية ، والتصميم الحازم ، والضمير الحى .

وكان يرى أن تمثيل الشعب فى المجالس النيابية - على النمط المعروف فى البلاد الغربية - ليس له معنى الا اذا اجتمعت كلمة الأمة على غاية واحدة ، والا اذا بذل المواطنون جهودهم فى سبيل المصلحة العامة

وما دامت الأمة ممزقة الأوصال ، مشتتة الأهواء .. وما دامت احزابها السياسية خاضعة فى تصرفاتها لمآربها الشخصية ، وما دام افراد الطوائف المختلفة يعوزهم الوعى العام ، فالتمثيل النيابى حديث خرافة ساقه الوهم !

فلسفة « محمد عبده » فى الاجتماع والدين

◆ فسر « محمد عبده » اصل الجماعة وطبيعتها ، فميز فى ذلك ثلاثة مبادىء اساسية : (أولها) الغريزة الاجتماعية التى تحدث عنها ارسطو فى كتاب « السياسة » ، وهى الغريزة التى تدفع الناس الى العيش مجتمعين ، وهو يوافق « ارسطو » فى ان الدولة ليست موجودة بالعرف والمواضعة فقط ، وانما لها جذورها فى الطبيعة الانسانية ، و (ثانيها) مقارنة الجماعة بالبدن الحى ، وهى مقارنة شائعة فى الكتابات الفلسفية الكلاسيكية ، و (ثالثها) طابع الفطرية فى الدين الذى هو لازم للاخلاق وحفظ الجماعة

وقد اقام الأستاذ الامام تصوره للاسلام على نوع من فلسفة التاريخ . وترينا نظريته الطريق الطويل الشاق الذى سلكته الانسانية فى معتقداتها ، قبل أن تصل الى كمال الدين الأخير ، الذى هو الاسلام ..

ويرى « محمد عبده » أن الجماعة الانسانية - وقد اعدتها التجارب والحوادث الماضية - استطاعت فى المرحلة الأخيرة أن تصل الى نضجها ورشدها ، فظهر دين يخاطب العقل ويشركه - مع العواطف والاحساس - فى ارشاد الانسان الى سعادته الدنيوية والأخروية ، فاستطاع أن يوفق بين العقل والطبيعة ، ومن

أجل ذلك سمى بدين الفطرة • والاسلام دين عقلى الى أعلى درجة ممكنة ، الأمر الذى مكنه - فى نظر الفيلسوف - من أن يحرر العقول من رق التقاليد •

اما حركة الاصلاح الدينى - التى أصبح اسم محمد عبده عنوانا عليها فى العالم الاسلامى - فلم تكن فى ذهن المصلح الا وسيلة لتحقيق غاية •• وهذه الغاية هى : « الاصلاح الأخلاقى »

يعلن حقوق المفكر الحر !

◆ منذ تلقى « محمد عبده » العلم فى الأزهر وتأثر بأستاذه جمال الدين الأفغانى ، انصرف الى دراسة الفلسفة العقلية ، والى دراسة اللاهوت التقليدى الاسلامى ، أى علم الكلام •• وعنى بابن سينا والفلسفة الصوفية الاسلامية ، وكان « محمد عبده » فى نظر معاصريه فيلسوفا حقا ، أى حكيما من حكماء الاسلام ، ويصفه «ولفرد بلنت» - الذى عرفه أكثر مما عرفه أى أوروبى آخر - بأنه « الفيلسوف الوطنى الكبير »

وكانت الخطوة الأولى لمحمد عبده الفيلسوف هى تنبيه الوجدان ، وايقاظ الضمير ، فقد سخط على ضيق النظر والافتقار الى روح النقد ، وتقلب الآراء ، وعقم المناقشات بين أهل الدرس • وأعلن حقوق المفكر الحر •• ولم يكف فى جميع أقواله ومؤلفاته عن مهاجمة « التقليد » ، أى تقبل آراء الغير دون المطالبة بالدليل ، ومن أجل هذا نراه دائما يشيد بمبدأ الاجتهاد • وقد ذهب فى ذلك الى حد القول بأن انعدام البحث والنظر النافذ يعدل انعدام الاعتقاد والايمان •

على ان الامام محمد عبده كان مقتنعا اقتناعا راسخا بأن الدين والعلم متى فهما على الوجه السليم ، لا يمكن أن يكون بينهما خصومة أو نزاع • والواقع ان « محمد عبده » لم يجار - فى ذلك - مالوف الناس فى بيئته ، فقد كانوا يميلون الى فصل العقل عن الايمان ، وكانت الفكرة الغالبة يومئذ ، ان لكل من الفلسفة والدين مجاله الخاص ، وانهما لن يربحا شيئا اذا تخطينا الحدود التى تفصل بينهما ! •• وكان يرى ان الفلسفة هى طلب الحق والخير فى الاعتقادات وفى الأعمال ، وان المنطق هو العلم الذى يكفل للنفس البشرية الوسيلة لبلوغ الحق واليقين • وهو يصرح : « انما ينتفع بالمنطق ، الذى هو علم الفكر ، من كان له فكر • وان فكرا يكون مقيدا بالعادات ، مستعبدا للتقليد ، لهو فكر ميت لا شأن له ولا حياة » !

محمد عبده الناقد

◆ انتهت زعامة الفكر فى مصر - فى أوائل هذا القرن - الى الأستاذ الامام « محمد عبده » ، فاشتغل بالتجديد الدينى ، والاصلاح الاجتماعى ، وكان - بحق - رجل علم وعمل ، ورجل دنيا ودين •• اذ راح يهاجم ما يخالف الصواب من أخلاق وعادات شائعة سواء بين عامة الناس أو علماء العصر •

وفى الجانب العقلى ، وجه « محمد عبده » شديد النقد للمشتغلين بالعلم فى عصره ، وكثيرا ما نعى عليهم جهلهم وضيق عقولهم · كما نعى على الفقهاء تزمتهم وتشبثهم بحرفية النصوص ، وحملهم تبعة ما وصل اليه المسلمون من قلة الاكتراث بدينهم ، ونعى على العلماء افتقارهم الى روح النقد والتمحيص ، وتمكن الخرافات والأوهام من أكثرهم ·

وقد غدا النقد الذى وجهه الأستاذ الامام الى التعليم فى الأزهر أمرا معروفا ، اذ عاب عليه قصوره من حيث الشكل والموضوع أو من حيث الطريقة والمادة ، لأن العلماء كانوا ينفقون السنوات الطوال فى وضع الحواشى على شرح لنص من نصوص مؤلف قديم ، وهم يفسرون العبارات والعلاقات بين الألفاظ فى اسهاب كثير ·· واستنكر هذا اللون من الثقافة المدرسية التى تنمى الذهن دون أن تقوى الشخصية ، وتدفع الى الجدال دون الانتاج ، والى القول دون العمل !

أما فى الجانب الاخلاقى ، فقد رأى الاستاذ الامام أن ضعف المسلمين مصدر جمودهم وقصورهم عن فهم الأركان الأساسية للأخلاق الاسلامية ، وانهم فقدوا الايمان بالله « لأنهم أخذوه اسما واكتفوا به علما ورسما » ! ·· وكان يعيب عليهم ان ليس بينهم ما يدل على تضامن فى البحث عن الحق والخير ·· وانهم فقدوا الثقة فى أنفسهم ، ولم يعد لديهم أمل فى نهوض بلادهم ، ونشأت عن هذه الحال النفسية آفات التردد وفتور الهمة ، وضعف العزيمة ، وفساد العمل ·· وهذه الآفات تبتدىء من البيت وتنتهى الى الامة ، وتمر فى كل طبقة وتجول فى دوائر الحكومة !

الفرار من الجندية جهل بالدين !

◆ وفى الجانب الدينى ، أخذ « محمد عبده » على المسلمين أنهم زيفوا تعاليم دينهم ، وكان يندد بما درج عليه العلماء من شكلية وتزمت وانشغال - يبلغ حد المرض - بملاحظة أدق التفاصيل فى العبادات كالوضوء والصوم ، كما كان ينعى عليهم استخدام المعارف الدينية فى أغراض نفعية · أما عقائد العامة فكان « محمد عبده » يرى انها الفاظ لا تمت الى الدين بسبب : فهى عند الجمهور عود الى العقائد الجبرية ، بالقول انه لا حرية ولا اختيار للانسان فيما يفعله ، وانما هو مجبر فيما يصدر عنه جبرا محضا ، فلهذا لا يؤاخذ على ترك الفرائض ولا اقتراف السيئات !

ووجه الاستاذ الامام أعنف نقد الى البدع المذمومة التى كانت منتشرة بين المسلمين فى عصره ·· وقد كتب إبان نفيه فى بيروت : « ان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف طبقاتهم ، الا من عصم الله ، وهم

قليلون . ولهذا تراهم يفرون من الخدمة العسكرية ، ويطلبون للتخلص منها اية حيلة ، وهى من اهم الفروض الدينية المطلوبة منهم . ونرى المسلمين يبخلون باموالهم اذا دعت الحال الى مساعدة الدولة والانفاق على مصالح الأمة ، ولا يبخلون بذلك على شهواتهم ، بعكس ما نرى فى سائر الأمم »

معنى الدولة لدى الحاكم والمحكوم

◆ اما فى الجانب الاجتماعى فان « محمد عبده » يوجه اللوم الى رجال الفكر فى عصره لأنهم لم يقدموا على اى محاولة لاصلاح مجتمع هم أعلم الناس بما يشوبه من عيوب . وكان يدعو الاغنياء الى المساهمة فى المشروعات العامة ، ويهيب بالمصريين ان يتضامنوا فى جميع امور الحياة

ولاحظ « محمد عبده » أن المسلمين أساءوا فهم معنى الطاعة للسلطة الحاكمة، فالقوا كل شأن من شئونهم على عاتق الحكومة ، معتقدين انهم غير ملزمين بان يعاونوها من جانبهم الا بدفع الضرائب التى تفرضها عليهم . واما صورة الدولة فى أذهان الحكام فلم تكن خيرا منها فى اذهان المحكومين ، اذ انهم لم يفهموا من معنى الحكم الا تسخير الناس لأهوائهم ، واذلال الناس لسلطانهم ، وجمع الثروة وابتزاز الأموال لانفاقها فى ارضاء شهواتهم ، لا يرعون فى ذلك عدلا ولا قانونا حتى افسدوا اخلاق العامة ، بما حملوها على الكذب والنفاق والغش .. وكانوا اسوأ مثل يقتدى به الشعب !

وهكذا كان موقف محمد عبده من اصلاح المجتمع المصرى غاية فى الوضوح . فقد اقتنع اقتناعا يقينيا بأن التقدم الصحيح هو تقدم العلم والتربية والاخلاق ، وان هذا التقدم لن يكون ثابتا باقيا الا اذا سار وئيدا أكيدا .. ومن هذا نفهم لم أقلع « محمد عبده » عن الأساليب الثورية العنيفة التى نادى بها استاذه « الأفغانى »

حرية الارادة عند محمد عبده

◆ وقد ناصر « محمد عبده » نظرية « حرية الارادة » مناصرة متصلة .. ونهض محتجا على القائلين باننا لا يمكن ان نغير شيئا مما كتب علينا فى لوح العالم الآخر ، ولذلك فلا فائدة من العمل ، ومن الخير ان نسلم امورنا الى المقادير دون ان نفرض على أنفسنا جهودا مقضيا عليها بالضياع . وقال الاستاذ الامام : « ان الله لم يامرنا ان نهمل واجباتنا بحجة التوكل عليه ، فان مثل هذا لمن سخف الراى ، ولا يمكن ان يحتج به الا قوم لا اخلاق لهم ولا دين » ! .. ومضى فى حماسته للحرية ، وحملته على الجبر ، قائلا : « ان جزءا من اعمالنا منسوب الى الارادة ، وذلك ما يسمى بالكسب ، وهو مناط الثواب والعقاب »

ويلاحظ ان « محمد عبده » كان فى شبابه ماخوذا بسحر التصوف ، ولكنه سرعان ما اقبل على الحياة العاملة ! ٠٠ وكان كلما زاد شعوره بما عليه من رسالة فى نهضة بلاده وايقاظها ، زاد اعراضه عن نوع حياته الاولى ، حتى افضى به الامر الى مناهضة الصوفية فى مختلف صورها وميولها ٠٠ عاملا على اقامة فلسفة اسلامية قوية تدعو الى تعاليم الحرية ، وتبعث اخلاق الصبر والجهد والعمل ، فتوقظ العالم الاسلامى من النعاس والكلال والجمود ٠

الخير والشر فى الحياة

◆ **وقد** عالج محمد عبده – أولا – الجمال فى الاشياء المحسوسة ثم فى الاشياء المعقولة، وأخذ – بهذا الاعتبار – يوازن بين الحسن فى مختلف مجالات الفن والعلم والاخلاق ٠ والمعنى الاول للحسن – فى نظر محمد عبده – هو الكمال ، وللقبح هو ١
النقص ، سواء فى الأمور الأخلاقية أو فى الأمور العقلية ٠ والمعنى الثانى للحسن هو علاقة الملاءمة ، اما لطبيعتنا ، واما للأغراض التى يستهدفها العقل ٠ أما الملاءمة لطبيعتنا فهى ما يلذ لنا ٠ وأما الملاءمة للاغراض التى يستهدفها العقل فهى النافع بمعناه الواسع ٠ والمعنى الثالث للحسن والقبح هو ما ينطبق على الممدوح والمذموم ٠ ويقول محمد عبده ان الانسان يجد هذا التمييز فى نفس وجدانه ، فانه – بما فطر عليه من حس وعقل – قادر على التمييز بين الحسن والقبح فى جميع معانيهما ، دون انتظار لما يقضى به العرف أو ما يأمر به الشرع !

فالتمييز بين الخير والشر – فى نظر « محمد عبده » – شأن من شئون العقل دون معونة من العقيدة ٠ والعقل فى نظره يستطيع أن يهدى الانسان الى مدى بعيد جدا فى طريق الأخلاق ٠

واذا كان « محمد عبده » – فى نظريته عن الخير – حريصا على بيان ما للعقل من دور هام ، فذلك لأنه يرى أن موقفا كهذا ، له فى مجال الأخلاق والاجتماع نتائج عملية بعيدة

المدى • وأكبر الظن ان المصلح المصرى كان يرمى بمحاولته هذه الى أن يساهم فى اعادة وتوطيد أركان مبدأ الاجتهاد فى الرأى، والحرية في البحث ، فى ربوع العالم الاسلامى

أربع مدارس فكرية واصلاحية

◆ ولا شك فى أن «محمد عبده» هو الذى أمد التفكير المصرى بالوحدة والانسجام ، وطبعه بطابع الدقة والتحديد ، وهو الذى استطاع بقوة شخصيته وكتاباته أن يكون مصدر وحى لرجال السياسة والاجتماع والدين والفلسفة فى مصر ، فنشأت بفضله أربع مدارس مهمة : اجتماعية ، وسياسية ، ودينية ، وفلسفية

أما فى المدرسة الاجتماعية فان الأستاذ الامام كان من أشد الناس حرصا على تثقيف الفتيات المسلمات ، وكان يرى أن الاسلام فى حقيقته يؤيد مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق ، وانه يحرم تعدد الزوجات ، وانه اذا كان بعض المسلمين يسيئون الى المرأة أو يهملون شأنها ، فما ذلك الا نتيجة جهل بأهداف الشريعة السمحاء •

واذا كان محمد عبده لم يستطع أن يحقق ذلك الاصلاح الاجتماعى الذى كان يصبو اليه ، فقد تعهده أحد أصدقائه ومريديه وهو « قاسم أمين » ونهض بالدعوة اليه فى حماسة لا تفتر

وأما المدرسة السياسية التى تنتمى الى الأستاذ الامام فقد قال عنها « كرومر » فى تقريره الذى أذاعه عام ١٩٠٦ : « ان أنصار محمد عبده لا يقلون وطنية عن غيرهم ممن ينتمون الى مدرسة تختلف عنهم فى مذهب النظر ومنهج العمل ٠٠ ان هدفهم هو اصلاح النظم الاسلامية دون المساس بالدعائم التى تقوم عليها العقيدة ٠٠ انهم وطنيون حقيقيون ، بمعنى انهم يعملون جادين لخدمة اخوانهم فى الوطن والدين ، ويجاهدون

لاشراك بلادهم فى تقدم المدنية الاوروبية · وعندى أن الرجاء العظيم فى ازدهار القومية المصرية معقود على أنصار هذه المدرسة »

ولقد تحققت نبوءات « كرومر » حين أصبح على رأس هذه المدرسة أقدم تلاميذ الامام وهو : **سعد زغلول**

وأما المدرسة الدينية فان الشيخ « الأحمدى الظواهرى » كان من أبرز تلاميذها ، وهو أحد ثلاثة من كبار تلاميذ الأستاذ الامام الذين أسندت اليهم مشيخة الأزهر فى النصف الأول من القرن العشرين ، والآخران هما : «محمد مصطفى المراغى» ، و « مصطفى عبد الرازق »

وأما فى المدرسة الفلسفية ، فان ألمع الأسماء هو «مصطفى عبد الرازق » ، الذى كان من خاصة تلاميذ الامام محمد عبده ، وأقربهم اليه بروحه وعقله · ولهذا فقد جاهد بقلمه ولسانه وحياته العملية لخدمة الدعوة الاصلاحية ، ونشر الحرية الفكرية التى نهض بها الأستاذ الامام !

أول موجه لحركات التجديد فى العالم الاسلامى

◆ **وقد تأثرت** البلاد الاسلامية الأخرى بالأستاذ الامام ، وكان فى مقدمتها سوريا ·· اذ استطاع الرجل ـ ابان نفيه ومقامه فى بيروت ـ أن يجذب اليه عددا من الأصدقاء والمريدين، منهم : شكيب ارسلان ، ورشيد رضا ، وكرد على ·· وفى تركيا قام « محمد عاكف » الشاعر الاسلامى المشهور بترجمة بعض مؤلفات « محمد عبده » الى اللغة التركية · والمعتقد أن ثمة علاقة وثيقة بين تعاليم المصلح المصرى وأفكار المصلحين فى تركيا الحديثة ·· كما ظهر زعماء يتبعون آراءه فى افريقيا الشمالية ، وايران · بل لقد امتد مذهب « محمد عبده » الى بلاد الهند ـ حيث ترجمت « رسالة التوحيد » الى اللغة الأوردية ـ والى اندونيسيا ـ حيث لبى الأهالى دعوة « محمد عبده »

فأسسوا المدارس الاسلامية ـ كما ترجم تفسير محمد عبده للقرآن فى الملايو .. وبهذا كان الامام أول موجه لحركات التجديد فى العالم الاسلامى .

محمد على .. الذى « أعدم » مصر !

• **واذا كان** للمؤرخ أن يختتم سيرة هذا الرائد العظيم من رواد البشرية ، فلن يجد خيرا من رأيه فى « محمد على » رأس الأسرة المالكة السابقة فى مصر ، اذ قال فيه : « **ما الذى صنعه محمد على ؟! .. انه لم يستطع أن يحيى ، ولكنه استطاع أن يميت .. كان معظم قوة الجيش معه ، وكان صاحب حيلة بمقتضى الفطرة ، فاخذ يستعين بالجيش وبمن يستميله من الاحزاب على اعدام كل رأس من خصومه ، ثم ينقلب بقوة الجيش وبحزب آخر على من كان معه أولا وأعانه على الخصم الزائل ، فيمحقه . وهكذا .. حتى اذا سحقت الأحزاب القوية ، وجه عنايته الى رؤساء البيوت الرفيعة ، فلم يدع منها رأسا يستتر فيه ضمير « أنا »**

« **.. أخذ يرفع الأسافل ويعليهم فى البلاد والقرى ، حتى انحط الكرام وساد اللئام ، ولم يبق فى البلاد الا آلات له يستعملها فى جباية الأموال ، وجمع العساكر بأية طريقة**

« **لا أظن أن أحدا يرتاب بعد عرض تاريخ محمد على ـ على حقيقته ـ فى أن هذا الرجل كان تاجرا ، زارعا ، وجنديا باسلا ، ومستبدا ماهرا .. لكنه كان لمصر قاهرا ، ولحياتها الحقيقية معدما » !!**

ملكات ونساء - ٨
للكاتب الفرنسى الكبير هنرى بوردو

كاثرين مانسفيلد

الفنانة التى كانت ترسم .. بالكلمات والحروف !

تلخيص : كليم أبو سيف

الأديبة التى نسجت من الظلام نورا !

◆ من الناس من يخلق وقد زودته الطبيعة ببصر يلتهم المرئيات التهاما ، وبصيرة تتغلغل فيما وراء مظاهر الحياة الانسانية ، ووراء كل حركة من حركاتها ٠٠ فلا يلبث ما يتكشف لها أن ينفذ الى النفس والذهن ، ويمتزج بالمشاعر والأفكار ٠٠ ومثل هذا الصنف من الناس قد يتجه الى الفن فيخلق منه تحفا ناطقة ، أو يتجه الى الأدب ، فاذا الحروف خطوط فى لوحات ، أو أنغام فى ألحان ، كلها معبرة ، وملهمة ٠٠ ولعل هذا هو سر قسوة الحياة على هؤلاء النوابغ ، فكأنها تخشى على أسرارها أن يكشفوها ، أو تغار اذ ينافسونها فى الابتداع والابداع !

ولقد نقلت اليك ــ فى العدد الثالث والأربعين من « كتابى » ــ ما كتبه الاديب الفرنسى الكبير « هنرى بوردو » عن احدى تلك العبقريات التى اتجهت الى الفن ٠٠ واعنى بها «مارى باشكرتسيف» ، التى نبغت فى معظم الفنون ، الى حد ان قلدتها نساء فرنسا ، ولما تبلغ الثالثة عشرة من عمرها ٠٠ ثم سلطت الحياة عليها المرض ، فماتت فى الثانية والعشرين !

واليوم ، اذ اقدم اليك آخر حلقات كتاب « بوردو » العظيم : «ملكات ونساء » ، انقل اليك ما سطره عن نفس أخرى من العبقريات التى اتجهت الى الادب ٠٠ تلك هى : « كاثرين مانسفيلد » ٠٠ ومن العجيب ان الشبه بينها وبين « مارى باشكرتسيف » كبير ، رغم اختلاف ميادين نبوغهما ٠٠ ولقد عاشت مثلها متغربة عن وطنها ، وماتت مثلها فى باريس ، وكتب على قبرها : « لقد نسجت من ظلام الحياة نورا » ٠٠ ولكنها لم تصب من هذا النور ضياء لنفسها !

رسامة ٠٠ بالكلمات والحروف !

◆ **اذا** كانت الطبيعة قد منحت « مارى باشكر تسيف » موهبة الاحساس المرهف بمظاهر الحياة الواقعية ، فنقلت منها صورا خالدة ، جرت بها أناملها المبدعة على قماش جامد أخرس ، فأحالته الى لوحات تنبض بالحياة التى نقلت عنها ٠٠ فان الطبيعة ذاتها آثرت بتلك المنحة أيضا الأديبة والكاتبة

القصصية الانجليزية المشهورة « كاثرين مانسفيلد » (١٨٨٨ - ١٩٢٣) مع فارق بسيط ، هو.ان تلك الموهبة تمثلت - فى هذه المرة - فى نقل مظاهر الحياة تلك، بالكلمات والحروف، لا بالريشة والألوان ! .. وان لوحات « كاثرين مانسفيلد » القلميــة ، لتصل فى الروعة والابداع الى مرتبة اللــوحات الزيتية التى رسمها أشهر الفنانين ! .. وان المرء لتذهله حقا تلك الدقة فى وصف المرئيات بأتفه تفصيلاتها ، والناس فى أقل حـركاتهم شأنا ، حتى ليخيل اليك انهـا تكاد تحصى عليهم ايماءاتهم ، وتحسب عليهم أنفاسهم !

وحين تقرأ لها أوصافها للحياة والناس ، يدهشك انك رأيت ما رأت هى ، ولكنك لم تسبقها الى ما كتبت ، اذ لم يخطر لك قط أن تلقى بالا اليه ، فضلا عن تسجيله ونقل صـور عنه بالكلمات والأحرف ! .. والا ، فهل خطر ببالك مثلا ، وأنت تطل من نافذة منزلك فترى الغـادين والرائحين من المخلوقات التى تسعى فى سبيلها ، ان شيئا فى تلك المخلوقات العـادية يسـترعى التفاتا ما ، أو يتطلب وصـفا ؟! .. ان « كاثرين مانسفيلد » قد فعلت ، ورأت فى ذلك المشهد المتكرر العـادى ما تدق رؤيته على أحد الأبصار وأنفذ البصائر ، فاذا بكل ما كتبته جديد عليك ، لم يطرأ لك على ذهن :

« **ان أول ما يلفت نظرك فى الأوقات التى يسير فيها الناس فى الشوارع ، هو أنهم لا يبدون قط فى حالتهم الطبيعية أو حركاتهم الحقيقية . فالرجل فى الشارع غيره فى البيت ! .. وقد رأيت من نافذة بيتى رجلا يذرع الشارع جيئة وذهابا ، فخيل الى انه ذبابة تتسـلق حائطا .. ولم أبصر من الناس السائرين الا اقداما زاحفة ! ..** أما فى المنزل المقابل لمنزلى ، فقد أبصرت بطفلة صغيرة جالسـة على احدى نوافذ الطابق الأرضى ، المحصنة بقضبان من الحديد ، وقد التفت بدثار زمادى ، وأمسكت بيدها كتابا . وبدا شعرها مقسما الى عـدة

ضفائر متساوية ، كما بدا وجهها صغيرا مستديرا ٠٠ فكان منظرها بديعا ، وهى تقلب صفحات الكتاب الناصعة ، وراء تلك النافذة التى أحاطت بها كالاطار ! »

« البقرة » ٠٠ وزوجها !

◆ **ثم تأمل** هذه اللوحة القلمية التى تكاد تنطق :

« لقد وقفت أرقب تلك المرأة السمينة ، الضخمة ، ذات الحركات المقبضة ٠٠ رأيتها تدلف الى المنزل وتخرج منه ، متثاقلة متباطئة ، وقد أمسكت بيدها « الجرادل والفرش » ، ثم وهى تتجمع كالكومة على عتبة الدار عند الظهيرة ! ٠٠ وأخيرا ، وهى ترقب عودة زوجها وابنها ، مساء كل يوم ٠ وقد تفرست فى وجهها ، فلم أجد فيه الا حجرا صلدا ، خلا من أى تعبير يدل على السعادة أو الحزن ! ٠٠ **فهى تبدو مستسلمة للقدر ، غارقة فى شبه غيبوبة ٠٠ حتى اذا وقفت على قدميها فى بعض الأحيان ، وأدارت بصرها فيما حولها ، بدت كبقرة موثقة ، يسحبها صاحبها خلفه فى الشارع ! ٠٠ واذا أطلت من النافذة ، وألقت نظرة على زوجها وهو يقطع الأخشاب بنشاط وبراعة ، خيل اليك انها تبغضه ، وان منظره يكاد يكتم أنفاسها ! »**

وهذه صورة أخرى تظهر لك المعالم الدقيقة الآخاذة فى لوحات « كاثرين » القلمية :

« رأيت ثلاثا من النسوة الفقيرات يجلسن تحت سقف حجرى ، على رصيف أحد الشوارع فى باريس ، وقد التفت كل منهن بدثار أسود ، وعقدت ثلاثتهن أيديهن على بطونهن ، ووضعن عند أقدامهن ثلاث سلال مملوءة بالحشائش وسعف النخيل اليابس والزهور الذابلة وأوراق الشجر الصفراء ٠ وكن ، بين آونة وأخرى ، يرفعن رؤوسهن ليتطلعن الى الرذاذ البارد المتساقط ، بينما انعكس على وجوههن نور أخضر من

مصباح فى الشارع ٠ وكانت النسوة الثلاث يتحدثن فلا تعرف هل يتحدثن الى بعضهن البعض ، أم يتحدثن منفردات الى أنفسهن ٠٠ لأن أصواتهن كانت متصلة ، لا تنقطع لحظة واحدة ٠٠ لقد كان منظرهن وأصواتهن من أغرب المناظر والأصوات التى أبصرتها عيناى وسمعتها أذناى ! »

فهل رأيت تفصيلا لما دق وهان من كل حركة أو سكنة كهذا التفصيل ؟ ٠٠ وهل وقع بصرك على صور قلمية ناطقة كتلك الصور ؟!

ان هذه الصورة الأخيرة التى رسمها يراع « كاثرين مانسفيلد » لتعيد الى ذاكرة المرء ، تلك الصورة الزيتية الرائعة التى رسمتها ريشة الفنان « شارل كوتيه » ، لثلاث أرامل كن زوجات لثلاثة من البحارة ماتوا جميعا غرقى ، فجاء « كوتيه » وصورهن وقد جلسن على شاطىء ذلك البحر الغادر ، وأدرن له ظهورهن ، اذ لم يعد فى قدرتهن النظر الى هذا الذى انتزع منهن أزواجهن !

« لوحة » الشجرة المائلة

◆ **ومن الأمثلة** المتقدمة ، نتبين ان « كاثرين مانسفيلد » تلجأ ، فى وصفها للاشياء ، الى مقارنتها بغيرها ٠٠ فهى تصف تلك المرأة البدينة الضخمة بأنها « تشبه البقرة » ٠٠ كما تمتاز لوحاتها القلمية بالبراعة فى التقاط النواحى الهزلية فى الانسان والمرئيات ٠ وهى تتطلع الى الناس وكأنها تستمتع بمشاهدة احدى المسرحيات ٠٠ وتختار شخصياتها ممن تقابلهم فى الواقع والحياة ـ وليس من الأوهام التى تنسجها مخيلات الرسامين ـ ثم تعيد/خلق تلك الشخصيات من جديد ، بعد أن تمتزج بهم امتزاجا تاما ، حتى لتصبح قطعة منهم !

كانت « كاثرين » فى (الكوت دازور) بفرنسا ، حين تذكرت ريف بلادها ـ انجلترا ـ فكتبت تصفه بقولها : «عندما

يهجرني النوم ، وأظل مؤرقة حتى الساعات الأولى من الصباح ، تطرق سمعي أصوات صادرة من بعيد ، هي أصوات العربات الذاهبة الى الأسواق ، في تلك اللحظات التي تسبق الفجر .. انني أكاد أسمع صوت السائق الذي يلهب ظهر جواده الصغير ، ليحثه على المسير .. وأتصور الدجاج ما زال نائما ! .. آه .. **ما أجمل نسمات الفجر ، وما أروع هذا الصمت ! .. ان مئات الاشياء تحدث تباعا في تلك اللحظات ، وكلها مفعمة بالجمال .. فهل أصغيت الى أصوات الناس قبل مشرق الشمس ؟! .. ألا ، ما أعظم اختلاف نبراتها في تلك اللحظات عن تلك التي تعودنا سماعها منهم ، خلال الساعات الأخرى من اليوم ! »**

ولعل الصورة التي رسمتها « كاثرين » لخادمتها « ماري » أروع ما خطته تلك الأنامل الرقيقة الدقيقة . فقد دخلت عليها خادمتها ذات يوم ، وأخذت تقص عليها نبأ شجرة مالت في الحديقة ، حتى كادت تهوى ، فكتبت « كاثرين » تصفها بقولها : « أخذت خادمتي ماري تصف لي كيف مالت الشجرة حتى كادت تكسر وتسقط على الأرض ، **فاذا بها تصب جسمها في ذلك القالب ، وتكيفه حتى جعلته في شكل الشجرة الآيلة للسقوط .. واذا بي أراها أمامي ، في ثوبها الأسود ومئزرتها البيضاء وشعرها الأشيب ، وقد تحولت الى شجرة مائلة موشكة على السقوط ! »**

تلك بعض مقتطفات من آثار هذه الكاتبة الفنانة الموهوبة ، التي كانت عيناها تلتهم المرئيات التهاما ، والتي كانت أضأل

حركة من حركات الحياة الانسانية تدوى فى نفسها ، وتمتزج بمشاعرها ، وتختلط بأحاسيسها ، ثم تظهر علـى الورق ، صورة حية تمثل بعضا من ملامح الانسانية التى تحيط بها !

والآن ، وقد قدمنا لك تلك الأمثلة الموجزة :

من هى « كاثرين مانسفيلد » ؟

◆ **صدر** فى انجلترا أخيرا كتاب عن تاريخ حياتها ، أكمل ما نشر من آثارها الادبية . ومن الغريب أن الكتاب تضمن أمورا شائنة عن تاريخها .. وأغرب منه ان يشترك زوجهـا فى وضع هذا الكتاب ! .. اذ أن من المعروف انها كانت تعيش فى شبه عـزلة . وعلى كل ، فان التغلغل فى آثار « كاثرين مانسفيلد » الأدبية أيسر من التغلغل فى حياتها الخاصة التى كان يعتورها بعض الغموض !

كانت تدعى « كاثرين بوشان » .. وقـد ولدت فى بلدة (كورارى) ، التى تقع عـلى مقربة من (ولنجتون) عاصمة (نيوزيلندا) . وكان والداها ينحـدران من أسرة فرنسية . ولما بلغت الثالثة عشرة من عمـرها ، أرسلتها أسرتهـا الى انجلترا ، حيث ظلت تتعلم فى مدارسها حتى الثـامنة عشرة . وفى تلك السن المبكرة ، بدأت تتفتح براعم قلبها ، اذ أحبت شابا انجليزيا اسمه « ترويل » ، وخطبته لنفسها ! .. الا ان عرى تلك الخطبة الصبيانية ما لبثت أن انفصمت بعـد ثلاث سنوات ، وقفلت « كاثرين » عائدة الى وطنها (نيوزيلندا)

ولكن الفنانة الصغيرة لم تطق البقاء طويلا هنـاك ، اذ دفعها الضجر الى العودة مرة أخرى الى انجلترا . وفى سـنة ١٩٠٩ – وكانت قد جاوزت الحادية والعشرين بقليل – تزوجت من موسـيقى ، طلقها بعد زواجهـا بوقت وجيز ، لسبب « بسيط ! » .. **يتلخص فى انه اكتشف بعـد الزواج أنهـا حامل من رجل آخر ! .. ورحلت « الضحية » الى (بافاريا) ،**

حيث توارت عن الأنظار طوال أشهر الحمل ، ثم وضعت طفلا ميتا !

وللمرة الثالثة ، عادت الى انجلترا ، حيث عاشت على أدوار صغيرة كانت تؤديها فى الأفلام السينمائية ـ وكانت السينما ما تزال تحبو فى أعوامها الأولى ـ كما كانت القصص التى أخذت ترسلها الى الصحف والمجلات تدر عليها القليل من المال. وفى هذه المرحلة من حياتها ، التقت بشاب انجليزى اسمه « جون ميدلتون مورى » ، كان طالبا بجامعة (أكسفورد) ، يشق طريقه فى الحياة ، كما تشقه هى ، فى عناء وعسر . ومن ثم عقدا العزم على أن يربط كل منهما مصيره بالآخر .. وتزوجا . الا ان المرض والعمل فرق بينهما ـ كزوجين ـ اذ قلما كانا يلتقيان !

وأصيبت « كاثرين » بذات الرئة ، وبذلك كتب عليها القدر ما كتبه على المصابين بهذا الداء الوبيل ـ من المقتدرين ـ من وجوب التنقل بين البلاد والمصحات المختلفة ، انتجاعا للصحة وطلبا للشفاء . وأخذت تتنقل بين (الكوت دازور) بفرنسا ومنطقة الجبال بسويسرا ، وبين باريس ولندن . ولما أعيتها الحيل وأحست باشتداد وطأة المرض ، ويئست من الشفاء ، لجأت الى (أفون) فى غابة (فونتنبلو) ، حيث استقرت فى منزل لم يكن زواره يرتفعون فوق مستوى الشبهات ! .. وهناك اشتدت عليها العلة ، فاستدعت زوجها الذى جاءها عصر يوم ٩ يناير سنة ١٩٢٣ . وفى مساء ذلك اليوم نفسه ، وبعد وصول الزوج بساعات ، أسلمت « كاثرين مانسفيلد » الروح

ومن مفارقات الحياة ، ان « كاثرين » ماتت وهى على عتبة الشهرة والثراء ، اذ كان نجمها قد بدأ يتألق ، كما كان اسمها قد بدأ يدوى فى كل مكان ، وأخذت تحتل مكانها فى عالم الأدب ، بعد نشر مؤلفاتها .

العزلة .. « حياة الحياة » عندها !

◆ **أحبت** « كاثرين مانسفيلد » الحياة حبا شديدا ، وتعلقت بها الى أبعد حدود التعلق ، وان لم تبادلها الحياة شعورها !.. الا انها لم تكن تستسيغ طعم تلك الحياة التى أحبتها وتدلهت فى حبها الا اذا كانت وحيدة منفردة . وقد عبرت عن تلك الأحاسيس المتصارعة فى نفسها أبلغ تعبير حين كتبت - فى باريس - عام ١٩١٥ تقول : « اننى أشعر بسعادة لا حد لها حين أستغرق فى تأملاتى العميقة فى الكائنات والاشياء ، وأنا وحيدة فى خلوتى .. **فليس هناك سرور يعدل سرورى وأنا فى صحبة نفسى !.. فاذا ما اختلطت بالناس وامتزجت بالآخرين، فقدت الحياة لذتها عندى ، ولم اعد أجد لها طعما يستساغ ! أما اذا خلوت الى نفسى ، فانى أراها عظيمة القدر ، رائعة ، لأنى أعثر فى خلوتى على تفاصيل الحياة ، وأجد فيها « حياة الحياة » ! ..** »

وكان من أبرز صفاتها الميل الى البوح بكل ما يختلج فى نفسها أو يجول بخاطرها للناس . فهى لا تستطيع أن تتكتم أمرا أو تطوى أضلعها على خلجة من خلجات تلك النفس ، وكأنما هى قد عرفت فى نفسها هذا «العيب» ، اذ كتبت تقول ذات مرة، محاولة ايجاد العلاج له :

« اننى أفضل دائما أن أكون فى صحبة أشخاص لا يحبوننى كثيرا ، لأنى أحب دائما أن أبوح بكل مكنونات صدرى الى أصدقائى . فاذا ألفيت نفسى بين قوم يبغضوننى أو على الأقل لا يخلصون لى الود ، تحفظت فى الكلام . أما بين أحبائى فانى لا أتردد فى أن أبوح بأسرارى ومشاعرى جميعا ! »

وقد دفعها حبها العنيف للحياة الى أن تكتب فى العام الذى سبق وفاتها ، قائلة : « ما أهول أن يحب الانسان الحياة كما أحبها أنا .. اننى أحب الحياة حبا هائلا ! »

وكانت تلك هى صرخاتها التى طالما انفلتت من صدرها الجريح !

أوجاع الحياة ٠٠ طعنات من يد حبيب !

◆ **ولقد** سما حب « كاثرين » للحياة الى مرتبة خيالية ، لم نعهد لها مثيلا فى تاريخ الكتاب والادباء ٠ وهى لذلك تتقبل راضية جميع الآلام والمصائب التى تصبها على رأسها الحياة ، ما دامت صادرة منها ، منبعثة عنها ! ٠٠ فلتفعل بها هذه الحياة « الحبيبة » ما تشاء ٠٠ فانما هى طعنات من يد حبيب ، تتقبلها بصدر رحيب ، يتسع للصفح والغفران !

٠٠ واسمعوا هذه الأنشودة التى غنتها « كاثرين » فى هذا المعنى :

« لا تقاوم أوجاع الحياة ، بل تقبلها بالترحاب ٠٠ ودعها تغمرك وأنت راض كل الرضاء ٠٠ واجعل من الألم جزءا من حياتك ٠٠ فكل شىء نتقبله راضين لابد أن يتحول ويتغير ٠٠ **ولنذكر ان الألم يتحول الى حب ٠٠ وهذا هو سر الحياة ! ٠٠ أما ما يجب أن أفعله فهو أن أجتاز دهليز الحب الشخصى الصغير ، الضيق ، حتى أصل الى الميدان الذى يعظم فيه الحب ويكون أكثر شمولا ! ٠٠ وعلى أن أبذل من ذات قلبى وروحى لكيان الحياة الأكبر ما كنت أبذله لفرد واحد أخصه بحبى وأقفه عليه ! ٠٠ أيتها الحياة : تقبلينى بين ذراعيك !** »

الا أن الحياة ردت ذراعيها ، وخيبت ظنها ٠ وحين شعرت المسكينة بأن الحياة لم تبادلها الحب والوفاء ، انكمشت أحاسيس نفسها من الحب الأعظم الذى كانت ترنو اليه ، الى الحب الأصغر : حب الفرد ٠ ولم يكن هناك فرد تخصه بحب خاص غير زوجها الشاب ٠٠ لكن المرض فرق بينهما كزوجين ، ومن ثم تحول قلبها الى حب محدود يقتات عليه ، بعد أن عز عليه منال الحب الذى لا تحده حدود !

تحمل على الفرنسيين لبخلهم وقذارتهم !

◆ **لم يرق** لكثير من الفرنسيين ما كتبته «كاثرين مانسفيلد» عنهم وعن بلادهم . ففى الوقت الذى عابت على الانجليز اسرافهم وتبذيرهم ، كتبت تصف بخل الفرنسيين وقذارتهم بعبارات قاسية ، اذ قالت : « **ليس فى فرنسا ورقة واحدة من أوراق الشجر لا يمكن اقتطافها ليصنع منها الفرنسيون شرابا مغليا ! .. وليس فيها فرع صغير من الحشائش النابتة لا يستفيد الفرنسيون من استخدامه فى المطبخ !** .. اننى أود أن أشترى رطلا من الزبد وأتركه على نافذة بيتى معرضا للشمس والهواء ، حتى يذوب على مرأى من هؤلاء الفرنسيين ، لأغيظهم بهذا التبديد ! .. ان الفرنسيين ليكونون عصبة من الاشحاء الذين لا تستساغ الحياة معهم ولا تطاق . يضاف الى ذلك قذارة منازلهم ، حتى ليخيل اليك وأنت تنظر الى أرض حجراتهم ، أنك تنظر الى أطباق ضخمة من السلاطة ! »

ولم يترك « هنرى بوردو » هذا الهجوم من « كاثرين » على شعب بلاده دون رد ، فكتب يقول موجها الكلام اليها : « أليس هذا مبالغا فيه يا سيدتى كاثرين ؟ .. انك تنسين أنك تكتبين هذا الكلام عنا فى سنة ١٩١٥ ، ونحن فى معمعة الحرب الضروس التى اشتعلت نيرانها فى سنة ١٩١٤ .. وتنسين أن هذا الذى تسمينه بخلا لم يكن الا امعانا منا فى حرمان أنفسنا من كل أطايب الحياة ، لكى نتمكن من تزويد جيوشنا المحاربة فى ميادين القتال بما نقتصده من قوت يومنا . ولعلك تأثرت بالكتابين اللذين أصدرهما « أوكتاف ميرابو ».وسمح لنفسه فيهما بأن يرمى الفرنسيين بكل نقيصة ! .. اننا لا نريد أن نتمشى معك فى منطقك فنحكم على شعب من كتاب ينشره أحد أبنائه الحاقدين ، لأننا لو فعلنا لحكمنا على خلق الانجليزيات مثلا من الكتاب الذى أصدره « لورنس » ! .. ولكنا نرى أن

الحكم على الشعوب بهذه السرعة وذلك القطع عمل صبيانى .. فأعمال الشعوب، ونضالها، وأثرها فى التاريخ .. كل ذلك هو الفيصل فى الحكم لها، أو عليها، وليس كتابا ينشره أحد الكتاب الحمقى ! »

.. ثم تنصف الخادمات الفرنسيات !

◆ على ان كاثرين عادت بعد ذلك فوصفت الفرنسيين وصفا لا أثر فيه لتقززها السابق منهم . فقد كتبت الى زوجها تصف له « جولييت » ، خادمتها الفرنسية الرشيقة التى كانت تتولى خدمتها أثناء اقامتها فى (باندول) : « تنوى خادمتى «جولييت» ترك خدمتى لمرض أمها .. اننى أحب هذه الخادمة حبا جما .. وأعشق أغانيها وحركاتها وايماءاتها .. وأحب منظرها وهى جاثية على ركبتيها تكسر الحطب الأزرق لتزود به النار .. كما أحب دخولها المفاجىء الى غرفتى وهى تحمل الى بين ذراعيها طاقات كبيرة جميلة من الورد .. ويلذ لى سماع صوتها العذب وهى تقول لى : « سعدت صباحا » ، بنغمة تشعرنى بأنها تحب ذلك الصباح بالفعل ، ومن أعماق قلبها . فاذا جاءتنى بخطاباتى راحت تقلبها بين يديها ، واحدا تلو الآخر ، لأنها تعرف اننى أترقب خطاباتك بلهفة ، ثم تأخذ فى قراءة عنواناتها ، فتعرف من الخطوط أن خطابك ليس واحدا منها ، وعندئذ تقول فى صوت حنون : « ليس بينها الخطاب الذى تنتظرينه مع الأسف ! » .. فالوداع يا عزيزتى جولييت .. اننى لن أنساك مطلقا لأنك انسانة حقيقية لا زيف فيها ، ولأنك مثل الشجرة ذات الجذور الضاربة فى بطن الأرض ! »

أما مارى ، الفتاة التى كانت تتولى خدمتها فى (منتون) ، والتى مثلت لها منظر الشجرة الآيلة للسقوط ، فقد كتبت تقول عنها لزوجها : « ان خادمتى مارى من طراز فريد فى نوعه .. فهى أرملة حوذى .. أى أنها امرأة من عامة الشعب ، ومع ذلك فان ادراكها لمعنى الحياة يثير فى نفسى الدهشة دائما .

فالمطبخ عادة لا يعدو أن يكون مجموعة من الأدوات الصماء ٠٠ ولكنك اذا تأملت تلك « الأوانى » التى لا تتحرك ولا تنطق لرأيت العجب العجاب من صنع مارى ٠٠ فتلك الأوانى المعلقة بعناية على الحائط ، تلمع لمعانا يخيل اليك معه أنها تنظر اليك وتبتسم لك ! ٠٠ فاذا قدمت لى سمكا مع طعام الغداء ، حرصت على وضعه فى الطبق وضعا يتلاءم مع معيشة سكان البحار ٠٠ وقد كانت تحدثنى بالأمس عن رغبتها فى شراء بعض المـوز فقالت لى : « ان الموز لا يشترى كفاكهة تؤكل ، فان أكله آخر شىء يغرى فيه ٠٠ ولكنه يستحق الشراء لمنظـره الجميل حين يوضع وسط أنواع الفاكهة الأخرى فى السلة ! ٠٠ وكم يكون بديعا حين تحيط به عناقيد العنب وثمرتان من الكمثرى وتفاحة أو تفاحتان ، مع بعض أوراق الأشجار الرطبة الخضراء ! »

«ان معاشرة مثل هذه المخلوقات تعين كثيرا على الحيـاة ٠ وقد رأيت أمس منظرا خلابا مس شغاف قلبى ٠ فقد أحضر لى

الفحام جـوالا من فحم الخشب كنت قد أرسلت فى طلبـه ٠ وبينما كنت أمر مصادفة أمام المطبخ ، رأيت الفحام بقميصه الأزرق وبنطلونه الأصفر، وقد جلس مع مارى الى مائدة صغيرة، وأخذا يحتسيان معا فى هـدوء كأسين من النبيذ !

« ان هذه الاشياء تجرى هنا ببسـاطة ، ولا تسـترعى أى التفات ، لكثرة حدوثها٠ ولكنى لم أكن أتصـور قط ، قبـل

حضورى الى فرنسا ، ما لهذه الاشياء من جمال حقيقى لا زخرف فيه ولا صناعة ! ·· ولذلك فان الاحساس الذى تستشعره وأنت فى انجلترا يختلف عن ذلك الذى تشعر به وأنت فى فرنسا · ففى بلاد الانجليز يخيل اليك أن كل شىء قد انتهى ! ·· فهل تفهم ماأرمى اليه؟·· انى أريد أن أقول ان الانسان لا يجد متسعا من الوقت فى انجلترا لاشباع رغباته وارضاء مشاعره ! ·· ولست أريد بهذا أن أنقد بلادكم أيها الانجليز ، ولكنى أقصد الى وصف الحياة عندكم ، كما هى فى الحقيقة والواقع ! »

·· هذا الوصف الصادق ، البديع ، كتبته « كاثرين مانسفيلد » التى أنفقت حياتها فى الجرى وراء الحقيقة والبحث عنها ·· والتى لم تجد أخيرا من تهدى اليه مذكراتها سوى ·· « الحقيقة ! » ، وقد خاطبتها فى اهدائها بهذه العبارة الرائعة : **« ان الحقيقة فى النهاية هى الشىء الوحيد الذى يستحق أن نمتلكه فى هذا الوجود ·· فهى أقوى من الحب فى هزها للمشاعر الانسانية ، وفى افعام النفس البشرية بالسعادة والاشراق · فالحقيقة لا تخونك أبدا ·· وهى تظل الى جانبك عندما يتخلى عنك الجميع ! ·· اننى لأقدم ما تبقى من حياتى لها ·· ولها وحدها ! »**

الفرق بين الأدب الانجليزى والأدب الفرنسى

◆ **تختلف** القصة الانجليزية عن القصة الفرنسية اختلافا كبيرا·فالأولى تتناول جوانب الحياة العادية ، المألوفة ، وتتبعها فى تطورها الكبير وتفصيلاتها الدقيقة التى يختلط فيها الجد بالهزل · والقصصى الانجليزى أقل تغلغلا فى الحياة العقلية ، وأقل تشبعا بشتى نواحيها من القصصى الفرنسى · وليس فى الأدب الانجليزى حبكة ، فهو لا يتطرق من فكرة الى فكرة ، بل يخيل اليك انه يبدأ بدون فكرة محددة ، ولا يصل الى خاتمة أو

نتيجة محددة • والذى يروق للفرنسيين فيه هو نظرته المتجددة الى الحيــاة تجددا رائعا ، وعــدم الملل من البحث عن الأمور الدقيقة الصغيرة التى تتغير بتغير الحياة الدائبة الحركة ••

وتختلف كذلك طـريقة الانجليز فى التفكير عن طريقــة الفرنسيين • فهم يتأثرون بالأجواء المحيطة بهم تأثر لوحــة التصوير بالأضواء • وهم وان كانوا أصـحاب نكتة ، الا أن السخرية تنقصهم ! •• **وليس للأدب الانجليزى مذاق يلسع اللسان • وقلما يثور الكتاب الانجليز على ظلم المجتمع أو على الحقارات الانسانية ، وان كانوا فى الوقت نفسه لا يقفون على الحياد ، بل يبدون شيئا من العطف على ضحايا المجتمع • وليس فى هذا العطف شيء من الغرابة ، اذ أنه من خلقهم على وجــه العموم •• ففى الوقت الذى يعطفون فيه على المظلومين ، تراهم يعطفون على جميع الناس !!**

•• فلنقارن مثلا بين « كاثرين مانســفيلد » و « جى دى موباسان » • ان جى دى موباسان يتناول وقائع معينة ويضع شخصياته أمامك مرة واحدة ، فيأخذك على حين غـرة •• ثم يأخذ فى تحريك تلك الشخصيات ، ويفاجئها متلبسة بالجرائم أو متحلية بالفضـائل ، ثم يتسلى برؤيتهـا وهى تتصــارع وتتصالح ! •• أما « كاثرين مانسفيلد » فهى لا تروى قصصا، ولكنها تقنع بأن تبعث الحياة فى الكائنات ، ثم تدعهـا تجىء وتغـدو أمامنا • واذا بنا وقـد امتزجنـا بتلك الكائنات ، واشتركنا معها فى حياتها ، وفى غدوها ورواحهـا ، دون أن نعرف لذلك سببا !

ولعل « كاثرين مانسفيلد » أقرب ما تكون شـبها بالكاتب الروسى « أنطون تشيكوف » منها بأى كاتب آخر •• فالاثنان متشابهان فى أن أدبهمـا مزيج عجيب من الدقة فى التفصيل وعدم الدقة في الموضوع ! •• واذا كانت « كاثرين » محدودة

الأفق من ناحية القدرة على الاخراج والابتكار ، فانهـا ـ من ناحية أخرى ـ تتمتع ببصيرة نافذة تستشف بها ـ كوصافة ماهرة ـ ما يختفى تحت القشور ، لتصل الى صميم اللباب !

عفيفة فى كتاباتها !

◆ **ومن حق** كاثرين أن نعترف لها بفضيلة امتازت بهـا فى كل ما كتبته ، ألا وهى فضـيلة العفة والحياء • فقـد كان أسلوبها عفا ، منزها عن اللغو والعبارات النابية الغثة • وعلى الرغم من انها اختلطت بجميع الأوساط والطبقات ، واحتكت بأصناف كثيرة من الناس ، الا أنها حرصت على أن تنأى بقلمها عن الولوغ فى أى دنس أو اسفاف •

ولطالما ساءل أدباء فرنسـا أنفسهم : من أين تهب هـذه النفحات الحنـون التى نستروحهـا فى الأدب الانجليزى ، ككتابات « توماس هاردى » أو « روزمند ليهمان » أو « كاثرين مانسفيلد » •• وغيرهم ؟! •• لعل مبعث هـذه النفحات هى الحيـاة الانجليزية وما يحيط بها من أجواء خاصـة • فذلك الضباب المتكاثف ، وتلك الوحدة ، بل الضجر والسأم اللذان يخيمان على السنين الباكرة من حيـاة الكتاب الانجليز ، فى ريفهم الوادع الساكن ، حيث لا تقع أبصارهم الا على كنائس تدق أجراسـها دقات حزينة ، أو عـلى مدافن يؤمها الحزانى والثكالى •• وذلك البعد عن مباهج الدنيا •• كل تلك الظروف تغلف نفوس الأدباء الانجليز بذلك الغلاف الحنون الحزين !

اعتراف •• لا تنقصه الصراحة !

◆ **أما نحن** الفرنسيون فنختلف تمام الاختلاف عن الانجليز فى هذا المضمار • فنحن بطبعنا ميالون الى حيـاة المجتمعات ، والاختلاط ، والمرح • ونحن لا نطيق صبرا على قضـاء تلك

الساعات الطوال ، والوحدة القاتمة تحيط بنا فى بلاد لا تشرق فيها الشمس الا لماما • فاشراق الشمس فى إنجلترا « حدث » يقابل بالحفاوة والتهليل ، ويضىء المشاعر والنفوس • أما اشراق الشمس في فرنسا ، فهو أمر عادى ، ومن هنا كانت نفوسنا مشرقة ، وعقولنا صافية !! •• **ثم اننا نندفع الى الاستمتاع بلذائذ الحياة اندفاعا حماسيا ، ونتذوق ما فى الدنيا من متع كما نرشف رحيقا مسكرا ، ولا نقوى على حياة خالية من المرح واللهو والبهجة • ولكنى أعترف بأن طبائعنا هذه تجعلنا نغوص فى البهرج ، فى بعض الأحايين ، الى الحد الذى يهوى بنا من مراتب العبقرية •• فالعبقرية لا تنبت الا بين أشواك الشقاء ، ولا يزدهر غرسها الا فى الثورة والطموح • وهى تختنق فى الصخب وتموت فى الصياح والضجيج • وكما أن النيران تندلع ليلا فى هشيم المراعى ليملأ لهيبها الحقول وهجا ونورا ، كذلك لا تنبثق ينابيع الشعر الا من قلب مهشم وحياة تعسة محطمة !**

مارى باشكر تسيف وكاترين مانسفيلد

◆ **ولدت** كل من « مارى باشكر تسيف » و « كاترين مانسفيلد » فى بلاد نائية عن فرنسا : فقد ولدت الأولى فى قلب روسيا ، وولدت الثانية فى نيوزيلندا • ولكن القدر أراد لهاتين النفسين الغريبتين الساميتين ، والفنانتين الموهوبتين أن تعيشا حياتيهما فى فرنسا ، وأن تموتا فيها وتدفنا فى تربتها • ولم يكن بين الاثنتين من فارق الا فى الموت : فقد دفنت مارى باشكر تسيف فى مقبرة فخمة بنيت على الطراز البيزنطى فى ضاحية (باسى)، بينما دفنت « كاترين » فى مقبرة فقيرة بضاحية (أفون) في غابة « فونتنبلو »

وعلى الحجر المقام أمام المقبرة نقشت هذه الكلمات :

كاثرين مانسفيلد
زوجة
جون ميدلتون مورى
لقد نسجت من ظلام الحياة نورا ، وخلقت من مآسيها عبرا ، واجتازت أخطارها ومغاورها بأمان

.. هذا كل ما بقى من تلك النفس التى عاشت معذبة على الأرض ، واضطرمت بحب عارم عنيف للحقيقة ، امتزج بتلك الرغبة الجارفة الجامحة فى البحث عن ذلك السر المغلق المبهم .. سر الوجود الأكبر الذى نسميه : « **الحياة** » !!

ازاحة النقاب !

قصة للكاتبة الانجليزية « كاثرين مانسفيلد »

سحر التصوير .. وروعة الوصف !

◆ **اما وقد عرفنا « كاثرين مانسفيلد » ، فتعال نقرا معا قصة من روائعها .. ولسوف تتبين مدى تلك الروعة فى الوصف .. وكيف تسحرك بتصويرها ، فتخال للقصة مجرى غير المجرى الحقيقى الذى تفاجئك به حين «تزيح النقاب» فى النهاية .. اعرف اننى بهذا سانبهك الى المفاجاة ، ومع ذلك .. فلن تحدسها حتى تنتهى من قراءة القصة كلها !**

◆ **كان يبدو مستحيلا ان يكون ثمة انسان شقى فى ذلك الصباح الجميل — هكذا خطر ل « ادنا » — نعم ، لا احد شقى .. سواها !**

كانت نوافذ البيوت مفتوحة على مصاريعها ، تنبعث من خلفها انغام المعازف (البيانوات) ، توحى بان الأيدى الصغيرة تتسابق فيطارد بعضها بعضا ، ويجرى بعضها من بعض ، وهى تتدرب على العزف .. وكانت أغصان الشجر تهتز في الحدائق المشمسة ، التي كستها الزهور بنضرة بهيجة .. واولاد

كاثرين مانسفيلد

الشوارع يصفرون ، وكلب صغير ينبح، والناس يمرون ، سائرين فى خطى سريعة ، خفيفة ، وكانهم - فيما كان يبدو - يودون أن ينطلقوا مهرولين ٠٠ وما لبثت « ادنا » أن رأت على البعد مظلة فى لون الخوخ٠٠اول مظلة ترتفع فى هذا العام لاتقاء الشمس !

بل لعل « ادنا » نفسها لم تكن تبدو شقية بالدرجة التى خالتها ٠٠ فليس من السهل ان تبدو حزينا فى سن الثامنة عشرة ، لا سيما اذا كنت فتاة مفرطة الحسن ، ذات وجنتين وشفتين وعينين ، تطفح كلها بالصحة والنضرة ٠٠ ثم اذا كنت - فوق هذا - ترتدين ثوبا أزرق على النمط الفرنسى ، وقبعة جديدة أعددتها للربيع، ووشيت حافتها بالزهور الصناعية ٠ صحيح ان « أدنا » كانت تتأبط كتابا ذا غلاف أسود كئيب ، ولعل هذا الكتاب أحدث انقباضا ، الا أنه كان مجرد مصادفة ، اذ جرت المكتبة على ان تغلف كتبها بأغلفة سوداء ٠٠ وكانت « ادنا » قد اتخذت من الذهاب الى المكتبة حجة للخروج من البيت ، كى تفكر فيما حدث ، وتتبينه ، وتقرر - بأية كيفية - ما ينبغى أن يتخذ الآن !

★ ★ ★

◆ لقد حدث شىء رهيب ٠٠ حدث ليلة امس فى المسرح ، حين كانت و « جيمى » جالسين متجاورين ٠٠ حدث دون ما انذار قبل حدوثه ، ولو بلحظة واحدة ٠٠ كانت فى الواقع قد فرغت من التهام قطعة من الشيكولاته ، وردت الى « جيمى » الصندوق ٠٠ واذا بها تقع فى غرام ممثل ! ٠٠ وقعت فى ٠٠ الحب !

وكان الشعور يختلف عن اى شعور آخر تصورته ٠٠ لم يكن عذبا فى شىء ٠٠ ولم يكن مثيرا يهز النفس فى شىء ، اللهم الا اذا كنت تسمى أفظع احساس بالتعاسة ، والقنوط ، والألم ، والبؤس ، شعورا مثيرا ! ٠٠ يضاف الى ذلك يقين بأن ذلك الممثل لو كان قد التقى بها فى الشارع بعد ذلك - بينما كان

« جيمى » يحضر عربتهما ـ لتبعته الى آخر الأرض لمجرد هزة من رأسه ، أو اشارة ، ولما فكرت بعد ذلك فى « جيمى » ، ولا فى أبيها ، ولا فى أمها ، ولا فى بيتها الهانىء ، ولا فى أصدقائها الذين لا عداد لهم !

كانت المسرحية قد بدأت بفصل بهيج ٠٠ وكان ذلك وهى تلتهم قطعة الشيكولاته ٠٠ ثم أصيب البطل بالعمى ، فكانت لحظة فظيعة ! ٠٠ لقد افرطت « ادنا » فى البكاء ، حتى اضطرت الى أن تستعير منديل « جيمى » الأنيق ، الناعم الملمس ، فضلا عن منديلها ! ٠٠ ولم يكن البكاء شيئا مهما ، فقد كانت صفوف كاملة من النظارة تسكب الدمع ! ٠٠ حتى الرجال راحوا يمخطون بصوت عال كدوى البوق ، وهم يحاولون ان يحدقوا فى برنامج السهرة بدلا من أن ينظروا الى المسرح ٠٠ وكان من أكبر النعم أن « جيمى » كان عصى الدمع ، والا فماذا كانت فاعلة بدون منديله ؟ ٠٠ واخذ يضغط يدها التى لم تكن تحمل المنديل ، ويهمس : « سرى عن نفسك يا فتاتى الحبيبة ! » ٠٠ عند ذلك تناولت قطعة من الشيكولاته ـ لآخر مرة ـ لترضيه ، ثم ردت اليه الصندوق ٠٠ وفى تلك اللحظة ، كان ثمة مشهد مؤلم على المسرح ، اذ ظهر البطل وحيدا ، فى حجرة مهجورة ، وقت الغسق ، بينما كانت احدى الفرق الموسيقية تعزف فى الخارج ، واصوات هتاف تنبعث من الطريق ، فاخذ الأعمى يحاول ـ أواه ! ٠٠ لشد ما كان المشهد اليما ، مثيرا للرثاء ! ـ اخذ يحاول أن يتلمس طريقه الى النافذة ٠٠ ونجح فى النهاية ٠٠ ووقف ممسكا بالستار ، بينما سقط على وجهه المرفوع ، الفاقد البصر ، شعاع من النور ٠٠ شعاع واحد ٠٠ واخذت ألحان الموسيقى تتباعد وتخفت !

★ ★ ★

◆ كان رائعا حقا ٠٠ كل الروعة ٠٠ أواه ، كان أروع مشهد ٠٠ فى غير اصطناع ٠٠ ومنذ تلك اللحظة ـ فى الواقع ـ أدركت « ادنا » أن الحياة لا يمكن أن تمضى كما عهدتها ٠٠ فسحبت يدها من يد « جيمى » ، واضطجعت فى مقعدها ، واغلقت صندوق الشيكولاته نهائيا ٠٠ كان هذا هو الحب ٠٠ عرفته اخيرا !

وكانت « ادنا » و « جيمى » خطيبين ٠٠ مضى عام على اعلان خطبتهما للملأ ٠٠ ولكنهما كانا يعرفان أن كلا منهما سيتزوج الآخر ، منذ كانا يمشيان فى « حدائق النباتات » مع مربيتيهما ، ويجلسان على العشب ، ويحظى كل منهما بقطعة من البسكويت ، وقطعة من سكر الشعير ليذيبها فى قدح الشاى ٠٠ كان أمرا مسلما به ، حتى ان « ادنا » اعتادت أن تتحلى بـ « دبلة » ـ صنعت ببراعة مدهشة ـ من البسكويت اليابس ، طيلة أيام المدرسة ! ٠٠ وقد ظل كل منهما وفيا للآخر ٠٠ حتى تلك اللحظة !

ولكن كل شيء انتهى الآن ! ٠٠ انتهى تماما ، حتى لقد تعذر على « ادنا » ان تصدق أن « جيمى » لم يدركه هو الآخر ٠٠ وابتسمت فى رزانة ، وأسى ، وهى تتلفت حولها فى حدائق دير « القلب المقدس » ، وتمضى فى الدرب المفضى خلالها الى شارع (هيل) ٠٠ لشدما يحسن أن يعرف « جيمى » بالأمر الآن ، بدلا من الانتظار حتى يتزوجا ! ٠٠ من الجائز أن يحتمل الأمر لو أنه عرفه الآن ٠٠ لا ، لا جدوى من أن تخدع نفسها ٠٠ انه لن ينسى أبدا ! ٠٠ لقد قضى على حياته بالتحطم ٠٠ بالدمار ٠٠ لا مفر من ذلك ٠ ولكنه صغير السن ، وامامه الزمن ! ٠٠ والزمن ـ كما يقول الناس ـ قد يحدث شيئا ٠٠ قدرا بسيطا من التغيير ! ٠٠ وقد يكون فى وسعه بعد اربعين عاما ـ حين يغدو شيخا ـ أن يفكر فيها ، بهدوء ٠٠ ربما ! ٠٠ اما هى ، فماذا يخبىء المستقبل لها ؟

★ ★ ★

◆ وبلغت « ادنا » نهاية الدرب ، فجلست على مقعد اخضر اللون ، تحت شجرة اورقت حديثا ، وتدلت من اغصانها عناقيد من الزهر الأبيض ٠٠ وارسلت بصرها الى احواض الزهر فى الدير ٠٠ كانت ترى ـ فى أقرب الأحواض اليها ـ أعوادا رقيقة تحمل زهرات من « البانسيه » ذات الحواف الزرقاء ، الشبيهة بالمحار ٠٠ وفى أحد اركانه مجموعة من زهور صفراء شاحبة، تتعانق الأوراق الخضراء المدببة فوقها ٠٠ وكانت حمائم الدير تحلق عاليا فى الهواء ٠٠ وكانت تسمع صوت الأخت « اجنس » وهى تلقى درس الانشاد ٠٠ وصوتها العميق ينبعث : « آه ـ مى » ، فتتردد اصداؤه : « آه ـ مى »

وراحت الأفكار تتضارب فى رأسها : « اذا كان قد قدر لها أن لا تتزوج من « جيمى » ، فليس لها أن تتزوج أحدا ، بالطبع ! » ٠٠ اما الرجل الذى كانت قد وقعت فى غرامه ـ الممثل الشهير ـ فقد كان لديها من الادراك السليم ما يجعلها تدرك أن لا سبيل اليه اطلاقا ٠٠ ومع ذلك كان الأمر عجيبا جدا ٠٠ انها لم تكن راغبة فى الزواج منه ، فقد كان غرامها أشد وأقوى من هذا ٠٠ كان من النوع الذى يحلو احتماله فى صمت ٠٠ كان يجب أن يضنيها ويلوعها !

....

....

◆ هذه هى قد التقت بفتاها « جيمى » ٠٠ وها هى تصارحه بالقطيعة ، فيصيح بها : « ولكن يا ادنا ٠٠ الا يمكن أن تغيرى رأيك ٠٠ أليس لى أن آمل ؟ » ٠٠ أواه ، ما أقسى أن تقولها ٠٠ ولكن لابد لها من ان تقولها : « لا ، يا جيمى ٠٠ لن أغير رأيى قط ! » ٠٠ ونكست « ادنا » رأسها ٠٠ وسقطت زهرة فى حجرها ٠٠

فى تلك اللحظة تكشف لها المستقبل ٠٠ رأته « ادنا » بأكمله ٠٠

فشدهت ، وسلبها الذهول انفاسها فى البداية ‥ ولكن ، اى مصير اكثر تمشيا مع الطبيعة من هذا ؟ ‥ ستأوى الى الدير ! ‥ وبذل أبوها وأمها كل شيء لكى يثنياها عن عزمها ، دون جدوى ‥ اما « جيمى » ، فلم تكن حاله الذهنية لتسمح له بأن يفكر ‥ لم لا يفهمون امرها ؟ ‥ كيف يسمحون لأنفسهم بأن يضاعفوا من عذابها بهذا الشكل ؟ ‥ ان الدنيا قاسية ‥ فظيعة القسوة ! ‥ وبعد الوداع الأليم ، الذى منحت فيه خير صديقاتها حليها ـ وهى هادئة النفس ، وهن كسيرات القلوب ـ ذهبت الى الدير ‥ لا ، لحظة واحدة ‥ كانت الليلة السابقة على ذهابها للدير هى آخر ليلة للممثل فى (بورت ويلين) ‥ واذا برسول غريب يسلمه صندوقا ‥ وكان مليئا بالزهور البيضاء ، ولكنه لم يكن يحمل اسما ، ولا بطاقة ‥ لا شيء ؟ ‥ أجل ، ولكن ‥كانت احدث صور « ادنا » تحت الزهور ، وقد لفت فى منديل أبيض ، وكتب على ظهرها : « الدنيا منسية ‥ ممن نسيتها الدنيا » !

* * *

• واتخذت « ادنا » لنفسها فى الدير اسم الاخت « أنجيلا » ، وقص شعرها ‥ ترى أيسمح لها بأن ترسل الى «جيمى» خصلة ؟ ‥ يمكن تهريبها بطريقة ما ‥ ثم تروح الأخت « انجيلا » ـ فى ثوب أزرق وعصابة بيضاء ـ من الدير الى الكنيسة ، ومن الكنيسة الى الدير ، وفى عينيها الحزينتين نظرة لادنيوية ‥ وعلى أساريرها الابتسامة اللطيفة التى تحيى بها الأطفال الذين يجرون نحوها ‥ انها قديسة ! ‥ عبارة كانوا يتهامسون بها وهى تخطر فى الردهات الباردة التى يعبق هواؤها برائحة الشمع ‥ قديسة ! ‥ ويسمع زائرو الكنيسة عن الراهبة التى يعلو صوتها على غيره من الأصوات ، وعن شبابها ، وعن جمالها ، وعن غرامها المفجع‥ « وفى هذه المدينة رجل ‥· تهدمت حياته ! »

وزحفت نحلة كبيرة ، ذهبية ، الى احدى الأزهار ، فانحنت الزهرة الرقيقة ، وترنحت ‥ ارتعشت ‥ وطارت النحلة ، ولكن الزهرة ظلت تهتز ، وكأنها تضحك ‥ يا للزهرة السعيدة ‥ التى لا تحمل هما !

ونظرت اليها الأخت « انجيلا » ، وقالت : « لقد جاء الشتاء » ‥

وذات مساء ، تسمع ـ وهى نائمة فى صومعتها القارسة البرودة ـ صرخة ‥ حيوان ضال فى الحديقة ، قط او حمل أو ‥ ليكن نوعه ما يكون ، ولكنه موجود هناك‥وتنهض الراهبة الساهرة ، فتخرج مسربلة بالبياض ، ترتجف ، ولكن فى غير خوف ، وتعود به ‥ وعندما تدق الأجراس فى الصباح التالى تدعو لصلاة الصباح ، اذا بها تتقلب فى فراشها محمومة ‥ تهذى ! ‥ ولا يقدر لها شفاء قط ، فبعد ثلاثة أيام ينتهى كل شيء ! ‥ ويصلى على جثمانها

فى الكنيسة ، وتوارى التراب فى المدفن المخصص للـراهبات ، حيث تتناثر صلبان صغيرة من الخشب ‥ ويكتب على قبرها : « ارقدى فى سلام ، أيتهـا الاخت انجيلا » ‥

ويهبط المساء ‥ ويفد على القبر شيخان يستند كل منهما الى الآخر ، وهما يسيران فى بطء الى القبر ، ثم يركعان ويبكيان هاتفين : « يا ابنتنـا ! ‥ يا وحيدتنا ! » ‥ ثم ياتى شخص آخر ‥ فى ثياب سوداء من راسـه حتى قدميه ‥ يقبل فى بطء ، ولكنه ما يكاد يرفع قبعته السوداء ، حتى ترى «ادنا» فى جزع أن شعره فى بياض الجليد ‥ جيمى ! ‥ جئت متاخرا ، جد متاخر ! ‥ وتجرى الدموع على وجهه ‥ انه يبكى ‥ اتبكى الآن ؟ ‥ لقـد فاتت الفرصة ، فاتت من زمن ! ‥ وتهز الريح الأشجار العارية من الأوراق ، فى ساحة الكنيسة ‥ ويرسل جيمى صيحة مريرة ، حزينة !

....

....

◆ وسقط كتاب « ادنا » الأسود فارتطم بارض الدرب الذى يتخلل الحديقة ‥ فافاقت من تخيلاتها هـذه التى صـورت لها امورا لم تحدث ‥ وقفزت ، وقلبها يخفق ‥ يا حبيبى ! ‥ لا ، لم يتاخر الوقت ‥ لم تفت الفرصة ‥ كان الأمر كله غلطة ‥ حلما مروعا ! ‥ اواه ، هذا الشعـر الأبيض ‥ كيف تسببت فيه ؟ ‥ لا ، لم تتسبب فيه ! ‥ اواه ، يا للسماء ! اواه ، يا للسعادة ! ‥ انها طليقة من قيود الرهبنة ، شابة ، لم تدخل الدير قط ! ‥ كل شىء لا يزال ميسـورا لها ولجيمى ‥ لا يزال البيت الذى اراده ميسور البناء ‥ والولد الصغير ، الرزين ، الذى يرقبهما ـ وقد عقـد يديه خلف ظهره ، وهما يزرعان الورود ـ هذا الولد ، ابنهما ، لا يزال من الممكن انجابه ‥ واخته الصغيرة ! ‥ على ان « ادنا » لم تكد تصل فى افكارها الى الطفلة ، حتى بسطت ذراعيها ، وكان الصغيرة الحبيبة اقبلت طائرة اليها فى الهواء ‥ واذ تاملت الحديقة ، والزهور البيضاء على الشجرة ، وتلك الحمائم الزرقاء الحبيبة فى رقعة السماء الزرقاء ، و ‥ الدير ، بنوافذه الضيقة ‥ الا تاملت كل هذا ، تبينت انها ـ لأول مرة فى حياتها ـ قد احست اخيرا بشعور ماتخيلت له من قبل مثيلا ‥ وعرفت كيف يكون الوقوع فى ‥ الحب ‥ ولكن ، الحب ‥ الحقيقى ‥ لفتاها « جيمى » !

حوافز الحياة

النفس والجنس.. والمجتمع..

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الآتية على التوالى : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة الزوجية » و « مركب النقص » و « حواء الجديدة » و«كيف تقهرالخجل» و «كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة»

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة» التى شرحها المفكر العالمى«أندريه موروا» : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن التفكير ، وأخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم قرأت معى فى هذا الباب فصول كتاب « غزو السعادة » لبرتراند رسل فكتاب فرويد المشهور «التحليل النفسى» ثم « الجنس الآخر » ، و « عش حياة ايجابية » ، و « أبواب الحب المغلقة » ، و « فن الحب » ، للشاعر الرومانى أوفيد .. ثم « الانتصار على الخوف » ، للاخصائى المعروف « جيمس بندر » .. و «عش بحكمة تعش سليما» للاخصائى الالمانى « برنارد ديتمار » ثم : « كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة » لويلفريد نورثفيلد.. و «كيف تفسر أحلامك » لهربرت هيسبرو .. و « كن متفائلا » .. ثم «تاريخ الغزل» .. و « كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة » .. و « أتح لعقلك حياة جديدة » ، ثم الاجزاء الاولى من « دنيا الحب والسعادة » ... واليوم أقدم لك الجزء الاخير من هذا الكتاب .

دنيا الحب.. والسعادة!

للكاتب الألماني الأشهر "اميل لودفيج"

تلخيص : عبد المنعم محمد الزيادى

العظمة .. بعد الحب والسعادة !

◆ اذا كانت السعادة غاية كل نفس بشرية ، فان العظمة ـ بمعناها النسبى ـ غاية النفوس الطامحة وحدها . ولكن ، ما هى العظمة ؟ .. هل تتمثل فى مركز رفيع ، يسيطر صاحبه على أفراد من المجموع البشرى ، يأتمرون بأمره وينتهون بنواهيه ؟! .. أو هى تتأتى عن الجرى وراء الثروة ، حتى اذا ما تجمعت ، دانت الدنيا لجامعها ، وانحنت الرقاب اجلالا لبريقها ؟! .. هل نعثر عليها فى الفتح والغزو والقهر .. أو فى المحبة والتسامح والعدل ؟! .. هل نصادفها فى خدمة الانسانية والتضحية من أجل تقدمها ورفاهيتها ، وتخفيف آلامها وتضميد جراحها .. أو هى بعيدة عن ذلك الميدان ؟! .. واخيرا ، هل هى فى الأخذ والاستعطاء أو هى فى المنح والعطاء ؟!

لقد قدم اليك « كتابى » ـ فى أعداده السابقة ـ الكثير من الاجابات الشافية عن تلك الاسئلة الدقيقة التى طالما تخبطت فى ذهنك عن الحب، والسعادة ! .. واليوم ، يقدم لك المزيد من الايضاحات لمشكلة أخرى من مشكلات الوجود .. تلك هى : مشكلة العظمة الانسانية ، التى افرد لها المفكر الألمانى الكبير « اميل لودفيج » قسما خاصا من كتابه « دنيا الحب والسعادة » ، بعد ان ينتهى من حديثه عن السعادة ..

فتعال نقرأ الفصل الاخير من هذا الكتاب، لنعرف اين تكمن العظمة الحقيقية؟

اجمع لنفسك ثروة .. من لحظات السعادة !

◆ **خليق** بالمرء أن ينعم بكل قطرة من السعادة التى تتاح له، اذا هو وضع نصب عينيه أن الكون فطر على التقلب والتغير ، وأن الزمن يسير غير حافل ولا متوان ! .. ولقد عرف عن « جيته » أنه كان فذا بين شخصيات التاريخ ، من حيث أنه كان ـ فى كل يوم ـ يستعرض فى دقة ، وذاكرة حاضرة ، كل ساعة من ساعات عمره .. وكان دائما يؤمن بأن لا خلود للزمن ، وان الحاضر سرعان ما يصبح ماضيا .. لذلك كان ـ وهو فى الثمانين من عمره ـ يسترجع لحظات السعادة التى مرت به وهو فى السادسة عشرة ، فيستمرئها ويستعذبها !

وكان الفيلسوف « شوبنهاور » متشائم النفس بقدر ما كان حاد الذكاء .. وقد وصف السعادة بأنها « غياب الشعور بعدم

الابتهاج ! » •• ولكن السعادة فى الحياة قد تكون أكثر ايجابية وحيوية من هذا •• **انها مجموع اللحظات الهانئة ، بل مجموع أهنأ اللحظات •• فالذى يتذكر هـذه اللحظات ، يكون كمن أوتي ثروة مدخرة فى خزائن نفسه ، فلماذا لا يستعرض فى نهاية كل يوم ساعاته ودقائقه ، ليضيف منها الى هذه الثروة ، أو ليستمد من هـذه السعادة المدخرة ما يعوضه عما خلت منه ساعات يومه من هناءة ؟**

تعال نتصور اللحظة التى تسبق استسلامنا للنعاس •• ملايين لا تحصى من الناس تستعيد فى هـذه اللحظة ما مر بها فى اليوم المنتهى من صور ممتعة ، فتعيش فيها مرة أخرى ••

تقول زوجة رجل الأعمال لنفسها : « لقد تكلم الوزير مع زوجى أكثر من عشرين دقيقة ، ودعاه الى زيارته غدا •• الآن استتب مستقبله ، فما أسعدنى ! »

ويقول رجل المال لنفسه : « لو اننى تأخرت ساعة واحدة عن ارسال برقيتى ـ حين هبطت سوق نيويورك ـ لخسرت ثلاثة آلاف دولار ! »

ويقول التلميذ لنفسه : « من حسن حظى أننى انتبهت الى أن عينى المدرس كانتا تراقباننى •• ولولا ذلك ، ما أسرعت الى تدارك الأمر ، ولكنت الآن فى موقف لا أحسد عليه ! »

ويقول العاشق : « عندما ساعدتها على ارتداء معطفها ، أمالت كتفها اليسرى على يدى •• لكم سأحلم بهذه المتعة ! »

ويقول الشاعر : « كانت الغيوم ترين على فكرى فى النهار •• اما الآن وقد بزغ القمر ، فكل شىء يسير سهلا ناعما •• ان فى قسمات وجه القمر ما يذكرنى بحبيبتى •• ترى ما هو وجه الشبه ؟! »

المتعة الحسية وشهوة السلطان

• **والمتعة** الحسية لون من السعادة المشبوبة •• ولكن ، ما الذى يحمل الفلاسفة والحكماء على تحذيرنا منها ؟ •• الواقع

ان السعادة بغير متعة حسية لا تتاح الا لمن كان أفلاطونيا ! ..
على ان المتعة الحسية ليست قاصرة على متعة الجسد .. فهناك ضروب من الشهوات .. هناك اشتهاء المال ، أو العظمة ، أو النفوذ .. الا أن المال هو أكثر الغايات شيوعا ، لأنه الوسيط الذى يتيح تحقيق كل الأحلام !.. والنفوذ أو السلطان شهوة أخرى من الشهوات الشائعة ، وان كانت أعسر من المال منالا..
على اننا لا ينبغى أن ننظر الى مساوئها نظرة خاطئة ، فنظن ان سعادة الديكتاتور ـ مثلا ـ تكون سعادة ناقصة لأنه يحاط بالوحدة ، ولا يعود حرا فى ارتياد الأماكن التى تروق له ، ولا فى الاجتماع بالاصدقاء والخلان ! .. **ذلك لأن هذا الحرمان من الأصدقاء ، وتلك الحرية المفقودة ، هما الثمن للنفوذ والسلطان .. فالانسان الذى يشتهى النفوذ والسلطان يجد فى الظفر بهما متعة وسعادة .. والانتصار على آخر غريم له ، مع الظفر بالسيطرة على الجماهير ، يتحدان فى نفسه مع لذة الأمر ولذة اقامة النظام الذى يرجوه** .. وقد تدفعه النشوة الى أن يستحل لنفسه الانتقام من أعدائه أو اولئك الذين اعترضوا طريقه من قبل .. والتاريخ ـ قديمه وحديثه ـ حافل بأنباء أولئك الذين وجدوا أوج لذتهم فى ارضاء شهوة الانتقام .. ولكننا اذا قارناهم بشخص مثل «قيصر» ، الذى لم ينتقم قط من أعدائه ، بل تناسى اسماءهم ، اتجه اعجابنا واكبارنا الى « قيصر » دونهم !

الفاصل بين المتعة الحسية والمتعة الروحية

◆ **وتشرق** سعادة الشخص الذى يحب الطبيعة ، حين ينصرف ـ بعقل مطمئن ـ الى تأمل شجرة عالية وقد اشرأب بعنقه ، أو الى دراسة نبتة صغيرة وقد أحنى جذعه ليتأملها .. وتزداد هذه المتعة الصامتة اذا ما خلا الى « الميكروسكوب » فى المساء ، مكبا على فحص حشرة من الحشرات ، أو أجزاء من النبات .. **ذلك لأن حب البحث والرغبة فى المعرفة يرقى بالمرء**

أحيانا الى درجة رفيعة من السعادة ، تسمو على المحسوسات المادية ، وتقرب من المتع الروحية !

ولكن ، ما الذى يقرر الحد الفاصل بين المتعة الروحية والمتعة الحسية ؟ ‥ لا جدال فى أن الموسيقى تمثل الأولى ، والمائدة الحافلة بالطعام تمثل الثانية ! ‥ ولكن ، ما قولك فى الخمر مثلا ‥ الى أى المتعتين تنتمى ؟ ‥ انها اذ تنساب من الفم الى المعدة ، تعتبر من المتع الحسية ٠ وشأن شارب الخمر ـ من هذه الوجهة ـ شأن الحيوان اذ يطفىء الظمأ بالماء ‥ غير أن النشوة التى تبعثها الخمر ، خليقة بأن تجعلها من المتع الروحية ! ‥ واذن ، فبين العطش والنشوة ، تقود الخمر شاربها من أبسط الاشكال البدائية للسعادة الى أرقاها ، ثم ترتد به ثانية الى الشكل البدائى ‥ فهى بهذا مثال جديد يبين لنا أن ليس ثمة متعة روحية خالصة ، ولا متعة حسية خالصة ‥ وأن اللذة أو السعادة ـ التى ينشدها البشر جميعا ـ واحدة ، وان تنوعت أشكالها وأسماؤها ‥ فربة البيت التى تحتفظ بما تختزن من أغذية ومواد للطهو فى صناديق أنيقة مرتبة ، تستشعر من المتعة والسعادة ما يستشعره القائد الذى يشرف على تنظيم حفلة استقبال ملكية !

للسعادة أشكال وأساليب مختلفة

◆ **قد يقدر** لأحد الطهاة الأثرياء أن يصحب زوجته الى ملهى ، يستمتع فيه بعشاء شهى وشراب طيب ‥ وقد لا يحفل كثيرا بالموسيقى التى يسمعها ، وقد يرقص شوطا ، ويتناول بعد ذلك كأسا أو اثنتين ، ويتحدث الى بعض المعارف عن الحرب واحتمالاتها ، ثم يستلقى فى نهاية السهرة على سريره الى جوار زوجته التى استمتعت معه بالسهرة ‥ وفى الليلة عينها ، قد يدعو أحد الموسيقيين سيدة من أصدقائه الى عشاء فخم ، يتبادلان خلاله عبارات رقيقة ، ونظرات أرق ، وهما يشربان

ويبتسمان ٠٠ فاذا أوغل الليل ، عزف لها لحنا تحبه ، فتنصت له وهى مستلقية على أريكة وثيرة فى ركن مظلم ٠٠ ثم يجلس الى جوارها ، ويمسك بيدها ، ويحاول أن يقـرأ فى أساريرها الحالمة أثر موسيقاه ٠٠ ثم يخرجان الى الشرفة يتأملان النجوم ، ويناجيان القمر ٠٠ ويشربان كأسين بحجة التماس الدفء !٠٠ مثل هذه السهرة تنتهى الى اثارة الغرائز العاطفية ، خلال اطار من الأحلام الناعمة ٠٠ تأمل هذه السهرة وتأمل قبلها سـهرة الطاهى ، ثم قل لى : اين الحد الذى يفصل بين السعادة الحسية والسعادة الروحية ؟ ٠٠ وهل لأن العاشقين الأخيرين نهجا فى متعتهما أسلوبا راقيا ، يعدان أسعد من الطاهى وزوجته ؟ ٠٠ ان كلا من الأربعة قد استمتع بأرفع أشـكال السعادة كما يراها ، أو كما توحيها اليه طبيعته ٠٠ وكل زوجين خليقان بأن يريا فى الطـريقة التى انتهجها الزوجان الآخـران ٠٠ أمرا مضـحكا ! ٠٠ وهكذا تختلف أشـكال السعادة وأساليبها ومقاييسها ٠٠

السعادة فى الألم والعذاب !

◆ ومن الناس من حـرموا نعمة السـعادة ، فاذا هم يتلذذون بالاحساس بالألم ! ٠٠ وقصص الذين كانوا يسعدون بالعذاب من اجل مبدأ ، أو عقيدة ، أو راى ، غدت اكثر من ان تحصى ! ٠٠ واذا كانت المشاعر كلها ـ حتى الألم والحسرة ـ يمكن ان تتحول الى الاحساس بالمتعة والسعادة ، فان الحسد من دون الاهواء جميعا هو الذى يحطم السعادة ويهدمها ، اذ انه الشعور السلبى الوحيد الذى لا يتسنى لأى فنان مبدع أن يحوله الى احساس بالسعادة ٠٠ فهو يقوض كل دعائم السعادة ، ويفنى ضحاياه شر فناء !

وثمة لون من المتعة لا يكاد يعدله لون آخر ٠٠ ذلك هو : متعة الابتكار !

فصانع الحلوى الذى قضى ليلة الأحد فى بلادة واسـتجمام ، لا يلبث ان يستشعر متعة طاغية عندما يخلو الى فرنه ، ويعد لونا من الحلوى من ابتكاره الخاص • فهو اذ ذاك يستمتع بنفس راضية مطمئنة ٠٠ انه يتحرر من القيود كلها ، فلا يفكر فيما اذا كانت هذه الحلوى ستلقى رواجا فى السوق أو لا تلقى، لأنه حين يصنعها لا يسعى الى هدف معين ، اللهم الا الخلق والابتكار ، ولذلك

تركزت كل حواسه فى لسانه الذى يتذوق به الخليط الذى أعده لحلواه ، ليقدر صلاحيته وصحته ٠٠ وفى ذلك الوقت ، نستطيع أن نقول انه ٠٠ فنان !

وهل هناك أسعد من الشخص المبتدع فى هدوئه ووداعته ؟! ٠٠ فكل من الطاهى ، والطبيب ، والعامل الميكانيكى ، يرى الأدوات والمواد التى يستخدمها فى ميدانه آلهة صغيرة تجمع العناصر بعضها الى بعض ، وفقا لخطة خفية لا يعلمها الا هو ٠٠ انهم يوحدون بين المتنافرات ، ويتغلبون على العقبات ، ويعيدون النظام ٠٠ أو بالأحرى يخلقون النظام من الفوضى والاضطراب !

والسعادة التى ينعم بها الشخص المبتدع ، تتجلى فى هذا البريق الذى يشرق به وجهه ، فيضفى عليه جمالا ٠٠ ذلك لأن اهواءه ومشاعره تحتجب عندئذ ٠ فالنزوع نحو هدف روحى يخلص المرء من علائم الطمع التى ترتسم على الوجوه فى الأحوال الأخرى ! ٠٠ وهذه السعادة التى يستشعرها اهل الابتكار والابتداع ، تبدو عند الفنان اظهر وأجلى منها عند سواه ، لأنه يحس بأن الشىء الذى ابتكره انما هو رمز لما فى نفسه من الهام ، ومشاعر ، وانفعالات ، وافكار ! ٠٠ ومتعة الابتداع التى تداخل المرء حين يفقد كل شعور بما حوله - أثناء لحظات الالهام الكبرى - ليستغرق فيما يبتدع ، متعة طويلة الأجل ، تمتد مع تقدم الفنان فى تحفته خطوة فخطوة ، على مر الأيام ٠٠ فتجده فى فترة الابتكار يشعر - بواعز من بوهيميته وتحرره ونزوعه الى الجمال وانطلاق خياله - بانه سيد الدنيا ! ٠٠ وتجد ان كل جهد يبذله فى تحفته يضفى عليه غبطة بالغة ، ومتعة ضافية ٠٠ لأنه لا يستهدف سوى الجمال ، ومن ثم فان كل جهد يقربه اليه !

الايمان بالموت يضاعف الشعور بالسعادة !!

• والابتداع ذاته ، لا التحفة المبتدعة ، هو الذى يثير فى اهل الابتكار ما يستشعرونه من سعادة ٠٠ ولقد ظل « بلزاك » - بعد أن كتب مائة وعشرين رواية - مشرق الذهن بالأفكار والمناظر الجديدة ، حتى انتزعه الموت ! ٠٠ ورغم ذلك ، لم يكن أقل سعادة - ولا أكثر - من « شيكسبير » الذى كان الكاتب العظيم الوحيد الذى امسك طواعية عن المضى فى التأليف ! ٠٠ ذلك لأن سعادة هؤلاء ، تكمن فى فرحة الابتكار ٠٠ واذا كان الأبطال - فى العصور الغابرة - قد حاولوا أن يتشبهوا بالآلهة ، فان هذا عين ما يسعى اليه الفنانون ، وان اختلفت الوسائل ! ٠٠ فهم يسعون - بابتكار الصور - الى ان يأخذوا من الخلود قبسا ، يحدوهم ويستحثهم الى ذلك تأكدهم من أن الموت لا بد مدركهم ٠٠ مثلهم فى ذلك مثل الانسان الذى يتفادى فناء الجنس بالاكثار من النسل !

وهكذا نرى - مرة أخرى - أن السعى الى السعادة يحدوه الاحساس بأن الموت مقبل ! ٠٠ ومن هنا تنبعث الانفعالات الرمزية فى نفس الفنان ، فتجعل

من كل تحفة ينتجها صورة من حياته . على انه - مع ذلك - لا يعيش وحيدا ، بل لابد له من أن يخرج من مباهج خلوته مع تحفه ، لينغمس فى المجتمع ويتعرض لمخاطره .. ولو ان موسيقيا هبط جزيرة منعزلة ، مقفرة ، لا يعمرها آدمى سواه ، لاستطاع أن يجد فى وحدته هذه عين السعادة التى تداخله كلما عزف ألحانه .. ولكنه لن يلبث - مع مر الزمن - أن يحس بقلق وبحنين الى جمهور المستمعين الذين اعتاد أن يراهم مفتونين بعزفه ! .. وهذا شأن الرسام، والشاعر ، وكل مبتدع أو مبتكر .. انهم لا يستطيعون أن يعتزلوا الناس ليخلوا الى تحفهم مدى العمر ، فهم بحاجة الى تقدير الجمهور ، اذ يجدون فى هذا التقدير تأكيدا لنبوغهم وابداعهم ! .. ومع ذلك ، ففى وسع الفنان أن يتسلل عائدا الى محرابه وعزلته ، متى شاء !

ذكريات الانسان .. تجدد سعادته !

◆ ولا سبيل للمرء الى أن يقارن بين حياته وحياة أجداده الا بالتعلم .. فان العلم يرشده الى أن يدرك ، من تكرار بعض الحقائق المعينة ، مدى ما طرأ عليها من تغير .. وكذلك بازدياد النضوج نجد أن كل احساس بالسعادة يذكى من وقدة التحمس والنشاط .. وبالتالى ، يؤدى اشتداد شعور المرء بالسعادة الى زيادة احساسه بما هو فيه من نعمة ، وما أصابه من حظ . وكل سعادة تعتبر حالة وسطى بين الشروق والغروب ، ومن ثم فالشعور بأن السعادة ليست ثابتة ولا دائمة - وانما هى متغيرة - يزيد من تهافت الانسان عليها ، واستيعابه لها !

وعلى هذا ، قد يصحو المرء من نومه ذات صباح والسعادة تملأ نفسه ، اذ يجد انه موفور الصحة ، والقوة ، والنفوذ .. ولكن هذا الشعور قد يتبدد لأى شىء تقع عليه يده فى ذلك الصباح نفسه .. أو قد يفسده عليه أطفاله ، أو أهله ، أو نفسه ! .. أما اذا لم يلق احساسه بالسعادة ما يعكره ، فان المرء يقبل على عمله فى قوة ونشاط ورغبة .. واذا شاء علماء الاخلاق أن يسموا هذا «فضيلة» ، فنحن نسميه « سعادة » فحسب .. لأن هذا الاسم أكثر ملاءمة ولياقة للانسان !

وفى وسعنا أن نزيد هذا الشعور والادراك بكل الوسائل ، لا سيما أحدثها.. فالانسان اذ يجمع الصور على مر سنى عمره ، ويسجل الأصوات والمناظر ، ينشىء لنفسه ذكريات تملأ فراغ حياته ، وتوسع من نطاقها حتى تبدو كخرافة أو أسطورة .. ولا يهم بعد ذلك أن يدفن هذا الصرح من الذكريات معه اذا ما مات !

والانسان فى اقباله على التزود بالذكريات - وهو يدرك أن الموت لا بد أن يصيبه يوما - يشبه الفنان الذى يظل دائبا على اعداد الرسوم ، تمهيداً لعمل فنى قد لا يقدر له أن يكتمل يوما !

وهذه الرغبة فى جمع ذكريات الحياة ، مع اليقين من الموت ، طالما حفزت

الانسان - منذ أقدم العصور - على الانتاج .. وما كتب « كازانوفا » تلك المجلدات عن نزواته ومغامراته ، رغبة فى تسلية الأجيال المقبلة بعده ، وانما كتبها ليملأ فراغ حياته فى شيخوخته !

.. والمرء اذ يدافع عن نفسه - فى مذكراته الخاصة - قد يجنح الى الخداع والمراءاة ، ولكنه سيظل دائما يخلد لحظاته الراهنة ، ويحاول أن يستمد من معين ذكرياته اطارا يحيطها بالرواء.. فى حين ان الرجل الذى لا يحفل بتسجيل يومياته ، فى غمرة العمل الجدى - سواء أكان مغامرا فى ميدان الهوى ، او قائدا فى ميدان الحرب - يتخبط بين الحقائق الجامدة !

وكذلك كان نابليون .. فهو لم يحفل بالتفكير فى نفسه وما مر به فى حياته ، الا حين اضطر الى الحياة فى المنفى .. فهنالك وجد الفراغ الذى حمله على أن يروى لنفسه قصة حياته ، وعلى أن يتأمل ما تخللها ، ويسترجع ما مر به فيها من لحظات السرور والهناءة ..

مثل هذا الاستعراض السريع الذى يجريه المرء لحياته الماضية ، يثير فى نفسه ذكرى المراحل الزاهرة فى عمره ، ويحفزه على تعهد بستان الذكريات بالرى والتنسيق !

الشيوخ أكثر استمتاعا بالسعادة من الشباب !

◆ وكما تختلف صور السعادة باختلاف الفصول ، تتباين علاقتنا بالموت بتباين مراحل العمر .. فالموت أقرب الى الشباب منه الى سواه من مراحل السن ، لأن النزوات وفورات الانفعال كثيرا ما تدفع بالشبان الى الانتحار ! .. أما فى منتصف العمر ، فيبدأ المرء فى التمسك بالمثل العليا ، ومن ثم يأخذ الموت فى التقهقر الى مؤخرة الذهن ، كما ان تزايد الأبناء ونموهم ينعش الأمل فى الخلود .. ثم يعود الموت الى نفوذه فى مرحلة الشيخوخة .. وهنا نلاحظ ان المرء - وقد بلغ ذروة المعرفة ، أو الثراء ، أو الشهرة ! - لا يتمالك ان يقارن بين نفسه وبين سواه ممن على شاكلته ، ولو دون أن يفطن .. فتجد الغنى فى سن الخمسين يسائل نفسه : « ترى ، هل يفوقنى فى الثراء أحد ، ممن بلغوا الخمسين مثلى ؟ »

وكذلك نلاحظ ان الوصية - التى يكتبها الثرى - تعتبر وسيطا لمغالبة

الموت ، ولو من حيث انها تبقى بعد انتهاء عمر صاحبها ! .. وهنا ، نجد انّ السعادة تستمد ـ بل تنتزع ـ من اليقين بالموت ، اذ نتخذ من الوصية وسيلة لاظهار الايثار لمن نحب ، والانتقام ممن نكره ! .. وعندما يتمثل الموصى أسارير من حرمهم من ميراثه ، ويتخيل لوعة الغيظ والحسرة فى نفوسهم ، يشعر بأنه انما ينتقم من القدر الذى حرمه نور الحياة قبل سواه !

الخلود .. بعد الموت !

◆ والتفكير فى خلود الاسم بعد موت صاحبه ، هو أرفع درجات السعادة ، لأن صاحبه لا يحفل بالموت بقدر ما يهتم بخلود اسمه ومجده .. ولذلك نجد بعض الأغنياء يعمدون الى تقديم الهبات والتبرعات .. ويعلو الشعور بالسعادة عند المخترع والمؤلف ، اذ يشعر بأن اسمه سيظل مدويا من بعده .. ولعل هذا يبدو جليا فيما كتبه « جيته » فى احدى لحظات سعادته هذه : « ان آثار حياتى الفانية ، لن تنسى على مر الأجيال » ! .. ولقد كان سقراط مفعما بالمرح والانشراح فى آخر ساعات عمره !

وهكذا تتخذ السعادة ـ فى أواخر أيام الانسان ـ تلك الصورة التى كانت تتخذها فى اللاوعى ابان الطفولة .. فبدء الحياة ونهايتها يغلفهما الظلام .. أما منتصف الحياة فيسطع بنوره كشمس الضحى !

وعندما قال الأقدمون ان الانسان لا يعتبر سعيدا او شقيا حتى يموت ، لم يكونوا يتلاعبون بالألفاظ .. اذ قد يعيش المرء حياة معتمة ، ثم يمنى بميتة مناسبة تضفى على ذكره نورا ! .. تماما كما يحدث عقب اية مسرحية مفجعة ، اذ يعود النظارة الى دورهم وفى رؤوسهم ونفوسهم آثار المشهد الأخير !

٣ ـ العظمة

عظمة نابليون .. وعظمة هتلر !

◆ فى أصيل أحد أيام الحرب العالمية الثانية ، وقفت سيارة عند بقعة هادئة ، منعزلة ، من بقاع الساحل الغربى لأمريكا ، وهبط منها خمسة أشخاص : فيلسوف ، وموسيقية شابة ، ورجل أعمال وزوجته ـ التى كانت تشتغل بالتدريس ـ وطفلهما .. واستهواهم منظر البحر والطبيعة فى الساعة التى تسبق الغروب ، فاستلقوا على الرمال يستمتعون بهذه الفتنة الصافية .. وسرعان ما أسلمهم السكون الوادع الى نشوة

فكرية ونفسية صرفتهم عن مشاغل الحياة ، فنسوا ما لقوا فيها من نجاح وفشل .. بل ان بعضهم نسى ـ وهو يتأمل المنظر ـ أنه أمام المحيط الهادى ، الذى كانت بعض ارجائه تشهد فى ذلك الوقت أهوال الحرب ..

وأخيرا ، هتف رجل الأعمال : « **يا لله !** » .. فانتبهت الموسيقية من تأملاتها ، وقالت فى لهجة حالمة : « **ما أروعه من منظر !** » .. واذ ذاك قالت المدرسة ، وكانت تكبرها سنا : « **ما هذا بمنظر ، فالمنظر يوحى بالافتعال .. أما هذا فأسميه : الطبيعة ذاتها !** » .. والتفتت الى الفيلسوف تسأله رأيه ، فابتسم قائلا : « **انه على أية حال ، منظر « عظيم » .. أليس كذلك ؟** »

وساد الصمت لحظة .. ثم اعتدل رجل الأعمال ـ وكأنه يهم بمناقشة أمر خطير ـ وقال فى لهجة من شغل بالتفكير فى أمر معين : « اذن ، فأنت تسمى هذا المنظر عظيما ! .. أتراك تقارن الشمس الآفلة بالرجل العظيم ؟ »

قالت الموسيقية : « **الشمس عظيمة دائما .. حتى عند الموت !** »

فقال الفيلسوف : « **ان الذى لا يجتذب الأنظار فى موته ، انما يبرهن على انه لم يكن عظيما فى حياته !** »

وهنا قالت المدرسة معترضة : « **كأن كل شيء يتوقف على الساعة الأخيرة ؟ .. لا ، لست من رأيك . اليك نابليون مثلا .. لقد كانت نهايته تعسة اليمة !** »

ـ بل انه ، على العكس ، مات ميتة البطل الحق .. تماما كما كان فى حياته .

ـ بطل ؟! .. من هو البطل ؟ .. هل كل الأبطال عظماء ؟ .. وهل كل العظماء أبطال ؟

قالت الموسيقية : « حدثنا أولا عن العظمة ! »

وعندئذ قالت المدرسة : « نعم ، هو ذاك ٠٠ ما هى العظمة يا استاذ ؟ »

فابتسم الفيلسوف قائلا : « لشد ما تذكرينني بالمذيع حين يسأل أمام المذياع : ما هو الفيتامين ؟ ٠٠ ان العظمة كالجمال ، لا يمكن تعريفها فى جملة واحـدة ! ٠٠ ما هى الشمس ؟ ٠٠ لو رجعت الى دائرة المعارف لوجدت محيطها ، ودرجة حرارتها ، وبعدها عن الأرض ، وعشرات من الحقائق ٠٠ ولكنك لن تجدى شيئا عما نبصره الآن بأعيننا٠٠وكذلك الأمر بالنسبة للعظمة ٠٠ فهى متعددة النواحى ٠٠ »

وهنا قالت المدرسة ـ وكانت تسمى « دوللى » : « كأنك ترى أن العظمة مجرد احســـاس ؟ » ، فأجاب : « بل هى أكثر من ذلك ، وأقل أيضا ٠٠ اذ انها توجد بلا احساس ٠٠ كما أنها فى الحقيقـة أبعـد من أن تدركها أعمق أحاسيسـنا ! » ٠٠ فتساءل رجل الأعمال : « حسنا ٠٠ أيهما تراه عظيمـا ؟ ٠٠ نابليون ، أو هتلر ؟ » ٠٠ وبادر الفيلسوف مجيبا : « نابليون بالطبع » ٠٠ فقالت دوللى : « ربما كان هذا احساس عام لأن هتلر عدونا ٠٠ ولكن ، كيف تثبت انه غير عظيم ؟ »

سيادة الشعب الألمانى ٠٠ فكرة خرقاء !

◆ **واعتدل** الفيلسوف فى جلسته ، ومسح عدستى نظارته، ثم تفرس فى البحر وكأنه يبحث عن شيء على صـفحته ، أو يستجمع شوارد ذهنه ٠ وما لبث أن قال : « **ان هتلر لا يملك ســوى أن يحطم ، ويدمر ، ويبيـد ٠٠ ان تفكيره ينحصر فى تنصيب شعب معين سيدا على جميع الشعوب ٠٠ فكرة خرقاء لا تصلح لعصرنا هذا ٠٠ انه كالجشع الذى يريد أن يعلو على كل الناس ٠٠ لا ، بل هو كالضعيف الذى يدفعه شعوره بعدم الأمن والاطمئنان الى أن ينسف من حوله ، فلا يلبث أن يضيع هو الآخر وسط الانفجار ، ولا يبقى منه شيء » !**

قال رجل الأعمال : « ولكن نابليون أراد هو الآخر الفتك والتدمير » !

ـ بل كان أول ما فعله نابليـون ـ فى مساء اليـوم الذى استولى فيه على السلطان ـ ان ألف لجنة لوضع قانون جديد ٠٠ لم يخلق ألوانا من الفوضى والاضطراب ، وانما سعى الى وضع حد للفوضى والاضطراب ٠٠ ولا تزال قوانينه باقية ، سارية ، حتى اليوم ٠٠ بعد ١٥٠ عاما ٠٠

وقالت الموسيقية فى استياء : « اذن فأنت تعتبره عظيمـا بسبب قوانينه ؟ »

ـ انما أردت أن أبين أن هتلر لم يخلف قانونا ونظـاما ، ولكنه ترك فوضى واضطرابا ٠٠ ليس عليكم سوى أن تتفرسوا فى صورتى هتلر ونابليون ، وسترون كل شىء فى وضوح !

قالت « دوللى » محتدة : « أتعتقد ان ملامح الشخص تقـرر عظمته ؟ »

ـ انها تنم عنها ٠٠ **ان شكل الرأس وملامح الوجه لا تكذب أبدا ٠٠ وان رؤوس : نابليون ، والاسكندر ، وقيصر ، ودانتى ، وبيتهوفن ، لتكشف لأى متأمل عن معالم النبوغ !**

قال رجل الأعمال : «ولكن ، هب ان نابليون عمد الى التدمير كما فعل جنكيز خان ٠٠ أفلا ترى أن الافكار التى تجـول فى الرؤوس ـ وليست الرؤوس ذاتها ـ هى التى تدفع أصحابها الى العظمة ؟ »

ـ لا هذه وحدها ، ولا تلك وحدها ٠٠ واذا كنت قد ذكرت قوانين نابليون ، فليس معنى هذا أن العظمة تقتصر على كل من يخلف أثرا قائما ٠٠ اذ أن الآثار القائمة لا يمكن أن تبقى أبد الدهر خالدة ٠٠ لابد أن يعدو عليهـا الزمان يوما ٠٠ ومن ثم فليست هناك أفعال خالدة !

العظمة ٠٠ فى شخصية الرجل !

◆ **وواصل** رجل الأعمال الجدال قائلا : « اذا اندثرت أعمال العظيم فما الذى يبقى من عظمته ؟ ٠٠ ولماذا نصف امبراطورا بالعظمة بعد أن تندثر امبراطوريته ؟ » ٠٠ فعقبت زوجته قائلة : « حقا ٠٠ لماذا نصف خمسة أو ستة من الملوك بالعظمة، ونطوى مئات غيرهم فى زوايا النسيان ؟! »

قال الفيلسوف : « لأن خمسة أو ستة من الملوك هم الذين تجلت قوة شخصياتهم ٠٠ **فليست الحرب ولا الفتوحات وحدها هى التى تخلدهم ٠٠ ومع ذلك فللعظمة ألوان عجيبة تبهر الناس ٠٠ من ذلك أن الناس يعجبون بكثير من الطغاة والمستبدين، رغم نفورهم من الطغيان والاستبداد ٠٠ ألم يكن قيصر ونابليون ـ رغم أعمالهما ـ حاكمين مستبدين ٠٠ ديكتاتورين ؟ » ٠٠**
فهتفت الموسيقية تقطع عليه كلامه : « لا ٠٠ لا أصدق هذا » ٠٠ وضحك الفيلسوف قائلا : « أفتعرفون لماذا تدافع اذن ؟ ٠٠ لأنها ـ كامرأة ـ تحس بالعظمة فى شخصية الرجل ٠٠ انها لا ترى من صورة نابليون سوى تعبيرات عينيه ولا تقرأ خلالها سوى الأثر الذى كان يحدثه فى نفوس جنوده ٠٠ ولعلها تذكر جملة أو اثنتين من خطبه ، ودعابة أو اثنتين من طرائفه ، **فتتخال أن حياته لم تكن سوى ملحمة شعرية ـ كما وصفها بنفسه فى نهاية عمره ـ وتنسى الملايين الذين قتلوا فى سبيل تحقيق خططه** ٠٠ انها لاتذكر الا روعة مشروعه لتوحيد أوربا ، وجرأته فى رسم غزواته ، وقوة جنانه ، وسرعة بته فى الأمور ، وبسالته حين كان يقود جيشه بنفسه ، ولهجته فى خطاباته الغرامية ، وعبقريته التى مكنته من أن ينتزع التاج من يدى البابا ليضعه بيديه على رأسه ٠٠ ومئات من الاشياء التى توحى بالعظمة والبطولة »

فسألته المدرسة : « ولم لا تقول نفس القول عن هتلر ؟ »

ـ لأنه لم تعرف عنه كلمة واحدة ، أو مشهد واحد ، أو ايماءة

واحدة ، من معالم العظمة .. لم يرو عنه ما روى عن نابليون مرة ، اذ مر بكوخ «شاتوبريان» ـ الشاعر الذى كان قد نفاه ـ فعمد الى جمع طائفة من أغصان الغار ـ التى ترمز الى العظمة ـ ووضعها على بابه .. **لم يرو عنه ما روى عن نابليون حين تعرضت زوجته الثانية للخطر وهى تضع وريثه الوحيد ، ولم يعد من سبيل الى انقاذ حياتها الا بالقضاء على الجنين، فلم يتردد فى أن يأمر بانقاذ الأم أولا ، مع انه لم يتزوجها الا رغبة فى الحصول على وريث ! .. مثل هذه المأثورات تفوق الحروب والانتصارات فى الاشارة الى العظمة ، لأنها تثير المشاعر وتهز النفوس !**

الشهرة .. دليل العظمة !

◆ **وقال** رجل الأعمال : « ومن أدرانا بأن جنكيز خان لم تكن له مثل هذه المأثورات ، ولكنها لم تصل الينا عبر الأجيال ؟ »

واذ أجاب الفيلسوف بأن هذا من سوء حظ جنكيز خان ، صاحت دوللى : « أفرأيت ؟ .. ان الأمر يتوقف على الدعاية !»

.. فبادر الفيلسوف قائلا : « **بل هى الشهرة .. والشهرة التى تقاوم الزمن ، وتبقى عبر الأجيال ، خير شاهد على عظمة صاحبها ..** »

فقاطعته دوللى قائلة : « ولم تقتصر على الحكام ، كأن لم يوجد بين العظماء فنانون وكتاب ومفكرون ؟! »

ـ هذا ينتقل بنا الى ميدان آخر يختلف تماما عن سابقه ٠٠ فان الآثار الثابتة التى يخلفها رجال الفن والفكر والشعر ، تجعل الحكم على عظمتهم أسهل من الحكم على اولئك الذين يتركون آثارا تتعرض للتغير على مر الزمن ٠٠ اننا لا نعرف شيئا عن « هوميروس » سوى انه كان عبقريا ٠٠ بل اننا لا نستطيع أن نجزم بأنه كان ثمة شخص بهذا الاسم ! ٠٠ ولو لم نكن نعرف شكسبير ، وموزار ، وشوبير ، وبيتهوفن ، لمجدناهم فى آثارهم ، دون اسمائهم ، كما نفعل ازاء « الجندى المجهول » ! ٠٠ على ان هناك فريقا من الفنانين تتمثل عظمتهم فى اشخاصهم ، لا فى أعمالهم ، فهى تختفى بزوالهم ٠٠ كالممثلين والمطربين ٠ وما بقيت شهرة العازف الموسيقى « باجانينى » الا لأنه أحاط نفسه بما كان يجعل النساء يفتتن به ٠٠ ولا خلد ذكر « كازانوفا » الا لغرامياته ٠٠

قالت الموسيقية : « اذن ، ليس حتما على المرء أن يحيا حياة فاضلة لكى يصبح عظيما ؟ »

ـ لا ٠٠ هناك عظمة تتسم بالفضيلة حقا ، ولكن العظمة ـ فى أصلها ـ ليست رهنا بالأخلاق والفضيلة !

قال رجل الأعمال : « الا ترى الفاضل عظيما ؟ ٠٠ عامل اللاسلكى ـ مثلا ـ الذى يتفانى فى عمله فلا يبرح سفينته حتى يصيبها الطوربيد فيغرق معها ٠٠ الا تراه عظيما ؟ »

ـ سمه بطلا ان شئت ، ولكنه ليس عظيما ٠٠ فما كل الأبطال بعظماء !

علاقة العظمة بالجمال

◆ وهنا صاحت دوللى : « اشعر بانك متحيز لرجال الفكر والفن، اكثر من تحيزك لرجال العمل »

ـ بل أنا بعيد عن التحيز ٠٠ لو ان عظمة «ماركس اوريليوس» اقتصرت على انه كان امبراطورا على روما ، ما بقيت طويلا ٠٠ ولكن عظمته قامت على تاملاته وفلسفته ٠٠ ومن ناحية اخرى ، نجد ان عظمة الإسكندر لا تقوم على القليل

الذى عرفناه عن أفكاره .. فالمنافسة بين الفكر والعمل لا تنتهى دائما بفوز أحدهما دون الآخر ..

فقالت الموسيقية : « ولكن الاسكندر كان جميلا ! »

قالت المدرسة : « جميلا ؟! .. لو أخذنا بهذا لكان كل جميل من نجوم السينما عظيما » !

فقال الفيلسوف : « هكذا يظنون .. ولكن ، اذا اتصف أى فاتح بالجمال ، فهذا ولا شك جزء لا يتجزأ من عظمته .. لأن الجمال يغذى الأساطير التى تؤلف قصة حياته »

وهنا قال رجل الأعمال : « أحسب اذن ان ليس بين العظماء قبيح ؟ »

فاجاب الفيلسوف : « هناك كثيرون .. فولتير مثلا ، ودانتى .. بل لقد كانت خلقة سقراط شوهاء ، ولكن العظمة كانت تشع منهم جميعا .. »

حياة مكتشف أمريكا .. انتهت بغلطة !

◆ قال رجل الأعمال : «فهمت من كل هذا ان الروح الانشائية لدى الحاكم ، أو روح الابتداع لدى الفنان ، هى « سر العظمة » .. فما الذى يبين العظمة فى المغامر ، أو المكتشف ؟ »

ـ الشخصية .. لماذا أصبح « كولمبس » أشهر ذكرا فى العالم من « فاسكو دى جاما » ؟ .. ان الفضل يرجع الى شخصيته ، وقصته .. كان نكرة ، يكسب دراهم معدودات من عمل شاق فى البحر ، وفى راسه شتى الأحلام .. وقد مكث عشرين عاما يحدث القوم فى تحمس عن أحلامه ومشروعاته الخيالية ، حتى قدر له أن يؤثر على أعظم ملكة فى زمانه ، فقبلت التضحية بجواهرها وسفنها لهذا المغامر .. واكتشف « كولمبس » عالما جديدا دون أن يدرك ، ثم عاد فكبل بالسلاسل ، واهين ، ومات منسيا .. هذه القصة هى التى تنطق بالعظمة .. قصة انتهت بغلطة كبيرة !

واستأنف رجل الأعمال حديثه قائلا : « فهمت كذلك انك تقرن الشهرة بالعظمة »

ـ ان الشهرة هى التى تقرر ـ بمرور الزمن ـ ما اذا كان المرء عظيما .. فعبقرية الرجل قد تنسى وتتوارى بعض الوقت ، ثم تبرز اعماله وآثاره فجأة ، فاذا به يسلك فى عداد العظماء .. هكذا كانت حال « كوبرنيكس » و « جاليليو » اللذين اتهما بأنهما دجالان أفاقان ، فى بداية الأمر .. وهكذا كانت حال أكثر من فنان ورسول .. (وهكذا كانت حال «خوفو» و «رمسيس» وغيرهما من الفراعنة) .. ان كثيرا من المنتجين يلقون من التقدير فى جيلهم فوق ما يستحقون ، ثم لا يلبثون أن يروحوا بين طيات النسيان .. ولكن هناك

فريقا لا يلقون حقهم من التقدير فى زمانهم ، ثم يحظون بالتقدير بعد أجيال ٠٠ وهذا يفسر سر العزلة التى يلوذ بها رجال فى الدرجة الأولى من النبوغ ، بينما يتهافت من هم فى الدرجة الثانية على الاضواء ٠٠ قارنوا رأس وشخصية شارل الخامس ، برأس وشخصية أحد معاصريه ، وهو « سيزار بورجيـــا » ٠٠ كان « شارل » عاهلا عظيما ، ولكنه كان يعيش فى عزلة ٠٠ أما « سيزار » ـ ابن السـفاح ! ـ فكان لا يقعد عن السعى للظهـور ٠٠ انظروا الى ملامح « ميكل انجلو » ، وملامح البابا « يوليوس الثانى » ، ترون الفرق بين العبقرية المنطوية، وبين الحياة البراقة !

الرسام الذى كان يحسده الملوك !

◆ قال رجل الأعمال : « وبماذا تسمى أولئك الذين قدرت أعمـــالهم فى حياتهم ، وخلدت سيرتهم بعد موتهم ؟ »

ـ أسميهم سعداء الحظ ٠٠ لعلك تفكر فى مــوزار ورفائيل وهايدن ؟ ٠٠ على انك لو سألتنى عن أعظم مثال للعظيم الذى نعم بشهرة ذائعة فى حياته ، كما خلد بعد مماته لقلت انه ٠٠٠

فهتفت الموسيقية : « لورد بايرون » ٠٠ وقالت المدرسة : « أوغسطس ٠٠ »

ـ قد يكونا كذلك ٠٠ ولكن العبقرى الكامل الذى أعنيه هو : « تيسيان » !

وبدت معالم الخيبة على وجوه الآخرين ، وقالوا : « انه غير معروف »

ـ لقد كان من أعظم الرسامين الذين عـــرفهم الجنس البشرى ، ان لم يكن أعظمهم طرا ٠٠ وفى الوقت ذاته ، كان الملوك يحسدونه على عيشه ٠٠ كان كاملا فى كل شىء ٠٠ فى الفن ، وفى الحب ، وفى الشهرة ٠٠ ولم أر مثله فى عصرنا هذا سوى ٠٠ « توماس اديسون »

فصاحت « دوللى » فى خيبة ظاهرة : « ولكن ٠٠ لماذا اخترت اديســـون ؟ حقيقة انه اخترع المصباح الكهربائى ، و « الفـونوغراف » ، كما أظن ان له صلة أيضا بالسينما ٠٠ وربما بالراديو كذلك ، ولكن ٠٠ »

ـ كلا ٠٠ ليس السبب هو المصباح الكهربائى ولا « الفونوغراف » ٠٠ وانما السبب أن اديسون أوتى شخصية قوية مكتسحة تأسر كل من اتصل بها ٠٠ لقد كان هرما حين رأيته ، ولكن رأسه لم ينحن قط ، بل بدا كان الزمن يزيده استقامة وثباتا ٠٠ وضحكته الشابة ، وصوته العالى ، وبعـده عن التكلف والتظاهر ، والمرح الذى يشع منه ٠٠ هذه وحدها كانت تنطق بعظمته ٠٠ فضلا عن أعماله الخالدة وآثاره العظيمة ٠٠ وان مخيلتنا لتربط هذه الشخصية العظيمة فى أذهاننا بالكفاح الذى كافحه ضد خصـومه ومعارضيه ٠٠ الكفاح الذي أنار للعالم سبيله !

الموت .. مفتاح لادراك حياة الانسان !

◆ فقال رجل الأعمال : « اننا دائما نعكس أنفسنا على عظمائنا المعاصرين .. فمن تراه عظيما بين معاصرينا ؟ »

ـ لا يسعنى أن أرد على هذا السؤال حتى نلتقى فى سنة ٢٠٠٠ على هذا الشاطىء نفسه ! .. فلن يتغير من المحيط الهادى شىء .. ان تعاون كثير من العقول فى العمل الواحد فى أيامنا هذه ، يجعل من العسير الكشف عن قيمة الفرد الواحد ومدى ما أنجز من أعمال ! .. حقيقة ان عندى بعض أفكار عن عظماء العصر ولكنى لا أستطيع أن أتحقق من شىء .. وليس فى وسع امرىء ان يحكم بعظمة زعيم معاصر ، الا اذا عرف كل الحقائق عنه ، فى حين ان جانبا كبيرا من هذه الحقائق ما زال سرا مكتوما فى الوثائق الرسمية .. ثم ان احدا لا يدرى كيف سيقدر لهذا الزعيم أن يموت .. فحياة بدون المنظر الختامى حياة ناقصة ، كتمثال أو مسرحية لم تتم !

فقالت الموسيقية : « اذن فأنت تعتبر الموت جزءا من الحياة ؟! »

ـ بل أكثر من هذا .. انه المفتاح الى ادراك حياة الرجل .. فمثلا ، كيف يكون المسيح بدون ميتته المفجعة ؟!

فقال رجل الأعمال ، فى لهجة من لا يصدق ما يقول : « كأنى بك ترى ان كل شهيد لابد وأن يكون عظيما ؟! »

ـ كلا ، مطلقا .. فليس المسيح عظيما لأنه صلب فقط .. والا لكان ضحايا النازية الأبرياء عظماء كلهم .. بل ليس المسيح عظيما لأنه دعا الى فكرة عظيمة ومبدأ رائع ، وانما لأنه عاش بالفعل فى فكرته ودعوته .. ودفع حياته ثمنا لها !

عظمة النساء .. وراء الأبواب !

وصاحت دوللى نافدة الصبر : « انك لا تفتأ تتكلم عن الرجال فحسب ، كما لو لم تكن هناك نساء عظيمات ! »

ـ ذلك لأن عظيمات النساء شىء نادر .. والعظمة فيهن أكثر تعقيدا وأشد غموضا ! ولعل عظيمات التاريخ كلهن ، يتدخل عامل واحد مشترك فى سر عظمتهن .. ذلك أنهن جميعا كن نساء ! .. اقصد أن انوثتهن كانت هى الحاسمة فى تقرير عظمتهن ، بخلاف الحال فى معظم عباقرة الرجال .. ولنا فى حياة الملكات والأميرات أبرز مثال .. فكاثرين العظيمة مثلا ، كانت متأثرة الى حد كبير جدا بحياتها الجنسية .. كما أن الملكة اليزابيث ـ ملكة انجلترا ـ كانت تسترسل على سجيتها الأنثوية أكثر مما تعمد الى طبائعها الملكية فى أكثر من لحظة من لحظاتها الحاسمة !

فسألت المدرسة فى تحد ظاهر : « ألا تظن أن بين النساء عظيمات من الصنف الباسل الجرىء ؟ »

ـ قد تجدين مثل هؤلاء فى الشعوب العاطفية الشديدة الحساسية كالفرنسيين والروس .. ولكنك لن تجدى أمثال « جان دارك » بين الساكسونيين .. اننى اعجب بالمرأة التى تعتنق المبدأ أو تمتشق السيف للدفاع عن قضية الحرية ، أكثر مما أعجب بالرجل الذى يدافع عن القضية نفسها ، لأن المشـقة عندها مضاعفة ، اذ أن حمل السلاح ليس من شيمة الأنثى !

ـ أتريد أن تقول اننا نأتى فى المرتبة الثانية ؟

ـ لا .. على العكس ! انكن تأتين فى المرتبة الأولى ، فان للنساء دائما المقدرة على أن يجعلننا نحس بهن ، وهذا شىء يندر حـدوثه بين الرجال .. ومن ثم فالمرأة لا تحتاج الى العظمة مثلما تحتاج الى الجمال ، والسحر ، والجاذبية ! .. ولقد كانت النساء فى مختلف العصور مبعث العبقرية والالهام ، ولكننا لا ندرى تماما ماذا فعلن ، لأن ذلك انما حدث وراء أبواب مغلقة دونهن ! .. عـلى أن بعض مآثر النساء وصلتنا على نطاق ضيق ، وعن طريق المصادفة فحسب .. من ذلك ما فعلته « كليوبترا » الحسناء الشابة ، عندما لفت نفسها فى بساط لتتحايل على لقاء « قيصر » .. هذه عبقرية أضعها فى صف واحد مع اكتشاف كولمبس للقارة الأمريكية ! .. على ان المرأة نادرا ما تبدى عبقريتها للناس ، الا اذا كانت ثائرة ، تسعى الى قلب الأوضاع ! .. فما حصلت عليه نساء العالم خلال الأربعين سنة الماضية ـ عندما تساوين فى الحقوق مع الرجل ـ ليس بالشىء الحاسم .. ان المرأة لم تكن عظيمة قط الا فى الحياة الخاصة ، وهذا هو السبب فى صعوبة احصاء عظيمات النساء ، وهذا هو السبب أيضا فى انكم تجدوهن فى القصص والروايات .. عندما يشاء فنان أن يخلدهن ! .. فصوت المرأة الحافز الملهم لا يسمع الا فى خلوة .. تماما كما تستمعين الى صدفة البحر برفعها الى أذنيك !

تم الكتاب

العمياء لوحة خالدة من معروضات متحف (برمنجهام) ، للفنان « ميليه » ، تمثل امرأة ضريرة وعلى حجرها آلتها الموسيقية « الاكرديون » ، وقد ارتمت ابنتها على صدرها

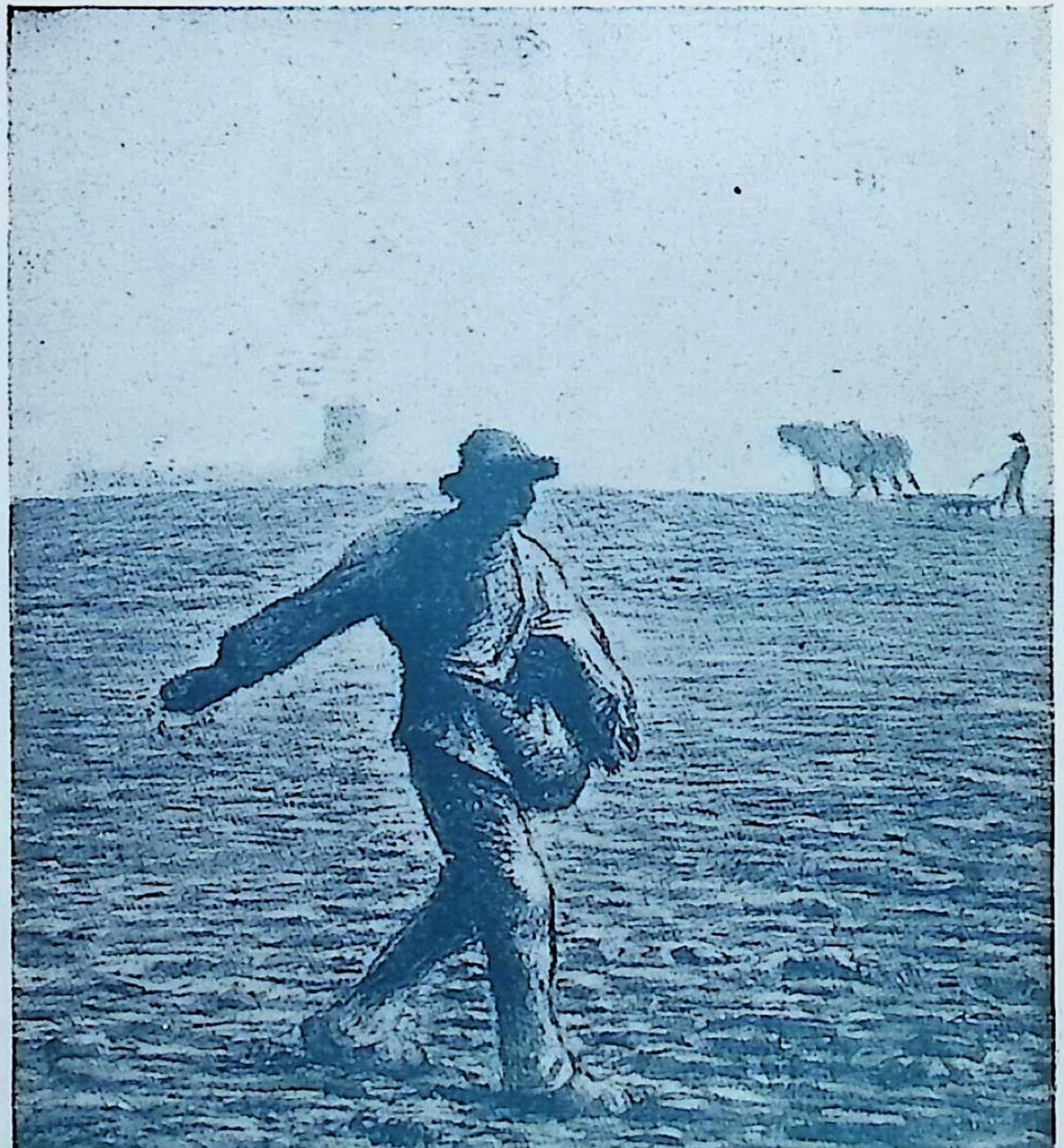

زارع يلقى البذور .. لوحة معبرة عن كفاح الفلاح الكادح فى الارض ، بريشة الفنان « ميليه » (١٨١٤ - ١٨٧٥) . وهى من ناحية اخرى رمز « للحاضر » يبذر بذور « المستقبل » !

للكاتب الفرنسي الكبير "ألفونس دوديه"

زوجات الفنانين!

مأساة أديب .. تزوج !

• كل فنان يستطيع بلا شك ان يتزوج ، ولكن .. هل فى وسع أى فنان أن يهنأ بالزواج ؟.. وهل فى وسع أية فتاة تتزوج من فنان ، أن ترى فى زوجها مخلوقا غير الرجل العادى .. مخلوقا مرهف الحس ، قد تبدد خياله والهامه كلمة عابرة القيت دون اكتراث ، وقد يقضى على روحه ونبوغه تصرف نزق صدر بغير قصد ؟!

ان زواج الفنان مشكلة محيرة .. وقد تناولهـا الكاتب الفرنسى « ألفونس دوديه » بالعلاج فى أسلوب قصصى رائع ، فى كتابه القيم : « زوجات الفنانين » ، الذى قدمت لك الجزء الاول منه فى العدد الماضى ، وكان فى صورة حوار يدور بين رسام متزوج .. وشاعر فى طريقه الى الزواج ..

واليوم ، يروى الرسام المتزوج لصديقه الشاعر - فى الفصل الثانى من كتاب « دوديه » - قصة أديب تزوج .. فمات !!

مدام « هرتبيز »

• لم تكن قد خلقت لكى تتزوج من فنـان .. ولا لتتزوج من ذلك الفنـان بالذات .. ذلك الشاب الذى أوتى عواطف مشبوبة ، متأججة ، متدفقة..والذى كان يسير فى الحياة شامخ الانف ، فى تحد لجميع الاوضاع والتقاليد .. حاملا معه ذلك الاسم الغريب : « هرتبيز » !.. فأية معجزة تلك التى جمعت بين هذه الشابة التى نشأت فى متجر للمجوهرات - وسـط الساعات والحلى - وبين هذا الشاعر ؟!

كانت تبدو متألقة البهاء ، وسط المجوهرات المعروضـة فى المتجر .. ذات عينين تفيضان باللطف والابتسام ، وقوام ملتف رشيق .. ولم تكن جميلة بالمعنى المعروف ، ولكنها كانت متعة للنظر .. وكانت أنيقة ، صفف شـعرها على نسق بديع فوق جبهة ضيقة ، ينم خلوها من التجاعيد عن خلو رأسـها من الافكار ، أكثر مما ينم عن صغر السن ونضارة الشباب !

.. على تلك الصورة أحبها « هرتبيز » ، وخطبها من أبيها ، وفاز بها دون ما عناء ، اذ كان على شيء من الثراء !

ولم يرق لها شيء فى هذا الزواج سوى انه أتاح لها الحياة الى جانب مؤلف معروف ، يستطيع أن يقدم لها ما تشتهى من تذاكر المسرح ! .. أما « هرتبيز » ، فيبدو أن ما فتنه فيها هو ذلك الاطار الذى كانت محوطة به فى متجر المجوهرات ، وتلك الحركات ذات الرشاقة المتكلفة ، والاشارات المفتعلة ، والفم المضموم .. فخالها آخر طراز من الباريسيات ، وهو الذى ولد فى الريف ، وظل طوال عمره ـ فى قرارة نفسه ـ فلاحا !

وطابت له السعادة فى بادىء الامر ، وراقت له حياة الاسرة التى حرم منها طويلا .. ثم اعتزل أصدقاءه عامين ، لائذا بالريف .. ولكنه كان لا يقوى على البعد عن باريس ، فاكتفى من الريف بالضواحى المتطرفة للعاصمة .. مثله فى ذلك مثل المريض الذى ينصح له طبيبه بالاقامة فى جو البحر ، فما أن يشعر بأنه أضعف من أن يحتمل الهواء الى جوار البحر ، حتى يقنع بتنسمه على بعد أميال !

* * *

◆ **وأخذ** اسمه يظهر تحت بعض المقالات فى الصحف والمجلات ، فى فترات متباعدة .. ومع هذا الانتاج القليل ، فان مقالاته لم تكن فى مستوى البلاغة الذى عهد عنه من قبل ، فكنا نعلل أنفسنا قائلين : « انه ولابد غارق فى السعادة .. ان الرفاهية تفسده ! »

على أنه ما لبث أن عاد الينا ، فما أن رأيناه حتى أدركنا أنه لم يكن سعيدا .. كان شاحب الوجه ، مكفهر المحيا ، عابس الاسارير ، وقد غابت ضحكته العذبة المدوية ، ونم جفاء طباعه عن غضب كظيم .. وجعل منه كل هذا رجلا آخر غير شاعرنا المعهود !.. غير أن كبرياءه كانت تمنعه عن الاعتراف بأنه

أخطأ عندما أقدم على الزواج ، فلم يكن يشكو لأحد ، وان كان أصدقاؤه القدامى - الذين فتح لهم أبواب منزله من جديد ، فراحوا يترددون عليه - لم يلبثوا أن تبينوا عن يقين انه منى بأبعد الزيجات عن التوفيق ، وأن حياته قد نأت عن مجراها ..

أما مدام « هرتبيز » - زوجته - فقد بدت على النقيض منه ..رأيناها - بعد عامين من الزواج - فى نفس الصورة التى بدت لنا فيها فى الكنيسة ، يوم عقد الزواج .. نفس الابتسامة اللطيفة الهادئة ، ونفس الاناقة التى كانت تحرص عليها وهى تتولى البيع فى متجر المجوهرات .. لم يتبدل فيها سوى انها غدت رزينة ، وانطلق لسانها فأصبحت تجيد الكلام !..

فما أن كان « هرتبيز » يندفع فى مناقشة موضوع فنى ، متحمسا فى ابداء الآراء والحجج ، حتى يرتفع صوت زوجته يقطع عليه استرساله ، فيضطر الى الانصات الى أفكار تافهة ، أو آراء خاطئة ، غالبا ما تكون بعيدة عن موضوع النقاش ! .. وكان الحرج والارتباك يستوليان عليه ، فيرمقنا بنظرات كلها اعتذار وكأنه يسألنا الصفح ، ويروح يحاول استئناف ما انقطع من حديث جدى .. ولكنه لا يلبث أن يؤثر الصمت ازاء المعارضة النزقة الملحة ، والآراء الطائشة الجوفاء !

على أن هذا الصمت كان يغيظ الزوجة ، ويلوح لها أكثر مساسا لمشاعرها واهانة لها ، من أى شىء آخر .. فسرعان مايرتفع صوتها حادا ، صاخبا ، كأنه طنين الذباب .. وتتمادى فى نقدها الفارغ ، حتى ينفد صبر زوجها فى النهاية ، فلا يتمالك نفسه ، وينفجر هو الآخر فى غضب جارف !..

وكانت هذه المشاجرات تحدث باستمرار ، وتنتهى بالدموع .. ولكن الزوجة كانت تخرج منها وقد ارتاحت أعصابها ، وهدأت نفسها وانتعشت ، وبدت كالحشائش الخضراء الظامئة بعد أن رواها المطر .. أما هو ، فكان يخرج من هذه المشاجرات مهدما ، محموما ، عاجزا عن أى عمل !.. على أن حدته هذه لم

تلبث أن فترت شيئا فشيئا ، حتى خمدت !

ولقد قدر لى أن أشهد احدى هذه المشاجرات الأليمة ذات مساء ٠٠ وبينما غادرت مدام « هرتبيز » المائدة منتصرة ، رأيت زوجها لا ينفك يحدق في الارض ، منكس الرأس - كما كان طيلة الشجار - حتى اذا أحس بأن زوجته سارت الى الباب ، رفع رأسه ، فاذا أساريره تطفح بنقمة وازدراء لاسبيل الى وصفهما !٠٠ وكان وجهه محتقنا ، وعيناه مغرورقتين ، وفمه يختلج بابتسامة عصبية ، ساخرة ، تثير فى النفس أسى واشفاقا ٠ وما أن أغلقت الزوجة الباب خلفها فى عنف حتى بدرت منه اشارة ساخطة ، كعبد يتذمر وراء ظهر مولاه ٠٠ وسمعته يتمتم بصوت مختنق : « **آه !٠٠ لولا الطفل ٠٠ لفررت !** »

ذلك لانهما كانا قد أنجبا طفلا جميلا ٠٠ وكان الصغير المسكين مهملا ٠٠ يترك طيلة يومه فى الحديقة ، يحبو على أرضها ، ويلعب مع الكلاب والحيوانات المنزلية التى كانت تكبره فى الحجم ٠٠ **وكانت أمه لا تنظر اليه الا لتبدى اشمئزازها، وتعبر عن استيائها لأنه لم يودع احدى دور الحضانة !** ٠٠ فلقد ظلت - فى الواقع - محتفظة بعادات عاملات المتاجر من بنات الطبقة المتوسطة ، وبما جبلن عليه من فوضى فى حياتهن الخاصة ٠٠ وكانت تقضى سحابة يومها فى التجوال فى الشوارع ، تستعرض الثياب الأنيقة وآخر أساليب تصفيف الشعر ٠٠ كانت بهذا تسترجع ذكريات

حبيبة الى قلبها ٠٠ ذكريات القسم الخلفى من المتجر ٠٠ ذلك المكان المعتم ، الذى تتناول فيه البائعة طعامها فى عجلة ، على مائدة عارية من أى غطاء ، وقد أرهفت أذنها نحو الباب ، تأهبا للاسراع لاستقبال أى عميل جديد !٠٠ وما كان تجوالها فى الشوارع الا عادة من عادات هـذا الماضى ، فالشارع هو أهم شىء فى أوساط البائعات ٠٠ انه طريق المشترين ، والمتسكعين ، وأسراب الناس الذين يتمشون متنزهين فى فراغهم أو عطلاتهم ٠٠ ومن هنا كان ضجر هذه التعسة وشكواها من مقامها فى الضواحى الريفية ، وتخسرها على باريس !

★ ★ ★

◆ **أما** « **هرتبيز** » فكان على العكس منها ٠٠ كان فى حاجة الى هواء الريف من أجل صحته وصفاء ذهنه ٠٠ وكانت باريس تبعث فى نفسه سقما كذلك الذى يحسه ابن الريف اذا زار المدينة ٠٠ ولكن زوجته لم تشأ أن تدرك هذا ، فكانت لا تكف عن الشكوى من الحياة فى هذا « المنفى » !٠٠ وعمدت ـ لكى تروح عن نفسها ـ الى دعوة صديقاتها القـديمات الى دارها ، فكن ـ فى غياب زوجها ـ يعبثن بأوراقه ، ويقلبن صـفحات مذكراته والمؤلفات التى يكون عاكفا على وضـعها ٠٠ وكانت لا تفتأ تقول لكل صـديقة : « **ألا ترين ياعزيزتى ، كم هو مضحك !٠٠ انه ليحبس نفسه هنا ليكتب هذا ٠٠ ويروح فى الحجرة ويجىء محدثا نفسه ، وليس معه أى انسان ٠٠ أما أنا ، فلست أفقه شيئا من عمله هذا !** »

وتسرف فى اظهار الأسى والندم ، وفى الحديث عن الماضى ، قائلة : « آه !٠٠ ليتنى كنت أعرف ٠٠ لشد ما أشعر بالحسرة كلما فكرت فى انه كان بوسعى أن أتزوج « أوبيرتو وفاجون » ـ صاحبى أحد محال بيع الاقمشة! ـ وكانت تذكر اسمى هذين التاجرين معا دائما ، كأنما كانت تنـوى أن تتزوج الاسم

التجارى لمتجرهما ! ٠٠ وما كانت لتحجم عن ترديد هذا القول فى حضور زوجها ٠٠ بل انها كانت لا تفتأ تزعجه ، وتصرفه عن العمل ، وتدعو صديقاتها الى الحجرة التى يخلو فيها زوجها الى أعماله الأدبية ، فيرحن يثرثرن بأصوات حادة ، مرتفعة ٠٠ وتتعمد أن تحدثهن - فى ازدراء واستهجان - عن مهنة الأدب التى لا تدر على صاحبها مالا وفيرا ، والتى تبدو أشق ساعات العمل فيها كما لو كانت فترات لهو وبطالة !

★ ★ ★

◆ **وحاول** « هرتبيز » - من وقت لآخر - أن يفر من هذه الحياة التى كان يزداد - فى كل يوم - شعورا بأنها توشك أن تقضى عليه ٠٠ فكان يهرب الى باريس ، فيستأجر غرفه فى أحد الفنادق ، ويحاول أن يوهم نفسه بأنه مازال أعزب ٠٠ بيد انه كان لا يلبث أن يتذكر ولده ، فيتولاه شوق طاغ الى تقبيله ، يدفعه للعودة الى الريف فى مساء اليوم ذاته ٠ **وكان - فى هذه الحالات - يصطحب أحد أصدقائه ، تفاديا للشقاق الذى قد ينشب بينه وبين زوجته ، ويستبقى هذا الصديق اطول مدة ممكنة !٠٠ فقد كان ذكاؤه اللامع يعاوده ، وقريحته تواتيه ، اذا ما ألفى أنه غير وحيد مع زوجته !٠٠ وتتدفق الافكار والالهام الى ذهنه بعد طول انقطاع ٠٠ فاذا ما تأهب الصديق للرحيل ، راح يتشبث به ، ويلحف فى دعوته الى اطالة زيارته !٠٠ ولكم كان يبدو حزينا حين يصحبنا الى محطة**

« الاوتوبيس » الذى يقلنا الى باريس !٠٠ فاذا ما تحركت بنا السيارة ، كنا نراه يتحول فى كآبة وتلكؤ ، ليسير الى منزله بخطى متثاقلة ، وقد انحنى ظهره ، ونكس رأسه ، وتصلبت ذراعاه ، وانتصبت أذناه تنصتان الى أزيز السيارة وهى تبتعد عنه !

ذلك لأنه لم يعد يطيق البقاء منفردا مع زوجته ! ٠٠ ومن ثم أخذ يسرف فى دعوة أصدقائه ، حتى لم تعد داره تخلو من زائر ٠٠ وقادته طيبة قلبه ، وكرم نفسه ، وما كان يستشعره من ضجر ، الى أن يحيط نفسه بطائفة من الأدباء الجياع ، والكسالى الخاملين ذوى العقول الملتاثة ٠٠ **وكان غباء زوجته وعجزها عن تقدير الناس ، يجعلانها تستمرىء صحبة هؤلاء الأصدقاء ، اذ تراهم ظرفاء ، وتخالهم أرفع قدرا من زوجها ، لأن أصواتهم كانت تعلو على صوته !** ٠٠ وهكذا أخذت الحياة تمضى فى مناقشات سخيفة ، مفعمة بالكلمات الجوفاء ، والفكاهات الممجوجة ٠٠ و « هرتبيز » المسكين ــ وسط هذه الضجة ــ صامت ، شارد ، يقنع بالابتسام وهو يهز كتفيه فى استسلام يائس ! ٠٠ وكان هؤلاء المنكودون يظلون حول المائدة أحيانا ــ بعد الفراغ من الطعام ــ ملتفين حول زجاجة من الخمر ٠٠ ولا يلبث أن يعلو ضجيجهم فى حوار طويل لا موضوع له ولا مغزى ، فيحس الزوج البائس بأنه يوشك أن يختنق ٠٠ واذ يشتد به الاشمئزاز ، ويرى نفسه عاجزا عن طرد هؤلاء المناكيد ، يعمد هو الى الفرار ، فيتغيب عن داره ثمانية أيام كاملة ٠٠ وكان يقول لى فى تلك الظروف :

ـ ان دارى مزدحمة بالأغبياء ، فلست أقوى على العودة اليها !

وانتهى به الأمر الى أن انقطع عن الكتابة ، وبدأ اسمه يتوارى ، كما أخذت موارده فى النضوب بسبب اولئك

الشريدين الذين كانوا لا يتورعون – بل لا يكفون – عن بسط أيديهم اليه طامعين !

* * *

◆ **ومضت** مدة طويلة لم أره خلالها ٠٠ ثم تلقيت – ذات صباح – رسالة أدركت انها منه ، اذ كانت تحمل ذلك الخط الدقيق ، الحبيب ، الذى كان ثابتا واضحا فى الماضى ، فأصبح مهتزا ، مضطربا ٠٠ وقرأت فى رسالته هذه العبارات : « اننا فى باريس ، فتعال لزيارتنا ٠٠ اننى أشعر بالسأم »

وذهبت ٠٠ فوجدته وزوجته وابنه وكلابهم وقد احتلوا منزلا صغيرا فى حى (باتنيول) ٠٠ وكانت الفوضى تنتشر فى كل ارجاء المنزل ، وكأنها تطارد النظام ٠٠ بل انها كانت فى هذا المنزل أشد ظهورا منها فى الريف ٠٠ وكان الابن والكلاب يلعبون فى الحجرات الرحبة ، **بينما استلقى الأديب فى الفراش مريضا ، وقد ولى وجهه نحو الحائط ٠٠ أما المرأة – أقصد الزوجة – فكانت فى أبهى زينتها ، لا تكاد تجشم نفسها عناء النظر اليه !**

وقالت لى فى غير اكتراث : « لست أدرى ما الذى أصابه ! »

أما هو ، فلم يكد يرانى ، حتى استعاد شيئا من مرحه ٠٠ ولكنه لم يقو على أن يحتفظ به طويلا ، اذ لم يلبث أن تلاشى ٠٠ ولما كانت الأسرة قد احتفظت فى باريس بما كان لها من تقاليد فى الريف ، رغم الضائقة التى كانت تعانيها ، فقد حدث حين آن موعد الغداء ، أن أقبل زائر من الطفيليين ٠٠ أو بالأحرى من « طفيليات » المجتمع ! ٠٠ وكان أصلع الرأس ، ضئيل الجسم ، وصفوه بأنه : « الرجل الذى قرأ مؤلفات (برودون) » ! ٠٠ هكذا قدمه لى « هرتبيز » ، الذى لم يعرف اسمه الحقيقى قط ٠٠ وهكذا قدمه لأصدقائه حين سألوه عنه ، اذ قال فى اعتداد : « انه شاب نابغ ٠٠ قرأ كثيرا لبرودون ! »

.. ومن ثم ذاع الاسم حتى طغى على الاسم الحقيقى لذلك الطفيلى !

على أن شيئا من انتاج هذا « العبقرى » لم يظهر له أثر .. بل كان كل مظهر للعبقرية فيه ، لا يبدو الا فى ساعة الطعام ، حين يشكو من عيب فى اللحم ، أو نقص فى اعداد « الصلصة » ! .. وهذا ما فعله فى ذلك اليوم الذى زرت فيه « هرتبيز » .. ومع ذلك ، فقد التهم وحده نصف ما قدم على المائدة من طعام !

ولكم بدا لى الغداء - فى وجود المريض - كئيبا ، محزنا! .. كانت المرأة لا تكف عن الكلام كعادتها ، وهى تربت على ظهر الطفل أو تلقى بالعظام الى الكلاب ، ثم تبتسم للفيلسوف «الذى قرأ كثيرا لبرودون ! » .. ولم يلتفت « هرتبيز » نحونا مرة ، ولكنه لم يكن نائما .. ولست أدرى فيم كان يفكر ..

يا له من شجاع مسكين .. لقد فنيت حيويته وروحه فى ذلك الصراع المستمر ، المهين ، حتى أوشك أن يموت .. ولقد استمر هذا الصراع بضعة أشهر أخرى .. ولم يكن فى الواقع صراعا ، بقدر ما كان استسلاما ! .. ثم انتهى كل شىء ، وأصبحت المرأة - « مدام هرتبيز » - أرملة !

ولم تنل الدموع من عينيها الجميلتين ، ولا هى تحولت عن أناقتها البالغة ، وعنايتها بتصفيف شعرها .. ولما كان « اوبرتو وفاجون » لا يزالان فى متناول يدها ، فقد حققت أخيرا ما كانت تبتغى : تزوجت من « أوبرتو وفاجون » ! .. وقدتكون تزوجت من «أوبرتو» .. أو لعلها تزوجت من «فاجون» .. وربما كانت قد تزوجت من الاثنين ! .. **ولكنها، على أية حال، عادت تستأنف الحياة التى خلقت لها .. حياة اللسان المنطلق ، والثرثرة العالية ، والابتسامة الدائمة .. حياة البائعة التى تقف وراء منضدة المتجر !**

MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات في الحب والسياسة !
مذكرات
كازانوفا
الكتاب الكلاسيكي الخالد
في أدب العشق
والمغامرة

رسالة .. وموعد !

◆ روى لنا أمير العشاق ، فى الحلقة الماضية من مذكراته ، قصة المراة الفرنسية « هنرييت دارسى » التى كانت متنكرة فى زى ضابط ، وكيف قبلت أن تقيم معه فى (بارما) ، حتى تعرف عليها المسيو « دانتوان » - أحد رجال حاشية ابنة ملك فرنسا ، المتزوجة من ولى عهد أسبانيا - فاذا برجل الحاشية يبعث الى كازانوفا فى اليوم التالى رسالة ، يناشده فيها أن يحدد له موعدا ليلقاه فى أى مكان يحلو له ، ليحدثه فى موضوع عظيم الاهمية !

والآن ، تعال نتابع معا هذه المغامرة الطريفة ..

غيوم .. فى سماء الغرام الجديد !

◆ كانت الرسالة باسمى الذى اتخذته فى (بارما) : « فاروسى » ، فقلت : « اعتقد انه يجمل بى أن اقابله ، ولكن .. اين ؟ »

قالت « هنرييت » : « لا هنا ، ولا فى مسكنه .. فلتتقابلا فى حدائق قصر الدوق .. ولتذكر فى ردك المكان وساعة اللقاء فقط » !

فكتبت الى السيد « دانتوان » أعده بان القاه فى الحدائق ، فى منتصف الساعة الثانية عشرة .. وبعد أن حمل خادمى الرد الى الرسول ، بادرت الى ارتداء ثيابى ، وأنا أحاول أن أبدى استبشارا ، و « هنرييت » تبذل جهدها هى الأخرى لتبدو مشرقة .. على أننا لم نفلح فى التخلص من المخاوف التى شرعت تساورنا !

والتقيت بالسيد « دانتوان » فى الموعد .. وما أن استوثقنا من اننا بمنجى عن الأسماع ، حتى بادر قائلا : « انما اضطررت يا سيدى الى أن اسالك أن تسمح لى بلقائك ، لاننى لم أجد أسلم من هذه الطريقة لايصال رسالة الى السيدة دارسى .. فاناشدك أن تسلمها اليها ، وأن تعذرنى اذا قدمتها اليك مغلقة .. فاذا كنت مخطئا فى شخصيتها ، فلا حاجة بها الى الرد .. أما اذا كنت على صواب : فهى وحدها التى تستطيع أن تبت فيما اذا كانت تطلعك عليها ، أو تحتفظ بما فيها لنفسها .. وهذا هو المبرر لابقاء الرسالة مغلقة .. فاذا كنت صديقا لها حقا ، فاعتقد ان ما تتضمنه هذه الرسالة يهمك بقدر ما يهمها ، ومن ثم أتوقع ان تطلعك عليها » !

وانحنى كل منا للآخر فى احترام ، ثم افترقنا . واسرعت عائدا الى الفندق .. وما ان وصلت الى الجناح الذى كنا نستاجره ، حتى كان قلبى يخفق فى

عنف ، ويكاد يقفز من صدرى لهفة وقلقا ٠٠ وأعدت على مسمع « هنرييت » كل ما دار بينى وبين السيد « دانتوان » ، ثم أسلمتها الخطاب ، ففضته لتجد رسالة من أربع صفحات ، اخذت تقراها بامعان ، وعلى وجهها امارات الانفعال العاطفى ، ثم قالت لى :

ـ ياأحب عزيز ، أرجو ان لا تظن فى تصرفى اى مساس بشعورك وكرامتك ، اذا حجبت عنك محتويات هذه الرسالة ٠٠ فانهـا تتناول أسرارا تمس شرف أسرتين ٠٠ ثم اننى أرانى مضطرة الى أن استقبل السيد « دانتوان » الذى يؤكد انه أحد اقاربى !

فهتفت : « آه ! ٠٠ هذه بداية النهـاية ! ٠٠ لم تلكات بك فى (بارما) ، ولم أبادر الى الابتعاد بك عنها ؟ ٠٠ يا له من غباء ما أراه يفضى الى خير ! »

ـ أناشدك يا حبيبى أن لا تستبق الحوادث ، او تفترض الشر قبل وقوعه ٠٠ سر عنك ، ولنحتفظ بكل ما اوتينا من عقل وحكمة لنتغلب على الظروف ، مهما تكن ٠٠ وعليك الآن أن تكتب الى السيد « دانتــوان » لتدعوه للحضــور الى هنا غدا ٠٠

ـ أواه ! ٠٠ ما اشق ما تدعيننى اليه !

ـ يجب أن تبقى الى جانبى عندما يفد السيد « دانتوان » ، حتى اذا حييته ، وقضينا بضع دقائق فى تبادل المجاملات ، فارجو أن تنتحل اى عذر لمغادرتنا وتركنا وحيدين ٠٠ ان السيد «دانتوان» يعرف كل شيء عن حياتى وقصتى ، ويعرف فيم اخطات ، وفيم اصبت ٠٠ واعتقد انه ـ بوصفه قريبا لى ، ورجلا شريفا ـ سيعدل فى حكمه ، ويقيني اى شر قد أتعرض له ، ويرشدنى الى خير مسلك ٠٠ على انه لن يقسرنى على ما لا احب ، واذا اشتممت منه أية رغبة فى الظلم أو التحيز ضدى ، أو المراوغة فى الشروط التى سأمليها عليه ، فثق اننى سأرفض العودة الى فرنسا ، وسأتبعك اينما شئت ، مكرسة كل حياتى لك ٠٠ ومع ذلك فارجو يا حبيبى أن تروض نفسك على توقع أحداث قد تؤدى الى أن نسلم معا بأن الفراق هو أسلم طريق ننتهجه ٠٠ واذا تحقق هذا ، فعلينا أن نحشد كل شجاعتنا للاقدام عليه !

الحب ٠٠ يكلف غاليا !

◆ واقبل الســيد « دانتوان » فى اليــوم التالى ، فعملت بما اشارت به حبيبتى ، وبقيت وحيدا ست ساعات ، كانت من اقسى الساعات على قلبى ٠٠ وما أن لاحظت ان عينى « هنرييت » كانتا محتقنتين ـ بعــد انصرافه ـ حتى جزعت ، ولكنها ابتسمت قائلة : « هلا رحلنا غدا يا حبيبى ؟ »

وكدت اطيــر فــرحا ، فقلت : « اجل يا حبيبتى ٠٠ الى اين تريدين ان احملك ؟ »

ـ اينما شئت ، وحيثما يروق لك ، ولكن ..

وطارت الفرحه من نفسى ، حين استأنفت قائلة : « يجب أن نكون هنا مرة اخرى ، بعد اسبوعين » .. فهتفت محسورا : « آه ! .. يا لخيبة آمالى ! » .. فقالت : « لا مفر ، للأسف ! .. لقد وعدت بأن أكون هنا فى ذلك الموعد ، لأتلقى الرد عن خطاب كتبته منذ لحظات .. وليس لنا أن نخشى أية اجراءات عنيفة ، أو أى عنف أو قسر ، ومن ثم ففى وسعنا أن نبقى هنا ، ولكننى كرهت (بارما) فلم أعد أطيق فيها بقاء »

وفى اليوم التالى رحلنا الى (ميلانو) ، حيث قضينا الاسبوعين فى هناءة ، لا نكاد نفترق لحظة .. ولم نلتق خلالهما بغير صاحب الفندق الذى نزلنا فيه ، وحائكة الثياب التى قامت بصنع سترة من فراء النمر أمرت بها لهنرييت الحبيبة .. وكان فرحها بهذه الهدية بالغا .. وكانت ـ لفرط رقة شعورها ـ تشفق على من النفقات المسرفة ، وان أحجمت عن أن تسالنى عن مواردى ! .. وقد حمدت لها ذلك ، اذ كنت أتكتم ما بدأت أشعر به من تناقص مواردى .. وما ان عدنا الى (بارما) ، حتى كان كل ما بقى فى كيسى لا يتجاوز أربعمائة دينار !

وفى اليوم التالى ، أقبل السيد « دانتوان » لزيارتنا ، وتناول الغداء معنا .. وما لبثت أن انسحبت وأخليت له الجو مع « هنرييت » .. وطال حديثهما وقتا يقرب من الوقت الذى استغرقه لقاؤهما السابق . وما أن انصرف ، حتى انبأتنى « هنرييت » بأن فراقنا صار أمرا مقررا ، فبقينا فترة طويلة صامتين ، متعانقين ، نذرف الدمع سخينا ..

(وجاء فراق « كازانوفا » عن « هنرييت » نهاية محزنة لقصة الغرام الذى يعتبر من أسعد المغامرات فى حياة أمير العشاق .. وتقرر أن يرحل كازانوفا بحبيبته الى (جنوا) ، ثم يودعها الى الأبد . وفى عناقهما الأخير ، أصرت « هنرييت » على أن يتقبل « كازانوفا » منها خمسمائة جنيه فرنسى من الذهب ، كهدية له .. وتركت الفرنسية الحسناء رسالة الى السيد « دانتوان » .. وفيما هو يهم بمبارحة الفندق بعد رحيلها ، لمح على زجاج احدى النوافذ عبارة حفرتها « هنرييت » بماسة خاتمها : « لن تلبث أن تنسى .. هنرييت » .. فتمتم لنفسه محزونا : « لا ، لن أنساك ما حييت » ! .. (وقد كتب فى مذكراته معقبا : « .. والى اليوم ، وقد كسا الشيب شعرى ، لا تزال ذكرى هنرييت نبعا استمد منه الهناءة») .. وما أن وصل الى (بارما) ثانية، حتى أسلم رسالة حبيبته الى « دانتوان » ، فاذا بداخلها رسالة اخرى له هو ، جاء فيها : « لن يكون لى بعدك حبيب .. اما أنت ، فآمل ان تعثر على هنرييت أخرى تنسيك اياى .. فوداعا ! »)

أشجان ٠٠ « كازانوفا » !!

◆ لازمت غرفتي حـزينا ، كسير القلب ، غير عابىء بما تاتي به الأيام ٠ وبعد اربع وعشرين ساعة ، كان الاعياء قد نال مني كثيرا ٠٠ وخطر لي انني لو مضيت على هـذه الحال ، لتخلصت من الحياة البغيضة ٠٠ وانقضت أربع وعشرون ساعة أخرى ، بلغ الاعياء مني في نهايتها اقصى مبلغ ٠٠ وفيما كنت في هذه الحال ، فوجئت بالسيد « لاهاي » ـ من اصدقائي القدامي ـ يطرق الباب ٠ وعولت على ان لا افتح له ـ ولا لأي مخلوق آخر ـ حتى أمضي في عزلتي الى نحبي ٠٠ ولكنه راح يؤكد انه يحمل رسالة هامة لي ، فداخلني الرجاء ، وتحاملت على ساقي الواهنتين ، وجررت نفسي الى الباب ، ثم عدت الى السرير بعد ان فتحت له ٠ وبهت الرجل حين رآني ، فاخذ يتفرس في وجهي ، ثم صاح : « معذرة اذا كنت قد ازعجتك ، ولكن ٠٠ انك تبدو مريضا ! »

قلت : « اجل ، واحب ان تتركني وحيدا »

واقترب مني ، وامسك برسغي ليجس نبضي ٠٠ وهاله ان النبض كان جد ضعيف ، فسالني عما اكلت في امسى ، وما ان ادرك انني لم اتناول طعاما منذ يومين ، حتى أدرك سر وهني واعيائي ، فراح يلح علي في ان اتناول بعض الحساء ، واخذ يتلطف الي ، ويغمرني بعطفه ، حتى انصعت له اخيرا ٠٠ وما جاء الطعام الذي طلبه لي ، حتى كانت قوة المقاومة قد نضبت من نفسي ، فتناولت الحساء ٠٠ واذ راى « لاهاي » انه انتصر على عنادي ، لازمني طيلة اليوم ، عاملا على التسرية عني بفكاهاته وحديثه المرح ٠٠ وفي اليوم التالي دعوته للغداء ٠٠ ولم اكن قد تخففت من ذرة واحدة من حزني ، ولكن الحياة عادت تبدو لي افضل من الموت !

(وأقلقت حال « كازانوفا » كلا من « لاهاي » و « ديبوا » ، فحملاه على أن يتردد معهما عـلى المسرح ، حيث كانت تقـوم بالتمثيل فرقة فرنسية ٠ وما لبث صاحبنا أن تعرف بممثلة من الفرقة ٠ ومع انها لم ترق له ، الا انه راق لها ٠٠ وما زالت به حتى « خلعت » عليه مرضا بشعا ، ألزمه حجرته لمدة ستة أسابيع خلال شتاء سنة١٧٤٩ ٠وفي محنة هذا المرض ، أخذ « لاهاي » يبث فيه روح التـوبة ، ويسعد اذ يراه يبكي ندما على ما ارتكب من موبقات ٠٠ وأخذت التقوى تستولى عـلى نفس كازانوفا رويدا)

العاشق الأعظم ٠٠ يتردد على الكنيسة يوميا !

◆ من المؤكد أن العقل يتبع الجسم ٠٠ فعندما كانت معـدتي خاوية ، كان الدواء يبعث ابخرته الى راسي فتهفو بعقلي ٠٠ ومن ثم ذهبت في اتجاهي الديني

الى درجة التهوس ! ٠٠ وما أن جاء شهر ابريل ، حتى كنت قد برئت تماما من المرض ، وأصبحت أتردد على الكنيسة يوميا مع « لاهاى » !

(وظل « كازانوفا » سادرا فى نوبة التقوى ٠٠ وتعرف فى تلك الأثناء بتلميذ للسيد « لاهاى » يدعى البارون « بافوا » ، فساعده بوساطة السيد«براجادان» - الشيخ الذى تبنى كازانوفا فى البندقية - على أن يصبح ضابطا فى جيش البندقية ٠٠ ثم لم يلبث « كازانوفا » أن رحل بدوره الى هنـاك ، حيث تلقاه « براجادان » و « داندولو » و « باربارو » مذهولين لفرط ما أصابه من تغير ، اذ غدا تقيا صالحا !٠٠ على انه ما لبث أن تبين ان « بافوا » لم يكن من التدين بالدرجة التى كان يبديها أمام «لاهاى» ٠٠ وكتب « كازانوفا » فى مذكراته عن ذلك : « على ان أطرف ما فى الأمر ، هو ان بافوا رد عقلى - دون أن يدرى - الى حاله الأصلية ٠٠ ومنذ ذلك الحين عدت الى مغامراتى ! » ٠٠ وكان ذلك فى بداية أعياد « الكرنفال » فى سنة ١٧٥٠ ٠ وحدث أن فاز « كازانوفا » فى « اليانصيب » العام بثلاثة آلاف دينار ، فقرر أن يرحل الى باريس ، حيث كانت زوجة ولى عهد اسبانيا - وابنة ملك فرنسا - تتهيأ لتضع طفلها الأول ، وقد شرع القوم فى اتخاذ الاستعدادات لاقامة مهرجانات شعبية ٠٠ كما عول على أن يزور فى طريقه مدينة (ريدجيو) الايطالية ، حيث أقيم مهرجان كبير لزواج دوق سافوى من أميرة اسبانية ٠٠ وفى أول يونيه سنة ١٧٥٠ ، انطلق فى رحلته مزودا بالمال والعتاد ٠٠ وفى (ريدجيو) ، التقى بأستاذ « الباليه » - « باليتى » - زوج عشيقته السابقة « مارينا » ٠٠ فرحلا معا الى باريس)

« كازانوفا » ٠٠ فى جماعة « الماسونيين » !

◆ ومكثنا فى (ليون) أياما ، قدر لى خلالها ان اصبح من « الماسونيين » الاحرار ، فلما وصلت الى باريس ، كنت « تلميذا » فى هذه الجماعة ٠ ولم ألبث ان اصبحت « زميلا » ، ثم « استاذا » ! ٠٠ ذلك لأن الشاب الذى يحب الأسفار ، وينشد معرفة الدنيا والمجتمع الراقى ، ولا يبغى أن يبدو فى اى بلد يهبط به أقل مستوى من أقرانه ، خليق به أن يكون من « الماسونيين » الأحرار ! ٠٠ انها جماعة خيرية ، انسانية - فى الأصل - وان كانت فى بعض الظروف ، والأزمان ، والبقاع ، قد استغلت فى تدبير المؤامرات والدسائس لقلب أنظمة الحكم ، ولكن ٠٠ اى شىء تحت قبة السماء لم يتعرض يوما لأن يساء استغلاله ؟ ٠٠ ألم نر « الجيزويت » - وهم فى مسوح الرهبان -

يدسون الخناجر فى أيدى الذين أعماهم التعصب والحماس ليغتالوا بها الملوك !٠٠ على ان « الماسونيين » الأحرار – فيما وراء ذلك – جماعة غامضة ٠٠ فاذا التحق المرء بها لمجرد الكشف عن سرها ، فانه يتعرض لكثير من الأخطار ، دون أن يصل فى النهاية الى هذا السر الذى يصان فى حرص بالغ ، وتكتم شديد ! ٠٠ ومن الخطا أن نظن ان السر قاصر على بعض كلمات أو اشارات ، وانما هو أعمق من هذا بكثير !

خادمات الفنادق ٠٠ فى باريس !

◆ كان اول ما اعجبت به عند وصولى الى باريس ، هو طريق « لوى كانز » – أو لويس الخامس عشر – الرائع ، ونظافة الفنادق ، وسرعة الخدمة فيها ، وتولى الفتيات هذه الخدمة !! ٠٠ وكنا قبل بلوغها قد تناولنا غداءنا فى (فونتينبلو) ، وهو اسم مشتق من (فونتين – بيل – أو) أى عين الماء الجميل ! ٠٠ واذ شارفنا العاصمة ، رأينا عربة أنيقة مقبلة ، فاذا زميلى يصيح ليستوقفها ٠٠ كانت عربة أمه ، التى رحبت بى كصديق لابنها ٠٠ وكانت أمه هى الممثلة الذائعة الصيت « سيلفيا » ٠٠ وقد تولى خادم من عندها مرافقتى الى المسكن الذى هبطت فيه – وكان لا يبعد عن بيت « باليتى » بأكثر من خمسين مترا – لينقل متاعى ٠٠ وما لبث « باليتى » ان قدمنى الى أبيه « ماريو » ٠٠ وكان اسما « ماريو » و « سيلفيا » ألمع اسمين على المسرح الفرنسى اذ ذاك٠٠

واقامت « سيلفيا » مادبة عشاء فخمة احتفالا بوصول ابنها ، دعت اليها جميع اقاربها ومعارفها ، فكانت فرصة لى كى أتعرف اليهم ٠٠ واخذت خلال العشاء أدرس « سيلفيا » ٠٠ كانت اذ ذاك فى نحو الخمسين من عمرها ، ولكنها كانت رشيقة ، ذات بهاء وعظمة ٠٠ وكان وجهها لغزا غامضا ٠٠ كان يثير فى المرء ادفأ العواطف ، ومع ذلك فقد كان – اذا تأملته عن قرب – خلوا من أى جمال ! ٠٠ غير أنها رغم ذلك كانت معبودة فرنسا بأسرها ، وكانت مواهبها فى التمثيل « الكوميدى » تزيد من سلطانها على النفوس ٠٠ وكانت لها – فوق كل هذا – ميزة أخرى تحيطها بهالة من السناء ٠٠ تلك هى انها كانت تعيش فى عفة وتقوى !٠٠ كانت تتلطف الى جميع المعجبين ، ولكنها تصد أى عاشق او طامع ! ٠٠ وقد اكسبها هذا المسلك احتراما وتقديرا فوق ما يخطر بالبال

وكانت تجلس الى جوارها على المائدة ، ابنتها الوحيدة ، التى كانت اذ ذاك فى التاسعة من عمرها ٠٠ والتى كانت تكاد تستأثر بالقسط الأوفر من عنايتها واهتمامها ٠٠

قس ٠٠ يعرف نساء باريس !

◆ وعدت فى نهاية السهرة الى دار مدام « كينسون » حيث نزلت ٠٠ وما ان استيقظت فى الصباح ، حتى وجدت مدام كينسون قد أتتنى بخادم خاص٠٠

كان ضئيل الجسم ، لم يرق مظهره لى ، فلما سالته عن اسمه قال : « اى اسم يحلو لك يا سيدى ٠٠ فقد اعتاد كل سيد اخدمه ان يطلق على اسما من عنده » ! ٠٠ فهتفت بين الغيظ والعجب : « ولكنى اسالك عن اسمك الأصلى ٠٠ اسم اسرتك ؟ » ٠٠ واذ ذاك قال : « لست أعرف لنفسى اسرة ٠٠ ولقد كان لى فى صغرى اسم ، ولكننى نسيته منذ عملت فى خدمة الناس » ! ٠٠ ومن ثم قررت ان ادعوه « اسبرى » ٠٠ واتفقنا على ان يتقاضى ثلاثين « سو » فى اليوم ٠٠ واذ رآنى أنظر الى قامته الضئيلة فى ازدراء ، قال : « ان قوامى يا سيدى خير ضمان يؤكد اننى لن أستعير ثيابك فى اى موعد غرامى يعرض لى ! »

وكان اول ما هفت نفسى الى زيارته فى باريس ، حدائق القصر الملكى ، التى كانت مفتوحة للجمهور ، وقد بثت فيها مناضد ومقاعد للايجار ، فاتخذت مقعدا الى احدى المناضد ٠٠ وحمل الى أحد السقاة زجاجة من شراب يسمونه « اورجا » ، لذ لى حتى اننى عزمت على ان اتناوله مع كل وجبة ٠ ثم سالت الساقى عن الانباء ، فقال ان ابنة الملك ـ زوجة ولى عهد اسبانيا ـ قد وضعت اميرا ٠٠ واذ ذاك قال قس كان يجلس الى مائدة مجاورة : « يا للغباء ! ٠٠ لقد وضعت اميرة » ٠ ونهضت ، فاذا القس ينهض بدوره ، فيسير معى خلال الحدائق ٠٠ ذاكرا لى اسم كل امراة كنا نصادفها !

وفيما كنا سائرين ، اقبل علينا شاب عانق القس فى شوق ٠٠ وقدمه لى القس على انه استاذ بحاثة فى اللغة الايطالية يدعى « باتو » ٠٠ وكان بالفعل يجيد اللغة، ولكن فى اسلوب «بوكاشيو» وفطاحل الكتاب ! ٠٠ ولم ينقض ربع ساعة حتى كنا صديقين ! ٠٠ وبينما نحن فى الطريق ، لاحظت زحاما امام حانوت كتب عليه : « سعوط القط سيفيه » ٠٠ واذ ابديت عجبى للزحام قال زميلى : « كل هؤلاء جاءوا ليملأوا علبهم سعوطا » ٠٠ قلت : « او ليس فى باريس حانوت آخر يبيع السعوط ؟ » ٠٠ قال : « بلى ٠٠ ولكن سعوط «القط سيفيه » هو « الموضة » منذ استعملته دوقة «شارتر» ٠٠ » ، فقلت : « وكيف اصبح كذلك ؟ » ٠٠ فاجاب : « الأمر بسيط ٠٠ لقد استوقفت عربتها مرتين

او ثلاثا امام الحانوت لتملأ علبتها سعوطا ، وكانت فى كل مرة تقول للفتاة التى تولت خدمتها ان هذا اجود سعوط فى باريس .. فسرعان ما التقط كلماتها المتسكعون الذين كانوا يلتفون حول عربة الأميرة فى فضول ، وراحوا يرددونها فى كل مكان » !

قلت : « لعل الأميرة لم تفطن الى ما كان لاعجابها من أثر ! »

– على النقيض .. انما شاءت فى الواقع أن تسدى معروفا الى صاحبة الحانوت .. انك لا تعرف مدى طيبة الباريسيين .. انك الآن فى البلد الوحيد الذى يستطيع فيه الذكاء أن يجلب على صاحبه ثروة ، ان بالحق او بالباطل .. ان بالصدق او بالدس !

الفساد فى عهد لويس الخامس عشر

◆ وصحبنى « باتو » الى دار مدموازيل « لوفيل » ، الممثلة التى كانت فى مقدمة فاتنات باريس .. وكانت عضوا فى الاكاديمية الملكية للموسيقى .. ورايت حولها ثلاثة اطفال فى ابهى آيات الجمال ، فلما اطريت حسنهم قالت فى صراحة : « لا عجب ! .. فاولهم انجبته من دوق « دانيسى » ، وثانيهم من كونت « ديجمون » ، والثالث من « ميزونروج » الذى تزوج اخيرا من اميرة رومانفيل ! » .. وانطلقت بعد ذلك ضاحكة ، حتى شعرت بالدماء تتصاعد الى وجهى حياء ! .. فما كنت أدرى ان هذه امور عادية فى باريس فى ذلك العصر ! .. وكانت الغانية التى تنجب من عشيق نبيل ، تصيب منه دخلا سخيا ، ومن ثم كانت صحبة الغانيات للنبلاء .. حرفة !

ولقد دعانى الممثل الايطالى « كارلين بيرتيناتسى » الى الغداء يوما ، فى دار مدام « دولا كايليرى » ، حيث كان يقيم . ورايت السيدة محوطة باربعة اطفال، فلما اطريتهم قال زوجها : « انهم ابناء السيد كارلين »

قلت : « ولكنهم ولابد يا سيدى ينتمون اليك ، فانت الزوج الشرعى »

قال : « ان مسيو كارلين رجل شريف ، وهو يعترف بابنائه .. وزوجتى تصر على نسبتهم اليه » !!

وكان الرجل يتكلم فى بساطة ، متقبلا الأمر الواقع بروح فلسفية !!

سهرة مع « مدام بومبادور » و « ريشيليو »

◆ وكان لويس الخامس عشر مغرما بالصيد ، ويقضى ستة اسابيع من كل عام فى قصر (فونتينبلو) لهذا الغرض .. وكانت هذه الأسابيع الستة تكبد الخزانة الفرنسية خمسة ملايين من الفرنكات !.. اذ كان الملك يصطحب معه عادة كل من يدخلون التسرية على نفوس السفراء الاجانب والحاشية الضخمة ، ومن ثم

كان يتبعه الى هناك ممثلو الاوبرا و « الكوميدى فرانسيز » وممثلاتهما ٠٠وقد دعانى « باليتى » و « سيلفيا » وزوجها الى أن أصحبهم وأنزل فى ضيافتهم ٠٠ وكانت فرصة رائعة ، أتاحت لى التعرف الى السفراء وأقطاب الحاشية ٠٠ كما تعرفت الى السيد « موروسينى » - سفير جمهورية البندقية لدى البلاط الفرنسى - الذى دعانى معه الى حفلة افتتاح الاوبرا ٠٠ وجاء مقعدى تحت مقصورة « مدام دى بومبادور » مباشرة ٠٠ وكنت مصابا بزكام ، فرحت أنظف انفى بين وقت وآخر ، مما حدا بسيد فى مقصورة « مدام دي بومبادور » الى ان يقول اننى ولابد لم احسن اغلاق نوافذ مخدعى ٠٠ ولم أكن أعرف ان السيد هو الماريشال « ريشيليو » ، فاجبت بنكتة لاذعة أضحكت الجميع ٠٠ وان هو الا نصف ساعة ، حتى وجدت الماريشال يسالنى عن أى الممثلتين اللتين ظهرتا على المسرح اعجبتنى ، فاشرت الى احداهما ٠٠ وقال : « ولكنها اوتيت ساقين بشعتين » ٠٠ فاجبت : « انهما لا تظهران من تحت ثيابها يا سيدى ! » ٠٠ واثار الرد ضحك مدام بومبادور ٠٠ وعرف الماريشال من السيد « موروسينى » من اكون ، فابدى سروره بان يستقبلنى اذا زرته ٠٠

وبعد أيام اتيح لى أن ازور قصر (فونتينبلو) ، وان اجوس خلال ابهائه وحجراته ٠٠ وكانت الملكة تتناول غداءها فى غرفة مكشوفة لجميع الزائرين ، وقد علقت عيناها بالمائدة ، واخذت تلتهم الطعام بشهية غريبة ، غير حافلة بالحاشية التى احاطت بها تتاملها ٠٠

ورجتنى بعض سيدات المجتمع الراقى أن أعلمهن الايطالية ٠٠ وكان خلطى بين الكلمات الفرنسية ، وارتباكى فى النطق بها ، مبعث فكاهة فى هذه الدروس ، مما اكسبنى مكانة عند تلميذاتى ! ٠٠ وقدر لى ذات يوم أن التقى عند احداهن ، وكانت تدعى « مدام بريودو » ، بابنة اخت لها فى الرابعة عشرة من عمرها ، مؤدبة ، متحفظة ، شديدة الذكاء ٠٠ فلم البث أن ضممتها الى تلميذاتى ٠٠ ولم تتلق ستة دروس حتى بدات تحاول الكلام بالايطالية ٠٠

مغامرة تنتهى الى فضيحة !

◆ ويذكرنى هذا بعواطفى التى اهملت الحديث عنها ، فى غمرة محاولاتى لتصوير المجتمع الباريسى فى الوقت الذى زرت فيه فرنسا ٠٠ ولعل اولى مغامراتى كانت مع الابنة الكبرى لصاحبة الدار التى نزلت فيها ٠٠ كانت فتاة تتراوح سنها بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة ، وقد اصبح من عاداتها ان تزورنى فى غرفتى فى اغلب الأوقات ٠٠ ولم يطل بى الوقت حتى تبينت انها احبتنى ٠٠ وكان خليقا بى ان انظر الى الأمر كحماقة او نزق ، ومن ثم لم يقع بيننا خلال الخمسة او الستة الاشهر الاولى ، سوى بعض العبث الصبيانى ٠٠ الى أن عدت الى المسكن فى ساعة متاخرة ذات ليلة ، فالفيت « ميمى » - وكان

هذا اسمها - نائمة فى سريرى ٠٠ ولم ار داعيا لايقاظها ! ٠٠ ومنذ ذلك الحين جرفنا التيار ، حتى فاجأتنى بعد اربعة اشهر بان سرنا وشيك الافتضاح ٠٠ وجلسنا نتشاور فى الأمر ، ثم عولنا على تركه للظروف ٠٠ ولكن بطنها تضخم، حتى لم يعد الامر - بعد شهرين آخرين - بخاف على مدام « كينسون » ، التى انهالت على ابنتها ضربا ، حتى افضت اليها باسم الذئب !

واقتحمت السيدة غرفتى مهتاجة ، وانهالت على سبابا وتوبيخا ، ثم انتهت الى ان لابد لى من اصلاح غلطتى بالزواج من ابنتها ٠٠ وفى غمرة الورطة ، خف ذكائى لانقاذى ، فزعمت لها اننى متزوج فى ايطاليا ٠٠ فلما اشتد حنقها ، قلت لها فى هدوء : « ولكن ٠٠ من ادراك اننى والد الجنين الذى فى احشاء ابنتك ؟ ٠٠ اننى اؤكد لك استعدادى لأن اقسم باننى غير متأكد من صدق ابنتك ٠٠ وعلى كل حال ، فهناك مخرج سهل ٠٠ اذا كانت حاملا ، فمن الممكن اجهاضها ! »

تحقيق فى قسم البوليس

◆ وفى اليوم التالى ، دعيت الى قسم البوليس ، فاذا مدام « كينسون » هناك ، فى اتم العدة لتخوض المعركة ٠٠ واذ ذاك ، قلت للمأمور ان يثبت فى المحضر على لسانى : « اننى لم امس ابنة الشاكية باى سوء ، واننى واثق من ان الفتاة نفسها على استعداد لأن تشهد بذلك ٠٠ »

قال : « ولكنها حامل ، وتعلن ان حملها نتيجة علاقتك بها ٠٠ وتقسم بانها لم تعرف قط رجلا سواك »

- ما أظن انسانا يستطيع ان يطمئن الى امرأة فى هذا الصدد ٠٠ ثم اننى لم اغوها ، وانما هى التى اغوتنى ٠٠ وسرعان ما وافقتها ، فما من رجل يرفض اغواء فتاة فاتنة ٠٠

- وهل كانت عذراء ؟ ٠٠ ان امها تزعم ذلك ، وتطالبك بتعويض

- ان التعويض لا يدفع - فى اى قانون - الا لضحية مخدوعة ، لا لامرأة تبعث بابنتها الى غرفة شاب ٠٠ او ليس من حقى ان ارتاب فى انها كانت ترسلها خصيصا لاغوائى ؟ ٠٠ ثم اننى ما كنت لأقوى على شىء بغير رغبتها

- لقد كانت ترسلها لخدمتك •• ولابد من أن تدفع تعويضا ••

- لن ادفع شيئا ، لأنني - في اعتقادي - لم أخرق قانونا •• وسوف ارتاد كل المحاكم في سبيل الانصاف والعدالة ••

على أنني لم أقو بعد ذلك على مقاومة دموع « ميمى » الحسناء ، فتكفلت بنفقات الوضع •• وانجبت ولدا أرسل الى احد الملاجىء ليربى على نفقة الدولة •• وما لبثت « ميمى » أن فرت من امها ، وسرعان ما ظهرت على المسرح ، كممثلة ••

فاتنة •• في الثالثة عشرة !

◆ دعاني السفير البولندى « الكونت لوز » ذات يوم الى أن أترجم «اوبرا» فرنسية ، لحفلة راقصة كبرى تقام في البلاط البولندى •• وكانت المهمة عسيرة ، اذ كنت مضطرا الى أن اراعى أوزان الشعر وانغام الموسيقى في آن واحد •• وقد نلت جزاء هذا علبة سعوط ذهبية فاخرة من ملك بولندا - فوق أتعابي - كما تلقيت تقديرا من أمى التى كانت ألمع النجوم المسرحية في تلك البلاد ، في هذه الآونة !

وما لبث « باتو » أن صحبني الى مهرجان « سان لوران » •• ثم دعاني الى تناول العشاء مع ممثلة تدعى « مورفى » ، والمبيت في دارها •• ولكن الممثلة لم ترق لى ، فتركته ينفرد بها ، وآثرت ان اقضى الليلة على اريكة •• ولكنني لم ألبث أن شهدت امامي صبية في الثالثة عشرة من عمرها - بعد ان نام الآخران - جاءت تساومني على أن تنزل لى عن فراشها •• وقادتني الى غرفة ضيقة •• وبحثت عن الفراش ، فاذا هو حشية زرية من القش •• وآثرت - بالطبع - الأريكة على هذا الفراش ، ولكنني فوجئت بالصبية تستلقى ، وتنشر على جسدها غطاء اتخذته من « ستارة »قديمة ••ولست أدرى كيف أبرز الغطاء القذر مفاتن جسد الصغيرة •• ووجدتني أعجب بها ، الى درجة ان عمدت الى غسل جسمها بيدى ، لأزيل الأقذار عن هذه الفتنة ، التى كانت اقرب من رايت في الحياة الى آلهات الاغريق !

واتفقت مع اختها بعد تلك الليلة على ان ارتاد منزلها من اجل الصبية لقاء اجر سخى •• وبلغ من افتتاني ان دعوت رساما المانيا اجزلت له العطاء ليرسمها عارية وقد استلقت على بطنها ، ورفعت صدرها ملتفتة بنحرها •• واستطاع الرسام ان ينتج لوحة تكاد تكون نموذجا حيا لكل ما للفتاة من مفاتن •• واحتفظ لنفسه بنسخة اخرى رسمها •• ثم قدر له - بعد فترة من الزمن - ان يدعى الى (فرساى) ، فراى اللوحة معه السيد « دى سان كنتان » احد امناء الملك •• وبهر الرجل بجمالها ، فعرضها على الملك •• وبلغ من اعجاب «حامى حمى الدين» - لويس الخامس عشر - بالصورةان طلب ان يرى الاصل الحى •• الصبية ! •• وكلف الملك « سان كنتان » بالبحث عنها ، فكلف « سان كنتان » بدوره الرسام ، فجاءني الرسام ينشد عونى •• وكادت اخت الصبية ان تجن فرحا !

« يتبع »

دنيا الموسيقى ٠٠ فى الأساطير !

◆ رويت لك فى اعداد سابقة من «كتابى» الكثير عن قصة اله الشعر والموسيقى – « ابوللو » – كما جاءت فى الأساطير الاغريقية القديمة ٠ وقد عرفت كيف كان « ابوللو » يتصدى للدفاع عن لقبه – كاله للموسيقى – والانتقام من الذين يعارضونه او يتحدونه !

وفى هذا العدد ، اقدم لك اسطورة جديدة عن موسيقى مشهور من الموسيقيين الذين وردت اسماؤهم فى تلك الأساطير ٠٠

مباراة موسيقية ٠٠ فى (صقلية) !

◆ **كان** اسمه « أريون » ٠٠ وكان قد استطاع أن يجمع ثروة طائلة ، باستغلال موهبته الخارقة فى الغناء والعزف على القيثارة ، وفضلا عن ذلك، كان يعيش ضيفا فى بلاط «برياندر» ملك (كورنثه) ، الذى كان مفتونا بموسيقاه العذبة وألحانه الحلوة ، وبتلك الأناشيد الجميلة والأغانى البديعة التى كان يشدو بها « أريون » !

وفى ذات يوم ، علم الموسيقى المحبوب ان احتفالا كبيرا سيقام فى جزيرة (صقلية) ، لمناسبة عيد الموسيقى ، فتوجه على الفور الى الملك « برياندر » ، وناشده أن يسمح له بحمل قيثارته والابحار الى (صقلية) ، للاشتراك فى المباراة الموسيقية المزمع اقامتها هناك ٠٠ ولكن الملك عارضه قائلا :

« اننى لا أنصحك بالذهاب يا أريون ، اذ سأفقد برحيلك خير نديم لى فى هذه الدنيا ، فضلا عن انى سأحرم أذنى من سماع موسيقاك التى لا تبزها موسيقى أخرى فى الوجود ! »

بيد ان « أريون » طفق يتوسل الى « برياندر » ، فلم يجد الأخير بدا من أن يسمح له بالرحيل ٠ وسرعان ما أقلع الموسيقى الكبير ، وليس فى جعبته غير ٠٠ قيثارته !

يتوج ملكا ٠٠ على عرش الموسيقى !

◆ **وأقيمت** المباراة ، ففاز « أريون » بجميع الجوائز ، وتوج ملكا على عرش الموسيقى والغناء ٠ وعلى الفور ، أعد عدته للاياب الى (كورنثه) ، محملا بالجواهر النفيسة والذهب ، يحدوه الشوق الى رؤية صديقه الملك ، وبسط كنوزه وجوائزه أمامه٠ ومن ثم استأجر سفينة تعود به الى وطنه ، وتوجه الى الآلهة بالدعاء ، لتمنحه طقسا جميلا وجوا ملائما !

ولبت الآلهة دعاءه ، فحظى ببحر هادىء ساكن ٠ ومع ذلك، لم تكن الرحلة موفقة ٠ **فما أن وقعت أنظار بحارة السفينة على تلك الكنوز الهائلة التى يحملها « أريون » معه ، حتى سال لعابهم ، وقرروا التخلص منه ، للاستئثار دونه بتلك الثروة ٠ ومن ثم أحاطوا به ، وأمروه بأن يستعد للموت ، وخيروه بين أن يلقى بنفسه فى البحر ، أو يقتلوه هم ثم يدفنونه فى أحد الشواطىء !**

وأجاب « أريون » على هذا « العرض » قائلا : « اذا كانت ثروتى هى التى حولتكم الى قراصنة ، فخذوها ٠٠ أما أنا ، فدعونى أذهب وشأنى ٠٠ كل ما أطلبه هو أن تتركوا لى قيثارتى ، فهى كل ثروتى فى الحياة ! »

وسخر البحارة من سذاجة الموسيقى ، ثم قالوا : « يجب أن تموت ٠٠ فلو استولينا على ثروتك وأطلقنا سراحك ، فلسوف تخبر الملك « برياندر » بالأمر ، ولن نلقى منه الا جزاء ما اقترفته أيدينا معك ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ يجب أن تموت أولا ٠٠ فاختر سريعا ٠٠ اما أن نقتلك بأيدينا أو تلقى بنفسك فى خضم الأمواج ؟! »

فقال أريون : « سألقى بنفسى فى اليم ·· ولكننى أطلب منكم منحـــة ، هى أن تدعونى ارتدى الثياب التى ازتديتها يوم أن توجونى ملكا على عرش الموسيقى فى (صقلية) ·· وان تدعونى أغنى أنشودة واحدة هى الأخيرة فى حياتى ·· وبعد ذلك لكم أن تطلبوا منى تنفيذ ما أمرتمونى به ! »

ولم تكن لدى البحارة رغبـــة فى تحقيق رجاء « أريون » ، ولكنه كان ذائع الصيت فى عالم الموسيقى ، فلم يروا بأسا من أن يشنفوا آذانهم بغنائه ، قبل أن ينفضوا أيديهم منه !

« الدرفيل » ·· ينقذ أريون !

◆ **وارتدى** « أريون » أبهى ثيابه ، ووضع فوق رأسه تاجه الذهبى ، وأمسك بقيثارته ، ثم اتجه الى أحد جوانب السفينة ، وأخذ ينظر الى المياه الزرقاء العميقة ·· وشرع يغنى ·· غناء بلغت درجة عذوبته حـدا ملأ قلوب البحارة بالشفقة ، فكادوا يندمون على قسوتهم حياله ··

وما أن انتهى « أريون » من الغناء ، حتى ألقى بنفســه الى البحر · أما السفينة فقد استمرت فى طريقها ·· وسرعان ما زال أثر الغناء العذب من نفوس البحارة ، فأقبلوا على اقتسـام غنيمتهم وتوزيع الأسلاب بينهم !

أما المكان الذى ألقى « أريون » بنفسه فيه ، فقد كان مسرحا لمشهد جد عجيب ·· **كان سحر الغناء قد جذب نحو السفينة قطيعا من « الدرفيل » ، فأخذ يتبعها عن كثب ، حتى اذا ما تلقى البحر « أريون » بقيثارته ، أسرع يحيط به ، ليحميه من طغيان الأمواج · وما لبث زعيم القطيع أن قدم ظهره للموسيقى الذى أطربهم بجمال صوته ، وسبح به حتى أوصله الى شاطىء وطنه آمنا ··**

لقاء الملكين !

◆ **وأبصر** « أريون » حصون (كورنثه) من بعيد ، فأسرع نحوها ، وأخذ يغنى فى الطريق ، وقد طغت عليه الفرحة لقرب لقائه بصديقه الحميم ·· الملك «بورياندر» · وما أن بلغ القصر ، حتى استقبله الملك بنفسه أجمل استقبال

وقال أريون للملك : « هأنذا أعود اليك ثانية ·· ولكن يؤسفنى يا برياندر انى لن أستطيع أن أريك الذهب والمجوهرات الثمينة التى فزت بها فى (صقلية) ·· فان بحارة سفينتى سرقوها كلها منى ، ولم يتركوا لى شيئا · هذا فضلا عن انى كنت وشيك الغرق ، لو لم تسعفنى الظروف بدرفيل رحيم حملنى سالما الى البر ! »

واستولى الذهول على الملك لفرط غرابة القصة التى رواها له صديقه الموسيقى ·· واذ أغضبه مسلك البحارة الاجرامى ، قال : « سأعاقبهم فور وصولهم الى كورنثه ·· ولسوف أحضرهم الى القصر لأستجوبهم بنفسى ·· أما أنت فعليك أن تختفى ولا تظهر الا فى الوقت المناسب ! »

وفى اليوم التالى وصلت السفينة ، وأحضر البحارة فورا الى البلاط · وسألهم الملك : « هل سمعتم شيئا عن الموسيقى أريون ؟ ·· لكم أتوق الى معرفة بعض أخباره ! »

فأجاب البحارة كاذبين : « انه يقيم ببلدة تارينتوم ، فى صحة سابغة ، وسعادة وارفة ·· وقد تركناه هناك ، يا مولانا العظيم ، بعد أن طلب منا أن نخبرك بمبلغ ما يتمتع به من سعادة وهناءة عظيمتين ! »

ساعة العقاب !

◆ **وفى** تلك اللحظة ، ظهر « أريون » أمام البحارة ، فصعقوا لهول المفاجأة ·· كان يرتدى أبهى ثيابه ، ويضع على رأسه تاجه الذهبى ·· تماما كما كان يبدو يوم ان القى بنفسه الى

البحر ، تنفيذا لحكمهم عليه ! .. **وانبطح البحارة على وجوههم من شدة الخوف والهلع ، وقد أيقنوا ان «أريون» لابد وأن يكون الها ! .. أفلم يروه بأعينهم – وهو على تلك الصورة – يقذف بنفسه الى الأمواج الثائرة ؟ .. فمن اذن غير الاله يستطيع – بهذه الطريقة الرائعة – أن يظهر أمامهم بالصورة نفسها !**

ونظر الملك الى البحارة نظرة صارمة ، فوجفت قلوبهم وارتعدت أوصالهم .. ثم سألهم : « أين الأموال التى استوليتم عليها من أريون ؟ .. أعيدوها اليه ، وضعوها عند قدميه ، ثم أعدوا أنفسكم للموت .. فليس لمثل الجريمة التى ارتكبتموها من جزاء غير الموت الزؤام ! »

وأعاد البحارة الكنز الثمين الى صاحبه .. وما أن أصدر الملك حكمه باعدامهم ، حتى تقدم « أريون » ليحول دون تنفيذ الحكم ، قائلا للملك : « دعهم يا مولاى يعيشون .. ولا تنفذ فيهم الموت ، فما أنا براغب فى ذلك .. ويمكن لمولاى العظيم – اذا أراد – أن ينفيهم خارج البلاد .. ففى هذا كفايتهم من العقاب ! »

ومن ثم أقلع البحارة الأشرار على ظهر أحدى السفن ، فى طريقهم الى منفاهم !

أمين سلامة

كتاب البحث الطبى

فى الأمراض البولية والتناسلية المستعصية وتضخم البروستاتا التى هى سبب العلل فى جسم الانسان .. وطريقة علاجها بجهاز فهجر الذى لا يستعمله الا مخترعه مؤلف هذا الكتاب الدكتور فهمى جرس – ٧٨ شارع الجمهورية (ابراهيم باشا سابقا) ، ت : ٥٦٢٠٤ ، ويطلب من المؤلف (٥٠ مليما)

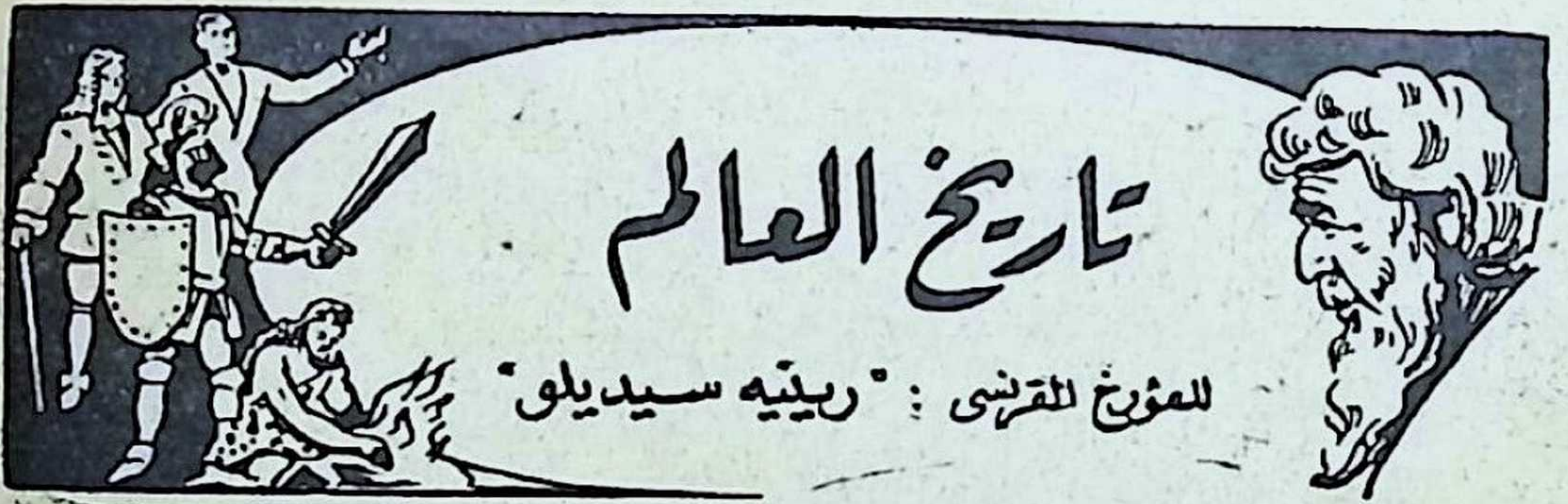

الصراع بين الارستقراطية والديمقراطية فى روما

◆ نقلت اليك فى الشهر الماضى جزءا من « رواية » المؤرخ الفرنسى « رينيه سيديللو » عن الألف عام التى دامها سلطان روما ومجدها .. وقد اقتصر ذلك الجزء على بداية قيام روما ، وكيف كان الشيوخ والنبلاء يستبدون بالحكم والنفوذ ، حتى قدر للمستضعفين من ابناء الشعب ان يهبوا من غفوتهم ..

واليوم ، نواصل معا رحلتنا عبر التاريخ ..

الشعب يختار ديكتاتورا !

◆ لم يكن كل « ديكتاتور » لين العريكة ، مستعدا للانصياع للشيوخ فى اوقات الأزمات ، بل ان الفرص لم تلبثان سنحت للعامة كى ينصبوا الديكتاتور الذى يروق لهم ، لا للشيوخ .. وكان « ماريوس » اول ديكتاتور من هذا النوع (سنة ١٠٨ قبل الميلاد) . وكان محاربا موفقا ، وقد عزز مكانته حين فتح ابواب الجيش للشعب ، بعد ان كان قاصرا على علية القوم .. وخفض ثمن القمح ، ووزع اراضى الدولة على جنوده ، وعمد فى بعض المناسبات الى مصادرة الملكيات الفردية الكبيرة .. وعندما عارضه الشيوخ ، ثار الشعب ـ الذى كان « يعبده » ـ واعمل فيهم الذبح والتقتيل !

« قيصر » .. رجل الساعة !

◆ وخلفه « سولا » ، فكان ذلك ايذانا بعودة الرجعية ، اذ كان « سولا » ديكتاتورا ارستقراطيا ، اعاد للشيوخ كل امتيازاتهم ، وجرد النواب مما اكتسبوا من امتيازات . ثم اعتزل الحكم فجاة وهو فى اوج سلطانه .. ولم يكن هذا بالامر العجيب ، اذ كان من الطبيعى ان تنتهى رسالته بعودة مقاليد

الامور الى أيدى الشيوخ ٠٠ ولكن النواب ـ ممثلى الشعب ـ كانوا قد اصبحوا أقوى من ان يرتضوا الهزيمة ، فأخذت الضواحى والمناطق الريفية تغلى بالتمرد٠ وفى سنة ٧٣ قبل الميلاد ، قام « سبارتاكوس » يدعو العبيد الى الثورة ٠ وبدأ الأغنياء يهربون اموالهم من ايطاليا ، ففرضت القيود على تسرب الذهب ٠٠ واذ أحس مجلس الشيوخ بنذير الانهيار المالى والاجتماعى ، تلفت حوله بحثا عن رجل قوى، ينقذ روما من الفوضى٠٠ ووقع الاختيار ـ فى سنة ٤٩ قبل الميلاد ـ على رجل لم يكن من الارستقراطيين ٠٠ ذلك هو « قيصر » ، ابن اخى «ماريوس»

فنون الحرب والتنظيم العسكرى لدى الرومان

◆ وفى تلك الأثناء كانت روما قد اتسعت ٠٠ اذ أقامت لنفسها امبراطورية بسواعد جيشها الذى كان قوى البنيان ، رائع النظام ، كامل العدة ٠٠ كان مجهزا بالخوذات ، والدروع ، والحراب ، والسيوف ٠٠ وكان استخدام الأفيال فى الحرب ابتكارا انفردت به روما ، ولم يسبقها اليه سوى الاسكندر المقدونى ٠٠ كذلك ارتقى فن اقامة التحصينات ، فكانت القوات الرومانية فى عملياتها تعسكر فى بقاع مستطيلة ، محوطة بخنادق ، ومعززة بالتحصينات الدفاعية ٠٠ كذلك تقدم فن الحصار ٠٠ ومكنت كل هذه الوسائل روما من ان تقوم بالغزو ، او ان تصد اى عدوان ٠٠ فسيطرت على المدن المجاورة ، وعلى القبائل المعتصمة بالجبال ، وهزمت أقاليم (لاتيوم) و (اترووريا) و (كمبانيا) ـ فى ايطاليا ـ وواجهت عدوين قويين هما السلتيون ـ أو « الكلت » كما يسمون احيانا ـ والقرطاجيين

أما السلتيون ، فقد انحدروا من الشمال ، وهم من القبائل الرحالة الهندية الأوربية ، التى انتشرت فى أوربا من مصب (الدانوب) حتى ساحل المحيط الأطلسى ٠٠ وكانوا بارعين فى فنون الحياة فى زمن السلم ، مهرة فى فنون الحرب ، على استعداد دائما لأن يجودوا بالأرواح فى سبيل استقلالهم ٠ وكانوا فى خلال القرون السابقة على ذلك العهد قد استقروا فى (بوهيميا) وبلاد (الغال) ـ فرنسا ـ واسبانيا ، والجزر الشمالية ، ثم اخذوا ينحدرون الى ايطاليا ٠ فبلغوا حوض نهر (البو) فى سنة ٣٨٣ قبل الميلاد ، ثم ساروا الى روما ٠ وبعد أشهر اضطروا الى الانسحاب ٠٠ ولكنهم ظلوا مبعث خطر يهددها ٠ واجتاحوا أوربا الوسطى ، متغلغلين فى الصرب والمجر وتراقيا ٠٠ بل انهم وصلوا الى آسيا الصغرى ، حيث ظهروا فيما بعد باسم الجالاتيان ٠٠ ولعل هذا أصل اسم « الكلت » الذى اشتهروا به ٠٠

أما القرطاجيون ـ نسبة الى قرطاجة بشمال افريقيا ـ فقد كانوا مسيطرين على منطقة غربى البحر الأبيض المتوسط باسرها ٠٠ وكانوا اقل خطرا من الكلت

.. وكان لابد من ان تتنازع روما وقرطاجه السيادة ، وان تمحو احدى المدينتين غريمتها عن خريطة العالم ، اذ لم يكن حوض البحر الأبيض المتوسط ليتسع لمدينتين قويتين ، تعيشان بدافع المطامع .. وكان الساميون من اهل قرطاجه ينحدرون من اصلاب الفينيقيين ، ويرون ان مدينتهم وريثة فينيقيا ، فليس للسفن الأجنبية اية حقوق فى السواحل الافريقية ، وكان هدفهم الأسمى ان ينشئوا امبراطورية بحرية ، ومن أجل هذا كان خصامهم مع اثينا ، قبل روما .. وقد انبثت جالياتهم على طول المناطق الساحلية ، من السنغال حتى الكاميرون ، لتحقيق السيادة البحرية . اما الرومان فكانوا يدعون الى حرية الملاحة وحرية البحار .. ومن هنا نشأ الصراع بين روما وقرطاجنه ، وكان اول احتكاك فى صقلية ، فاستطاع الرومان - بعد حرب مرهقة استمرت ثلاثا وعشرين سنة - أن يطردوا القرطاجيين من الجزيرة فى سنة ٢٤١ قبل الميلاد ، وان يحملوهم على دفع تعويض كبير . وجاء الاشتباك الثانى فى اسبانيا ، ودام القتال ثمانية عشر عاما . ولم تنج ايطاليا ذاتها من اهوال الحرب ، اذ اقتحم فرسان « هانيبال » طريقهم اليها فى سنة ٢١٦ قبل الميلاد ، ولولا بعض المتاعب الداخلية فى قرطاجه ، واستبسال الرومان فى الدفاع ، لهلك هؤلاء عن آخرهم . ولكنهم استطاعوا اخيرا ان يطردوا اعداءهم - فى سنة ٢٠٢ قبل الميلاد - من ايطاليا واسبانيا ، وان يردوهم الى موطنهم فى افريقيا .. ثم استولت روما على مناجم الفضة الاسبانية التى كانت اساس ثروتها ..

نمو الاستعمار الرومانى

◆ ولكن روما لم تقنع بهذا ، فقد اغراها ثراء قرطاجه - بعد خمسين عاما - ونجاحها فى تجديد اسطولها ، على ان تقرر القضاء نهائيا على غريمتها . وبالفعل ، استطاعت فى سنة ١٤٩ قبل الميلاد ان تدمرها ، وان تبيع اهلها فى اسواق العبيد ، وتشتت شملهم ، وان تضم اراضيها الى الامبراطورية الرومانية فى سنة ١٤٦ ق . م . وبهذا انتهت الحرب من أجل البقاء ، ولكن الرومانيين كانوا قد استمرءوا طعم الفتح والغزو ، بعد ان درا عليهم كنوزا عظيمة ، وعبيدا ، وممتلكات .

واستخدمت الديبلوماسية الخادعة ، غير الشريفة ، سلاحا للاستعمار الجديد .. وبهذا أكمل الرومان استيلاءهم على ايطاليا ، وضموا بلاد اليونان ، وسوريا ، وآسيا الصغرى ، وغيرها . وغزوا أراضى المدنيات القديمة ، التى كانت قبائل الرعاة قد استولت عليها فى ايران وما بين النهرين . واوشكوا فى فتوحاتهم شرقا ان يصلوا الى الصين .. كما وضعوا أيديهم جنوبا على مصر ، حيث كانت دولة البطالسة فى النزع الأخير ، فى سنة ٥٠ قبل الميلاد .. وبذلك اصبحت روما سيدة حوض البحر الأبيض المتوسط باكمله

قيصر ٠٠ الديكتاتور الشعبى !

◆ اذا كانت روما بهذا قد استكملت مجدها ، فانها لم تكن بعد قد استكملت امنها ، اذ ان خطر البرابرة فى الشمال لم يضعف ، ولا هى نسيت ما الحقه بها السلتيون من مهانة ٠ على أن هؤلاء لم يكونوا مصدر الخطر الوحيد ، بل كان هناك « الجرمان » أيضا ، وكانوا قوما محاربين ، انحدروا من الشمال وهددوا سلام الرومان ٠ وكان « ماريوس » قد ادرك خطرهم حين اجتازوا نهر الراين واحتلوا بلاد (الغال) ، فهزمهم فى معركة (اكس) فى سنة ١٠٢ قبل الميلاد ٠ ولكنهم عاودوا ضغطهم على بلاد (الغال) فلجأ السلتيون الى روما ينشدون عونها ٠ واستجاب لهم « يوليوس قيصر » ، فاجتاح بجيوشه بلجيكا ، واجتاز (الراين) فى سنة ٥٧ قبل الميلاد ، وطردهم من بلاد (الغال) ٠ ولكن ثراء هذه البلاد أغرى الرومان على أن يحتفظوا بها كمستعمرة لهم !

على أن بلاد (الغال) كانت شركا نصبه مجلس الشيوخ لقيصر ٠ اذ أن الشيوخ خشوا استفحال نفوذه ، فما لبثوا أن أرسلوا له ـ بايعاز من «بومبى» ـ كى يسرح جيشه ، ويعود الى روما ليقدم حسابا عن أعماله ٠ وكان جواب قيصر أن سار ـ فى سنة ٤٩ قبل الميلاد ـ بقواته الى روما ٠ وهرب الشيوخ و « بومبى » ، فطاردهم قيصر ، وهزم بومبى فى (فرسالوس) ، ودخل روما فى نفس العام ، فوضع بذلك نهاية لجمهورية النبلاء

بنك مصر
أسس شركاته الكبرى التى وظف بها خصائص البلاد
واستغل مرافقها فأرسى بها الدعائم التى قام عليها
التصنيع القومى فى البلاد وكانت السياج المنيع للتحرر
الاقتصادى منذ ٣٣ عاما فدل على الكفاية المصرية
وتفوق العقل المصرى فى مضمار الحياة العملية

« مطبوعات كتابى » تقدم لك حوالى منتصف مارس الحالى :

الأرملة العاشقة

قصة طويلة كاملة للروائى النمسوى الأشهر :

ستيفان زفايج

وفى نفس العدد : « الأم العاشقة » .. قصة طويلة كاملة لنفس المؤلف الذى قرأت له فى « كتابى » : « رسالة من مجهولة » !

مطبوعات
كتابى
يصدرها
حلمى مراد

تقدم لك

فى منتصف مارس الحالى

عاشقات .. فى الخريف!
١ - الأرملة العاشقة
٢ - الأم العاشقة

قصتان طويلتان كاملتان - فى عدد واحد -
من اروع ما كتب الروائى النمسوى الأشهر:

ستيفان زفايج

الذى قرأت له فى "كتابى" من قبل "رسالة من مجهولة"، و"غرام تحت سماء الشرق".. الخ

.. وكفى!